ماذا تعني عودة الفصول؟

رامز رمضان النويصري

عندما عرض علي تولي رئاسة تحرير الفصول الأربعة، لم يكن بوسعي الاعتذار أو الرفض، فالفصول الأربعة ليست مجرد مجلة، إنها تاريخ من الإبداع، وثبت لأسماء علامات في الأدب والثقافة الليبية، وأن يكون لأحدنا شرف انتسابه لهذا العمل الثقافي، فلن يكون من السهل التخلي عنه، خاصة ما تمثله هذه المرحلة من تحد على أكثر من مستوى، وما تمثله عودة الفصول الأربعة للمشهد الثقافي في ليبيا من عودة لدور المثقف الليبي للواجهة.

وفي ظل ما تعيشه ليبيا من ظروف استثنائية طالت كل نواحي الحياة، وكانت الثقافة أحد ضحاياها، فإن عودة الفصول الأربعة للصدور هي عودة الروح لأحد أهم أعضاء الجسد الليبي المنهك، والمخترق، إنه الكيان الثقافي، ممثلا في الأدباء والكتاب الليبيين، الذي تم تدجينه وإخضاعه، حد القمع لأكثر من أربعين عاما، كان فيها صوت القائد الطاغي والصاخب، والأوحد.

عاش المثقف الليبي سلسلة من الممارسات والإجراءات، وإن أسكتت المثقف وحجمت من دوره، لكنها من جهة مسخت الهوية والثقافة الوطنية، وشوهت صورة المناضل، وغيبت معنى الوطنية وشكلته في الصورة التي رسمها النظام، وسوق لها وصاغها في كتابه. بل إن أقسى ممارساته هي طمس الرموز الثقافية، وتهميشها.

كانت الفصول الأربعة بالرغم من منظار الرقيب وسطوته، متنفس المبدع الليبي، وصوته الذي ينطلق فكرا، وقصة وشعرا. وبالرغم مما تعرضت له من صعوبات ومطبات، ناضلت واستمرت في تقديم رسالتها.

وصمدت الفصول الأربعة، عندما فشل مشروع (لا) وحورب، ومن بعده صحيفة (المشهد).

عودة الفصول الأربعة للصدور هي عودة الروح للمثقف الليبي، والكيان الليبي الثقافي. وبالرغم مما اكتنف هذه العودة من وجهات نظر، إلا أن الحاجة للتواجد وإثبات الحضور في هذه المرحلة، وأن يكون للمثقف الليبي دوره الحقيقي، الدافع وراء رغبتنا في عودة الفصول الأربعة للصدور.

وكلنا أمل كفريق (هيئة تحرير)، أن يجتمع أدباء وكتاب ليبيا حول المجلة كما اجتمعوا من قبل حولها وساندوا مسيرتها خلال أربعين عاما. خاصة بعد أن قدر لهذه المجلة أن تستمر ورقياً، بعد الاتفاق الذي تم بين رابطة الدباء والكتاب الليبيين، ودار البيان للنشر والتوزيع والإعلان، بتكفلها بطباعة المجلة وتوزيعها.

أردنا أن يكون هذا المنتج الثقافي، ما يجتمع من حوله الأدباء والكتاب في ليبيا!! إذ علينا أن نكون عمليين بشكل أكبر، وأسرع، مخافة ضياع الجهد والوقت في اللاشيء، أو انتظار ما سيكون!! فالسماء لن تمنحنا الرابطة من جديد، من دون سعي أو عمل حقيقي يترجمه اللقاء والاجتماع والانتخاب.

وهذا ما دعانا أيضاً لأن يكون ضمن عودة الفصول في عددها الماضي، استطلاع (لماذا عجز الأدباء والكتاب الليبيون عن تنظيم أنفسهم، وإعادة رابطتهم، وخلق صوت موحد لهم؟ وكيف هي السبل لتجاوز هذه الأزمة؟)، والذي حاولنا من خلاله طرح جميع وجهات النظر، التي أجمعت على ضرورة أن يكن هناك اجتماع لأدباء وكتاب ليبيا، ولم شملهم وإعادة وجودهم ككيان، وهذا الاجتماع أن لم يكن من خلال دافع وطني وداخلي، ونية حقيقية فلن يتأتى، وسيجد من يضع امامه العراقيل.

وهو أيضاً ما حفظ رئيس الرابطة المكلف، الدكتور "خليفة احواس" بالكتابة في العدد والتأكيد على أن الرابطة ملك للأدباء والكتاب الليبيين، وهي إرث صنعته رموز ثقافية، علينا الوفاء لها ولجهدها الذي يعاني الآن من التعثر.

هل يمكن أن تعود الرابطة؟

نعم!! يمكن أن تعود، ولابد أن تعود، فهي الحضن الذي يجتمع إليه الكاتب والمبدع، والمفكر. فهي الرابطة التي تشدنا إلى بعض، وتجعل لصوتنا وجوداً ولهذا الفكر الذي غيب لسنوات أن يعود وأن يساهم في عودة ليبيا إلى حقيقتها وإلى دورها الذي يجب أن تكونه، لا المراد لها.

لا نريد المزيد من التراخي، والتعلل ووضع العصي في الدواليب، نريد حراكاً حقيقياً ونية خالة لتكون (رابطة الأدباء والكتاب الليبيين) حقيقة واقعة!!

والله الموفق.

البحث عن دور للمثقف الليبي؟

رامز رمضان النويصري

بداية

خلال النصف الأول من العام 2017م، كثر الحديث عن أهمية (دور المثقف)، أو ضرورة أن يكون للمثقف الليبي –بشكل خاص- دور في الحرجة التي تمر بها ليبيا، وأنه من واجب المثقف أن يطله بدوره المناط به، أو الذي يفترض –كما يفترض من يعرض ويدير هذا النقاش-، الامر احدث نوعاً من التفاعل من خلال منصات التواصل الاجتماعي، وأحدث حراكاً واقعياً، منتصف العام 2018م، تمثل في تجمع بعض الأدباء والكتاب والمثقفين فيما يعرف ب(حراك كتاب وأدباء ومثقفو ليبيا)، والذي للأسف لم يلق الدعم اللازم من ادباء وكتاب ليبيا.

خلال هذه الفترة، كنت قد قمت بنشر مجموعة من المقالات، ذات العلاقة بموضوعة (دور المثقف)، والتي جاءت بالتنسيق مع الصديق، الكاتب والباحث "عبدالمنعم المحجوب" عبر موقع المستقل.

هنا، أعيد سرد الحكاية من بدايتها، من خلال إعادة نشر هذه المقالات –مجمعة، بذات الترتيب الذي حاولت من خلاله البحث (عن دور للمثقف الليبي).

البداية كانت مع البحث عن الشخصية الثقافية، أو لماذا البحث عن شخصية ثقافية؟:

شخصية ثقافية

كثر ت التعليقات في الآونة الأخيرة، عن أهمية وجود دور للمثقف في هذه الفترة العصية التي تمر بها ليبيا، في ظل مشهد مشوش غير واضح المعالم؛ كل يحاول أن يعلوا بصوته على بقية الأصوات، وكل يحاول سحب المتلقي (المواطن البسيط)

في اتجاهه، وكل ينظر إلى مصلحته الشخصية.

لماذا البحث عن دور للمثقف؛ الآن؟

في ظني إن المواطن الليبي صار على قناعة بأن النخب السياسية في ليبيا، ومن يتصدرون المشهد، هم نخبٌ تعمل لمصلحة توجهاتها، وما تستطيع تحقيقه من مكاسب، دون النظر لمصلحة البلاد، والتي تمثل المواطن.

*

وكنتيجة لما وصل إليه الوضع في ليبيا، صار المواطن مقتنعاً بأهمية وجود دور للمثقف (المثقّفون الليبيون)، وأن هذا الدور يمكنه تحقيق الكثير مما لم تستطيعهُ النخب السياسية، ومن يتصدرون المشهد الليبي. وذلك يعود لمجموعة من الأسباب؛

أولها؛ إن المثقف شخص يملك من المعرفة والدراية ما يمكنه من قراءة المشهد، أو الوضع الليبي بطريقة أكثر شمولية، وأكثر إحاطة، بما يؤهله لتحليل الأسباب، وبالتالي رسم طريق الخروج.

ثانيها؛ أن الشخصية المثقفة، شخصية تقف على مسافة واحدة من الجميع، وأنه يمكنها إدارة الحوار بشكل أفضل.

ثالثها؛ المثقف شخص لا يبحث عن مصالحه الشخصية، بقدر ما يسعى للمصلحة العامة التي تضمن له دوراً تاريخياً.

رابعها؛ إيمان المثقف بقضيته التي يعمل من أجلها، وهذا يجعله أكثر إصراراً للعمل من أجل الوصول وتحقيق الهدف الذي يسعى إليه، متحملاً المسؤولية الملقاة على عاتقه.

في المقابل، هذا الدور المراد للمثقف الليبي، الاطلاع به، يحمله مسؤولية كبيرة، وهي مسؤولية تغيير المشهد. وهنا لا بد من طرح هذا السؤال:

هل يمكن للمثقف القيام بهذا الدور؟

نعم، يمكن للمثقف الليبي القيام والاطلاع بهذا الدور، لكن الأهم من القدرة، هو وجود إرادة حقيقية وقوية لتمكين المثقف من دوره المراد له، وعزل كل الأصوات التي تحاول التشويش، حتى يمكن للمثقف العمل.

والسؤال الذي أجدني أمامه الآن: هل المثقف الليبي يريد هذا الدور؟، خاصة وهو المتهم بالسلبية، والانزواء بعيداً؟!!!

*

كان التفاعل عقب صدور المقال جيداً، ومنها تعليق الصديق "انس الفقي"، والذي أراني هنا أحاول الرد:

المثقف.. يكون أو لا يكون؟

الإهداء للصديق: أنس الفقي.

عند نشري لمقالي (شخصية مثقفة)، والذي حاولت فيه مناقشة دور المثقف، جاء تعليق الصديق "أنس الفقي"، بهذا السؤال: (سؤال آخر: هل المثقف الليبي يحمل هموماً وطنية؟، أم إنه مجرد كومبارس يعشق التقليد الأعمى، وتقمص دور المثقف الأجنبي؟).

وهنا محاولة للإجابة (لا أكثر):

بالرغم من سهولة السؤال التي يبدو عليها، إلا أنه سؤال صعب، وصعبٌ جداً، كون (الوطنية) مسألة شائكة، خاصة في المرحلة الصعبة التي تمر بها ليبيا، والتي خضعت فيها الوطنية لعديد الاختبارات، التي أثبت الليبيون، أنها ككل شيء في ليبيا؛ يمكن أن يكون مصلحة، لخدمة شخص، أو تيار.

في البداية عليّ الإشارة، إلى أننا في ليبيا بقينا لفترات في أسر النظريات، دون التطبيق، بالتالي فإنا قد ندرك معنى وجود المثقف، وأهميته، والغاية من إقحامه في مشاريع التنمية بما يملك من رؤية شاملة؛ نظرياً، إلا أننا لم نعرف التطبيق العملي لدور المثقف، فظل المثقف ضمن الحدود التي رسمت له، من قبل السلطة. فبقينا نعيد قراءة النظريات، ونناقشها ونتحاور حولها، نهاراً، وفي الليل نحلم بدور حقيقي للمثقف.

المثقف الليبي، مثقف يحمل الهم الوطني، ومخلص لثقافته الوطنية ويعمل بجد من أجلها. لكن ما حدث بعد فبراير 2011، كان مربكاً؛ بعثر الأوراق، وشوش المشهد، وفتح الفرصة لأن يعزف كل موسيقاه.

فكانت أولى محاولات المثقف لضبط المشهد، وإعادة التوازن إليه، والعمل على تثبيت الهوية الوطنية، بعيداً عن المصالح والتجاذبات، في وجود هامش حرية، من خلال النشر، خاصة مع حركة النشر الصحفي الكبيرة في 2012 – 2013، التي صاحبتها حركة نشر للكتاب الليبي، تبشر بخير.

في محاولته الثانية، صار المثقف جزء من العملية الإعلامية، وآلة البث الفضائي التي تضاعف، وتوالدت، وشغلت اهتمام المواطن، فخرج المثقف في صورة: الإعلامي، والمحلل السياسي، والمحلل الاستراتيجي. كما كان من قبل في صورة: الصحفي، والمحرر، والكاتب.

في ذات الوقت، ثمة مثقف، اختار الابتعاد عن الخوض فيما يحدث، وانسحب من مشهدٍ لم يكن ضمنه، لأن الوطن أو الوطنية التي منع من ممارستها قبلاً، وجد مازال نفسه ممنوعاً منها، بعد أن شطح به حلم الحرية.

ومازلنا في أسر النظريات.

نعم صديقي "أنس".

المثقف الليبي يحمل هموماً وطنة!!!، لكنه كما كل شيء في المشهد، ارتبك، وتشوشت بوصلته، وقد يكون البعض تبع بوصلته، ولم يعد كمثقف محافظاً على مسافة واحدة من الجميع.

أما من يحاول أن يتمثل دور المثقف، فأقول لأخي "أنس" لا تلق له بالاً، لأنه كيان غير منتج، ولا يعول عليه، وإن ملئ المشهد صياحاً.

الإنتاج هو ما يميز المثقف، والمثقف الليبي، الذي راكم نتاجه، مازال ينتظر المناخ المناسب لينثر بذاره ويحصد سنابله ثقافة ومعرفة.

*

هنا أجدني أستحضر؛ مقالين كنت نشرتهما، حول الواقع الثقافي الليبي، وغياب المثقف الليبي، رداً على تعليق "د.فجر محمد" (محاولة للرد على تعليقها على موضوع: 2016 عام الرواية الليبية)، والذي أحاول فيه البحث في العلاقة بين المثقف الليبي ومواطنه، وكيف تم تشويش هذه العلاقة:

المعادلة الثقافية في ليبيا

إلى: د.فجر محمد

1/ واقع الحياة الثقافية في ليبيا مربك، ويحتاج الكثير لقراءته وتقييمه، خاصة وإن ما يتوفر من شواهد، يؤكد حالة نكوص عاشتها الثقافة الليبية، ولا زالت.

فالوقائع والحقائق تؤكد إن ليبيا حتى 1969، كانت دولة فتية تسعى من خلال الكثير من المشاريع للنمو والتطور، للحاق بركب الدول المتحضرة، وكانت الثقافة أحد الركائز في هذه النهضة، فعرفت ليبيا حركة نشر كبيرة، على جميع المستويات؛ فكان هناك الصحف، والمجلات، والكتب، والمنشورات بجميع أنواعها، رفدتها مجموعة من المكتبات التي كانت تقوم على نشر وبيع الكتب، إضافة للمكتبات العامة والمراكز الثقافية، دون أن ننسى أن نهضة فنية كانت على قدر كبير من النشاط، جعلت الفنان الليبي نجماً أينما حل.

2/ كانت 1969، نقطة بداية انحدار منحنى الثقافة الليبية، إذ بدا واضحاً إن رأس الحكم في البلاد لا يتوافق مع معطيات العمل الثقافي، خاصة بعد صدور النظرية الجماهيرية، وحبس الكثير من الأدباء والكتاب والمفكرين والمثقفين.

كان مشروع القذافي يعتمد مبدأ الفردانية، أو الواحد لكل الصفات والمواقف، وكان البرنامج أو إقصاء المثقف عن المشهد. ونجح في مسعاه.

هذا الغياب، أو التغييب، كان له أثره الكبير في إيجاد جفوة بين المثقف؛ الكاتب والصحفي، والمبدع، وبين القارئ، الممثل في المواطن، بالتالي بدأت صورة المثقف بالاضمحلال رويداً رويداً، حتى اختفائها، وصار المثقف خارج دائرة الاهتمام، وتبعه الكتاب، والمطبوعة، ليصل أقصى ما تطبعه صحيفة ليبيا إلى 3000 نسخة، لا توزع بالشكل المطلوب، وبمرتجعات.

3/ في ظل هذا الظرف، لم يعد الكاتب الليبي يجد صدى إبداعه، إنما الفراغ من يجيبه. وليس كما حدث عندما كان الطلبة في جامعة بنغازي يرددون أشعار "الشلطامي" -رحمه الله-.

فظل الأدب الليبي، مادة تداول بين الأدباء ذاتهم، هم من يحتفي بالإبداع ويقوم على قراءته، ومراجعته، ونقده.

وفي وجود آلة نشر راديكالية، وغير سوية، وغير مؤهلة، كان من الصعب عليها تلبية احتياجات الكاتب الليبي للنشر، كمرحلة أولى، والتوزيع من بعد كوسيلة للوصل للقارئ المحلي والخارجي. فالكثير من القامات الأدبية في ليبيا، والتي تجاوزت سني عطائها نصف القرن، ربما صدر لها كتاب واحد أو كتابين.

فدار النشر الحكومية، تمارس عملها من مبدأ الوظيفة. ودار النشر الخاصة، حجمت.

4/ وهكذا الأديب الليبي لا يعرف القارئ.. والقارئ الليبي لا يعرف الأديب الليبي.. وبينهما ضاع الأدب الليبي؛ شعراً، وقصة، ورواية، ونصاً إبداعياً.

5/ الكاتب والمبدع الليبي، لا يعرف كيف يقترب من القارئ.. والقارئ الليبي لا يعترف كيف يقترب من الأديب الليبي، ووجد أن الأديب العربي والعالمي أقرب.

6/ ومازال الأديب الليبي يبحث عن قارئه ابن بلده.. وما زال القارئ الليبي، لم يروي عطشه من أدب البلاد.. ومازال الأدب الليبي واقعاً بينهما.

*

المثقف الليبي .. الغريب في وطنه

إلى: د.فجر محمد.

1/ لن يكون من المستغرب، وهو في ذات الوقت متوقع، أن يكون المواطن الليبي جاهلاً، وغير عارفٍ بمبدعيه وكتابه!!!، باستثناء بعض الأسماء التي قدر لها أن ترتبط في ذاكرة المواطن الليبي ببعض الأحداث، فالكل يذكر شاعر الشباب "علي صدقي عبدالقادر" من خلال برنامجه الرمضاني "حفنة من قوس قزح"، بشكل خاص، بعدما تقمص الفنان "حاتم الكور" لشخصيته في أحد برامجه الرمضانية. كما تضم هذه الذاكرة الفقيرة، الكاتب الكبير "خليفة التليسي"، من خلال قصيدته (وقفٌ عليها الحب)، التي ألقاها احتفاءً في عيد الوفاء. شخصية أخرى لا يمكن للذاكرة الليبية نسيانها، الفنان "محمد الزواوي"، فنان الكاريكاتير، الذي يحفظ له الليبيون شريط الرسوم المتحركة (حجا)، ويضاف لهذه الذاكرة، وربما شملت هذه الذاكرة اسماً أو اسمين آخرين، لكنها تظل فقيرة.

2/ المسألة التي تزيد من أزمة فقر هذه الذاكرة، إن بعض المدارس التي سميت بأسماء أدباء وكتاب من ليبيا، كـ(أحمد رفيق المهدوي، أحمد الشارف، أحمد قنابة،....)، لا يعرف الكثير من تلاميذها، أو جلهم، سبب التسمية، أو من هو الشخص الذي سميت المدرسة باسمه.

3/ بالتالي كان من الطبيعي أن تنشأ هذه الجفوة بين المواطن الليبي، وبالتالي المجتمع الليبي، وبين مثقفيه، خاصة وإن النظام كان يعمد إلى تغييب هذه الشخصيات الثقافية، رغبة منه في التفرد بالمشهد، وألا يتحول المبدع والأديب إلى شخصية، أيقونة، تستقطب الباحثين عن المعرفة، ويمكنها التأثير في المجتمع فكرياً، وحتى إحداث تغيير ما.

فالثقافة الليبية حافلة بالكثير من الأسماء المهمة، والمميزة في مجال الإبداع والفكر والفن، ففي الوقت الذي كان فيه المناخ مناسباً لانطلاقة الكاتب الليبي والتعريف به محلياً وإقليميا وعالمياً، كانت النظام يعمل على إخماد النجوم، حد تسمية اللاعبين بأرقام غلالاتهم أثناء التعليق على مباريات الدوري الليبي. كأنها الشرنقة.

4/ في داخل هذه الشرنقة، كان المبدع الليبي، منكباً على أدبه، مشغولاً بتحصيل قوت يومه.

فالمبدع الليبي، موظف منتظم في دوام الدولة الرسمي، ومواطن عليه أن يكون مسجلاً في جمعية للحصول على مواد التموين الأساسية، وأيضا الاصطفاف في

طوابير الأسواق المجمعة للحصول على ما يريد من سلع، واحتياجات أسرية.

تراكم المخطوطات من حوله، دون أن يجد دار نشر تقوم بنشر أعماله، فالدور الخاصة غالية، والحكومية لا تمل تسطير القوائم.

هل شاهد أحدكم فيلم (الفتى في الفقاعة).

هذا هو حال المبدع الليبي، يعيش داخل فقاعة أو شرنقة، فرضت عليه، يرى من خلالها المجتمع لكنه لا يتماس معه، ولا يجد بالتالي من يهتم به، إلا القلة. مما جعل قنوات الاتصال بينه وبين المحيط، تكاد تنعدم، إذ لا لغة مشتركة للتخاطب.

5/ سيكون من الصعب على المبدع الليبي، أن يتواصل مباشرة مع المجتمع، الذي لا يعرفه، وأيضا من جانب المجتمع الذي يجهله.

سنحتاج بعض الوقت، وهو في تقديري نسبي، أي يتعلق بالوسيلة والأسلوب، الذي سنعمل من خلالها على نفض الغبار عن مثقفينا المنسيين.

حتى تعود أسمائهم نجوماً تلمع في سماء الوطن.

*

عند هذه الحظة، لمعت في رأسي فكرة؛ ماذا لو حكم المثقف؟:

عندما يحكم المثقف

دعونا نتخيل وصول أحد المثقفين إلى الحكم!!!، وأعني بالمثقف هنا، وبشكل خاص، المثقف الممارس للعمل الثقافي من خلال أحد أشكال الإبداع، وإمعاناً في التخيل، ماذا لو كان هذا المثقف روائياً.

نعم، روائي يحكم البلاد!!!، وليس المقصود ليبيا، بقدر ما هي محاولة للتخيل!!!.

أعتقد إن الأمر لن يكون سهلاً، فستأخذنا لحظة تفكير، نحاول خلالها أن نبحث فيها عن مرجعية، للبدء في ممارسة عملية التخيل، كون عقولنا لن تسعفنا مباشرة بمفتاح الدخول لهذه الرحلة، فهل سمعتم مرة؛ بروائي يحكم؟

- لا!!!

لقد جربت عقولنا بعض الأنظمة، فهي إن لم تعشها، فقد كونت خبرة مما يصلها من معلومات، لأن أول ما سيحاوله الجزء المسئول عن التخيل في أدمغتنا، محاولة تصنيف هذا الحاكم؛ سياسياً وعقائدياً، حتى يمكنه توفير ما يحتاج من أدوات لرسم الصورة التي سيتم تنصيبها للقيام بهذا الدور، على خشبة مسرح الخيال.

مع المثقف، أو الروائي الذي اخترنا، سيكون الأمر مختلف، لماذا؟

لأن المثقف الروائي شخص بعيد عن اللعبة السياسية، ولا يتقنها، ولا ينجرف بسهولة في تيارها، لعلمه بقدرتها على تسخيره لتسويق شعاراتها والهتاف باسمها. وهو بذا يسخر إبداعه، يخسر ذاته.

لسبب ما عندما بدأت عملية التخيل هذه، قفزت صورة "نجيب محفوظ" إلى المنصة مبتسماً، وهو يدعو أبناء الوطن للعمل والبناء، وتأكيده الحفاظ على قوة ترابطه الاجتماعي، والاعتزاز بالإرث الثقافي له، ولازالت جملته ترن:

– لو سبنا بعضينا نتوه.

ثم داهمتني صورة "حنا مينا" في مقهى قريب من شاطئ البحر، بلا حرس، يسامر الصيادين، ويبتسم وهم يخبرونه عن قصصهم، ثم يقف، ويحتضن الريس الكبير، الذي التحق بالجلسة متأخراً، وهو مازال يعبق بملح البحر.

ركزت لكن، باباً آخر فتح، لأرى "ميلان كونديرا" يسير وحيداً في الشارع، محاولاً البحث عن حلٍ لأزمة ما، ورغم اقتراحات الوزراء، أصر على أنه يمكنه حل المسألة لو ترك لرجليه الفرصة لأن تجوبان الشوارع حتى الصباح.

اللعبة أعجبتني، خاصة وإني لم أخطط لها مسبقاً، إنما أغمض عيني، وأتنفس بهدوء، تاركاً لدماغي الحرية في التخيل والتخييل كما يشاء.

ويبدو إن دماغي ديمقراطياً، لينصب "إيزابيل إليندي" حاكماً بصلاحيات مطلقة، فتعلن إنه لا مقر ثابت للحكم، وأن على الحكومة أن تتوزع في البلاد، وأنها ستقيم كل مرة في مدينة، أو قرية، أو بلدة.

"أليف شافاق" كانت مختلفة، فقد كان أولى قراراتها، إعادة تسمية الشوارع، والمراكز، والأحياء، والمؤسسات، وقالت في خطابها الرئاسي الأول: على الشعب أن يمارس اليوجا، ساعة كل صباح، وأن يذهب للنوم باكراً.

"صالح السنوسي" أعاد رسم العلاقات بين الدولة والمواطن، كلها علاقات ثنائية قصيرة، أما أغرب قراراته فكان إلزامه الوزراء بحفظ سيرة بني هلال، وحجب الجراية عن القضاء، مقابل تلبية حاجاتهم، واحتياجاتهم.

يبدو إن دماغي قد شطح، لذا لن أخبركم كيف تخيل؛ ماركيز، وكوهيلو، هيمنجواي، وحيدر، أو كيف قلب "دان

براون" البلاد رأساً على عقب، أو كيف حولت "جي.كي.رولينغ" العالم كله إلى ميدان للعب. قد تكون الصورة التي رسمها دماغي، للمثقف الروائي مثالية بعض الشيء، أو بشكلٍ كبير، وربما لعلمي إن المثقف، المبدع، شخص يعيش لنصه ولقارئه، وهي الصورة التي أراها أقرب للمثالية، والتي تجعل منه شخصاً بعيداً عن مكائد السياسة وألعابها الخبيثة.

في ظني إن المثقف، أبعد ما يكون عن السياسة، لأنه يبحث عن حريته ليمارس إبداعه، وينطلق، والمناصب ستجعل منه شخصاً مقيد إلى ضوابط، وبروتوكولات، تحدد حركاته، وتحصيها عليه، وتصبه في قالب الشخصية المفترض لها أن يكونها؛ حيث الحسابات تختلف، والتجربة أيضاً. وخارج قائمة الاستثناء، لم أسمع عن مثقف، يمارس الإبداع، نجح في إدارة منصب سياسي أو قيادي، وظل محافظاً على تألقه كمبدع، إذ لابد أن يخسر، إحداهما، وفي الغالب، سيجبر على خسران إبداعه.

الآن، أكرر دعوتي لممارسة هذه اللعبة، والتخيل، لكن هذه المرة، أن يكون المتخيل، شاعراً!!!، وماذا لو كان الشاعر "أمل دنقل"، كيف تراه يحكم؟.

*

من بعد جاءت المراجعة:

عندما يحكم المثقف – مراجعة

عقب نشري لمقالي المعنون (عندما يحكم المثقف)، علق الصديق "محمد النعاس" بقوله: (يكفي الروائي أن يحكم شخصياته وأماكنه، الروائي ديكتاتور بالطبيعة... إنه يمارس سلطته بخشونة ولا يرى ديمقراطية، وعندما يخرج للعالم الخارجي ويحاول أن يحكم الواقع سيجد نفسه إما تائهاً فيه أو ديكتاتوراً؛ ألم يكن القذافي كاتباً من نوع ما؟ القرية القرية، الأرض الأرض وانتحار رائد الفضاء.)

حقيقة سعدت بتعليق الصديق "محمد النعاس"، القاص المميز، والقارئ واسع الاطلاع. فعندما كتبت مقالي المعنون (عندما يحكم المثقف)، ركزت كقارئ على النص، أو المنتج الأدبي الذي يصلني، ولم أحاول المغامرة بالدخول لما وراء هذه النص، كون هذا الدخول سيحرمني الكثير من متعة اللعبة، متعة التخيل.

فأنا أتفق تماماً إن الروائي، يمارس في كتابته مستوى من الديكتاتورية، وأن هذه الممارسة التي يتحكم فيها بشخوصه، ويخطط لأقدارها –لو صح التعبير-، هي المتعة التي تصلنا، والإبداع الذي يجعل من العمل الروائي رحلة شيقة، وعليه فإن جودة العمل الروائي، في جانب منها

تعكس مستوى دكتاتورية الكاتب، وقوتها، وقدرتها على التأثير في العمل!!!

وهو ما يجعل من هذه الدكتاتورية، في حكم المستحب، الذي يرقى لحكم الوجوب من جانب الكاتب.

من جانب آخر، هل الدكتاتورية التي يمارسها الروائي؛ دكتاتورية تفرضها الضرورة الأدبية؟ إم إنها حالة نفسية، أو أن لهذه الممارسة بعد نفسي كامن في الكاتب.

فإشارة الصديق "محمد النعاس" لمرجعية هذه الدكتاتورية كمركب نفسي، يعكس الجانب الشخصي منه، وهو الأمر ذاته الذي أشار إليه الصديق الكاتب "عبدالمنعم المحجوب" في تعليقه على ذات الموضوع، من خلال إجابته عن سؤال في ذات الموضوع، وإجابته التي ناقش فيها "الفارابي" ومدينته الفاضلة، أو كما كتب عبر الماسنجر: (هكذا تخيلت الفارابي حاكماً)، وهو يرفق رابط الحوار كاملاً.

"النعاس" و"المحجوب" اتفقا، أن الكاتب أو المثقف، عندما يكون خارج النص، في العالم الخارجي، فهو إما تائه أو دكتاتوراً. لكنهما -أي النعاس والمحجوب-، يصدران حكمهما بشكل مباشر؛ فالأول عرض لشخصية "القذافي"؛ الحاكم والكاتب. عرض الثاني لشخصية "الفارابي"؛ الفيلسوف الذي استطاع النفاذ من حصار التهم. وكأنهما يؤكدان، أن المثقف سيتحول إلى دكتاتور حال وصوله للحكم.

إلى حدٍ ما، أتفق وما ذهب إليه الفاضلان؛ النعاس، والمحجوب!!!؟

والسبب؛ أن المثقف شخصية مستقلة، وسيكون من الصعب عليه التعاطي مع الكثير من مسائل السياسة من مبدأ المصلحة، وليستمر عليه أن يتمتع بمستوى من الديكتاتورية، لإثبات ذاته، ولتمرير رؤيته، والتي من أجلها قد يتحول إلى ديكتاتورٍ بامتياز، وهي الانعكاس المباشر لمثالية المثقف في الدفاع عن الحقوق، والتنظير لها.

ومن ناحية أخرى، نتيجة العزلة التي عاشها أو فرضت عليه، فظل يرسم الواقع كما يراه هو، لا كما يعيشه، ولن يكون من السهل عليه التنازل عن هذه الصورة.

ولا ننسى إن الروائي، أو المثقف في العموم، شخص متمرد، بالتالي وهو في سدة الحكم، سيكون قادراً على قلب المشهد، وقد يسقط بعض الدم نتيجة السقوط.

لقد أخرجني "النعاس" لعبتي، وأكد هذا الخروج "المحجوب"، وكلاهما باغتاني،

وأعادني للتفكير من جديد، عن أهمية دور الثقف في المجتمع؟، ومستوى هذا الدور؟ ومدى تماسه المباشر مع السلطة؟ وهل من واجب المثقف التنظير أو النزول للميدان والعمل، وقيادة الجماهير؟، وقبل ذلك؛ من هو المثقف؟

الموضوع متاح للجميع للمشاركة.

*

هنا وجدتني أسأل، من هو المثقف؟:

المثقف.. من هو؟

في مراجعتي لمقالي (عندما يحكم المثقف)، والتي نشرتها تحت عنوان (عندما يحكم المثقف – مراجعة)، أنهيت المقال بقولي: (لقد أخرجني "النعاس" لعبتي، وأكد هذا الخروج "المحجوب"، وكلاهما باغتاني، وأعادني للتفكير من جديد، عن أهمية دور الثقف في المجتمع؟، ومستوى هذا الدور؟ ومدى تماسه المباشر مع السلطة؟ وهل من واجب المثقف التنظير أو النزول للميدان والعمل، وقيادة الجماهير؟، وقبل ذلك؛ من هو المثقف؟) وفي الختام وجهت دعوة مفتوحة: (الموضوع متاح للجميع للمشاركة.).

وسأحاول من خلال مجموعة المقالات القادمة، بإذن الله تعالى، الإجابة عن مجموعة التساؤلات، للفائدة الشخصية، والفائدة العامة. وسأبدأ مع المثقف. خاصة بعد تفاعل مجموعة الأصدقاء عبر التعليقات.

من هو المثقف؟ أو، ما هو تعريف المثقف؟

لغوياً: المثقف والثقافة مشتقان من مادة (ثقف)، والتي تدل – حسب ما جاء في معاجم اللغة العربية وقواميسها – على عدَّة معانٍ، منها: الحذق، وسرعة الفهم، والفطنة، والذكاء، وسرعة التعلُّم، وتسوية المعوجِّ من الأشياء، والظفَر بالشيء.

ومن مجموعة التعريفات اخترت:

المثقف هو الذي يضع نظرة شاملة لتغيير المجتمع.

المثقف هو الذي يعمل لصالح القطاعات العريضة في المجتمع.

المثقف يتميز بان لديه القدرة على النقد الاجتماعي والعلمي.

ويرى جان بول سارتر إن المثقف إنسان يتدخل ويدس أنفه فيما لا يعنيه.

أما الفيلسوف الإيطالي "غرامشي" في تعريفه للمثقف، فهو يميز بين نوعين؛ المثقف العضوي والمثقف التقليدي. ويعني بالمثقف العضوي: هو المثقف

الذي يعمل على إنجاح المشروع السياسي والمجتمعي الخاص بالكتلة التاريخية المشكلة من الفلاحين (الجنوب الإيطالي) والعمال (الشمال الإيطالي). أما المثقف التقليدي فهو: المثقف الذي يوظف أدواته الثقافية للعمل على استمرار هيمنة الكتلة التاريخية السائدة المشكلة من الإقطاع والبرجوازية والفئة العليا الاكليروس.

وهو ما يؤكده المفكر "علي حرب" في كتابه (أوهام النخبة أو نقد المثقف)، إذ يعرف المثقف بأنه: ذلك الفرد الذي يبشر بقضايا كلية كبرى: كالحرية والثورة والوحدة والاشتراكية والعلمانية والعدالة وغير ذلك من مقولات التيارات الفكرية المختلفة.

بعد هذه التعريفات، دعونا نقف مع التعريف الاصطلاحي للمثقف، الذي يقول بإن المثقف: ناقدٌ اجتماعي، (همه أن يحدِّد، ويحلِّل، ويعمل من خلال ذلك على المساهمة في تجاوز العوائق التي تقف أمام بلوغ نظام اجتماعي أفضل، نظامٍ أكثر إنسانية، وأكثر عقلانية)، كما أنه الممثِّل لقوَة محرِّكةٍ اجتماعيًا، (يمتلك من خلالها القدرةَ على تطوير المجتمع، من خلال تطوير أفكار هذا المجتمع ومفاهيمه الضرورية).

بعد مجموعة التعريفات، نتوقف عند نقطة مهمة، وهي أن المثقف شخص متصل مباشرة بالمجتمع، عارف ومحيط بقضاياه وهمومه، بالتالي فهو: يستطيع تحديدها وتحليلها، ووضع البرامج والخطط لتجاوزها.

النقطة الثانية والمهمة أيضاً، امتلاك المثقف وسائل التواصل مع مكونات المجتمع، والتي تؤهله لفهمها، وبالتالي القدرة على إحداث التغيير، من خلال تطور الأفكار والمفاهيم، وهي مكمن قوته.

التوقف الثالث، مسألة الثقافة، فهي ليست مجرد التقاء لغوي، بقدر ما هو التقاء معرفي، لابد منه ليكون المثقف، إذ من المهم أن يملك قدرًا من الثقافة التي تؤهله من نظرة شمولية، وقدرٍ من الالتزام الفكري والسياسي تجاه مجتمعه، وهو مبدع كل يوم، يستطيع بهذا الإبداع الثقافي أن يفصل بين تهذيبات القول وتجليات الفكر، بين الثقافة وعدم الثقافة، بين التحضر والتطور.

إذن هي ثلاث مرتكزات أساسية لكل مثقف، ليكون مثقفاً، الاتصال المباشر بالمجتمع، وامتلاكه وسائل التواصل مع مكونات المجتمع، وأخيراً الثقافة.

هذه الشروط الثلاث، هي الأهم لتعريف المثقف، وبالتالي الاطلاع بدوره، الذي

سيكون محور موضوعنا القادم، والذي سيكون في جزء منه، محاولة لفهم مقولة "سارتر": مهمة المثقف إزعاج السلطة.

*

وهنا أخلص للبحث عن دور المثقف:

دور المثقف

متابعة لحديثنا السابق عن المثقف، سنتوقف في هذا المقال عن دور المثقف، في حاول لإكمال الصورة التي بدأنا في رسمها في مقالنا السابق.

يرى الكثير؛ إن المثقف هو صوت الأمة ولسان شعبها، والعين التي يرى من خلالها المجتمع ما يحدث في العالم من مجريات وأخطار، بكافة أشكالها السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية.

وبالتأسيس على تعريف الفيلسوف الإيطالي "غرامشي" للمثقف، والذي أوردنا في مقالنا السابق، فإن دور المثقف ومسئوليته تجاه المجتمع؛ هو أن يكون المثقف لسان حال المجتمع والناطق باسمه، وصداها الإعلامي الداعي لأفكاره، والناشر لمبادئه، أي انتمائه لمجتمعه.

في ضوء ما سبق، يتضح جلياً، الدور المهم للمثقف، وعظم المسؤولية الملقاة على عاتقه، والتي تجعل منه قائداً، وهذا يذكرني بكلمة السيد "عمرو موسى"؛ الأمين العام لجامعة الدول العربية عندا قال: (المثقفون اليوم هم جنرالات المعركة المقبلة وقادتها ومحددو نتائجها، لقد بات عليهم من الآن فصاعداً القيام بدور محوري في معركة الدفاع عن الأمة وحضارتها).

ولكي يقوم المثقف بدوره الكامل، عليه أن يؤمن برسالته، وألا يكل أو يمل من أجل المضي فيها، وتبصير المجتمع بحقوقه وتعريفه بواجباته، وعليه أن يدرك، أن طريقه ليست دائماً مفروشة بالورود، وأنه سوف يمشي على الشوك، وأنه سيتعرض للهجوم، والمقاومة؛ مِن مَن؟

من أي جهة ترى إن ما يقوم به المثقف، ويبشر بع يتعارض مه مصالحه. والمصلحة هنا تعبير مجازي عما يمكن ان تكونه هذه المصالحة، والتي يمكن تصورها كتيار أو اتجاه، أو نظام.

يقول سارتر: مهمة المثقف إزعاج السلطة!!!

قد يسأل سائل: لماذا الحديث عن السلطة، والزج بها، في موضوع يختص بدور المثقف؟

سيكون من الصعب الحديث عن دور للمثقف، دون الحديث عن السلطة؛

فالمثقف ليس وحده من يرتبط بالمجتمع، فهناك السلطة، وغيرها مما يرتبط بالمجتمع.

تنشأ علاقة المثقف بالسلطة عن ضرورة إنتاج كل مجتمع لنظام ما، قد يكون قيمياً أو تشريعياً أو رمزياً أو سياسياً، ويتكون هذا النظام بهدف ضبط مفاصل تشكيلية اجتماعية معينة، واحتواء ما يستجد داخلها. ولكي يكون هذا النظام ناجحا ويقوم بدوره لابد أن يقوم على معرفة، فوراء كل نظام مهما كانت طبيعته ومقوماته معرفة ما، أي ثقافة. والسلطة من هذا الباب هي أيضاً، والمثقف كيفما كان مجال اختصاصه، هو الذي يزود النظام بوسائل الضبط بواسطة المعرفة التي ينتجها.

إذن؛ فالمثقف يقف بين المجتمع والسلطة، وفي معيار الثقافة، فإن المثقف يعمل بين ثقافتين؛ ثقافة المجتمع، وثقافة السلطة. وهذا مؤداه إن العلاقة ما هي إلا علاقة ثقافية، أو صدام ثقافي، أيهما يصعد على الآخر، المجتمع أم السلطة؟، والمثقف هنا هو القائم بدور القائد للمجتمع.

نعم، السلطة هي أكبر عائق لدور المثقف، ولهذا قال "سارتر" بأن: مهمة المثقف إزعاج السلطة، وهذا الإزعاج ليس إزعاجاً مقصوداً لذاته، إنما إزعاج مقصود للمصلحة، غايته تنوير المجتمع، وتوعيته، وهو ما يجعله على درجة الند من السلطة، خاصة في الأنظمة الديكتاتورية، التي لا تريد للمجتمع إلا أن يكون عبداً لرغباتها، وفأر تجارب لما تفرزه من أفكار وتنظيرات، لأن وعي المجتمع يكشف لعبته، ويعريه، ويجعله عالماً بحقوقه، التي سلبه إياها النظام الحاكم.

وكون السلطة عمل الحاكم، فإن عمل المثقف سيكون ضمن دائرة الحكم، التي تسيطر على المجتمع، وسيخضع هذا العمل لتقييم الحاكم، ومدى موافقته لمعاييره.

وهذا ما يجعل العلاقة مضطربة بين المثقف والسلطة في الأنظمة الديكتاتورية والاستبدادية، والعقائدية، على العكس منها في الأنظمة الديمقراطية التي تعلي من شان الفرد، ودوره في المجتمع. وبمعنى آخر؛ تعكس درجة تقدم الشعوب درجة قيام المثقف بدوره.

في لقائنا القادم سيكون حديثنا عن المثقف المبدع.

*

على الهامش، أحاول وضع النقاط على الحروف في مسألة؛ المثقف والمبدع:

المثقف و المبدع

الثقافة، هي القاسم المشترك بين الإنسان المثقف والإنسان المبدع. ولكن هل يمكن؛ للمثقف أن يكون مبدعاً؟ في أي من أجناس وأشكال الإبداع. وعلى الجهة الأخرى؛ وهل يمكن للمبدع أن يكون مثقفاً؟.

سأبدأ من أخر ما وصلت إليه، نعم المبدع لابد أن يكون مثقفاً، والثقافة هنا ببعديها، المعرفي: بأن يكون عارفاً بشروط ومقومات الجنس الإبداعي الذي يمارسه، ويبدع من خلاله، وثقافي؛ بأن يكون مسؤولاً عن إيصال هذ الإبداع ونشره، والاستفادة من التجارب والإضافة. وهذا يعني أن كل مبدع، هو (إنسان مثقف).

في مقالي (المثقف.. من هو؟)، أدرجت أكثر من تعريف للمثقف، أختار منها للإجابة، هذا التعريف (المثقف هو الذي يضع نظرة شاملة لتغيير المجتمع).

كما أني في ذات المقال، وفي الختام تحدثت عن ثلاث مرتكزات أساسية للمثقف: (إذن هي ثلاث مرتكزات أساسية لكل مثقف، ليكون مثقفاً، الاتصال المباشر بالمجتمع، وامتلاكه وسائل التواصل مع مكونات المجتمع، وأخيراً الثقافة)، هذا يعني بالضرورة أن يكون ثمة دور حقيقي للمثقف في المجتمع.

وهنا يمر في بالي خاطر: يقال إن الشعراء، والرسامين -على سبيل المثال-، يستمدون مادتهم الإبداعية من وحيهم وعالمهم الخاص، على العكس من القاص والروائي - على سبيل المثال، أيضاً-، ممن تعتمد مادتهم الإبداعية على الناس، المجتمع الذين يعايشونه.

وكون دور المثقف (هو أن يكون المثقف لسان حال المجتمع والناطق باسمه، وصداها الإعلامي الداعي لأفكاره، والناشر لمبادئه، أي انتمائه لمجتمعه). فإن الإبداع يضيف للمثقف الكثير، وإن كان ليس شرطاً ملزماً لكونه مثقفاً.

الإبداع، يفتح أمام المثقف الكثير من أبواب التعبير عن آرائه وأفكاره، ويمكنه من صياغة أفكاره وتقديمها في أكثر من شكل، كما إن الإبداع سينعش مخيلة المثقف، ويجعله قادراً على التحليق في سماء النفس والمشاعر.

في المقابل؛ هذا المثقف المبدع، لو صح لنا التعبير، سيكون من السهل جدا أن يقع فريسة لشهواته الإبداعية، والسلالات العاطفية مثل؛ الحب والعشق والرثاء والحزن للآخرين، كما من السهل وقوعه

ضحية نجاحه الفني الابداعي، أو أن تزداد أوهامه حدة، بأنه يعيش من أجل الآخرين، أو أن تشطح مخيلته ليقول إنه: شخصية سوبر جداً. وفي النهاية يصبح المثقف، بعيداً عن واقعه، وواقع الناس.

المثقف الحقيقي، المبدع، سيكون في حالة من التوازن، قادر على القيام بدوره، والتأثير في المجتمع بشكل صحيح، وثمة الكثير من الأمثلة، محلياً وعربياً وعالمياً، لنموذج المثقف المبدع، والمبدع المثقف.

دورُ المُثقف في المُجتمع العربيِّ:
تحدِّياتُ ما بعد انتفاضات 2011

خالد خميس السّحاتي

استهلالٌ

يُعَانِي المُثقفُ العَرَبِيُّ اليَوْمَ مِنَ الظُّرُوفِ التَّارِيخِيَّةِ العَصِيبَةِ التِي تَمُرُّ بِهَا أمَّتُنا العَرَبِيَّةُ، وَمَا تُوَاجِهُهُ الأَوْطَانُ مِنْ تَحَدِّياتٍ جَمَّةٍ أَصْبَحَت تُهَدِّدُ كيَانَاتِ الدُّوَلِ القَوْمِيَّةِ ذَاتُهَا، حَيْثُ أنَّ الفَتْرَةَ الزَّمَنِيَّةَ التِي تَلَتِ "الانْتِفَاضَاتِ العَرَبِيَّةِ" عَامَ 2011 كانَتْ مَلِيئَةً بِأَحْدَاثٍ جَسِيمَةٍ أَعْقَبَتْ مَرَاحِلَ التَّغْيِيرِ السِّيَاسِيِّ التِي شَهِدَتْهَا المنْطَقَةُ آنَذَاكَ، وَوَضَعَتِ المُثقفِينَ العَرَبَ أَمَامَ مُفْتَرَقِ طُرُقٍ خَطِيرٍ، وَمَسْؤوليَّاتٍ وَطَنِيَّةٍ صَعْبَةٍ، (ثَقَافِيَّة وَتَرْبَوِيَّة وَاجْتِمَاعِيَّة...)، وَأَصْبَحَ لِزَامَاً عَلَى المُثقفينَ الوَطَنِيينَ الشُّرَفَاءِ الذِينَ يَحْمِلُونَ هَمَّ أَوْطَانِهِمْ بِإِخْلَاصٍ أَنْ يَرْفعُوا شِعَارَ "ضَرُورَةَ التغيير الإيجابيِّ"، وأنْ يَجْعَلُوا شُغْلَهُم الشاغِلَ تَنْوِيرَ الرَّأْيِّ العَامِّ بِأَهَمِّيَّةِ حِمَايَةِ الثَّوَابِتِ الوَطَنِيَّةِ كَالقِيمِ الإِسْلَامِيَّةِ النَّبِيلَةِ فِي مُوَاجَهَةِ رِيَاحِ العولمة Globalization العَاتِيَةِ، التِي تُرِيدُ اقْتِلَاعَ قيمنا من جُذُورِهَا.

فالتغييراتُ الجارفةُ والمُثيرة والدّراماتيكيَّة التي حدثت وتحدُثُ في المُجتمعات العربيَّة اليوم من المُحيط إلى الخليج، تطرحُ الكثير من الأسئلة الإشكاليَّة الشائكة عن الرّاهن والوُجُود والمصير العربيِّ، وعن مفهُوم الثقافة عربيّاً، وعن دور المُثقف العربيِّ فيما يحصُلُ؛ لأن العالم اليوم أصبح يتجهُ نحو الثقافة الليبراليَّة الحُرَّة(1).

وقد أوكلت التصورات النظرية، في ضوء التطورات السابقة في المنطقة العربية، وظيفتين للمثقف العربي، وهما: نقد الواقع من وجهة نظر تغييره، واقتراح البدائل

والوسائط السِّياسيَّة، التي تُؤمِّنُ للمُجتمع التحرُّر والخلاص...وقد انطوت علاقة المُثقف العربيِّ بالتحوُّلات الوطنيَّة-الاجتماعيَّة في طَوْرِهَا الأوَّلِ عَلَى بُعْدَيْنِ أَسَاسِيَّيْنِ: سِيَاقٌ تَارِيخِيٌّ مُحَدَّدٌ، شَهِدَ نُهُوضاً شَعْبِيّاً-وَطَنِيّاً وَاسِعاً، تَمَازَجَتْ فِي رغبات الوحدة القوميَّة والاشتراكيَّة وتحرير فلسطين، وتحزُّبٌ سِيَاسِيٌّ مُتَعَدِّدُ الأَشْكَالِ وَالبَدَائِلِ(2).

ضِمْنَ هَذَا السِّيَاقِ، تَتَنَاوَلُ هَذِهِ الورقة البحثيَّة مَوْضُوعَ "دور المُثقف في المُجتمع العربيِّ: تحدِّياتُ ما بعد انتفاضات عام 2011"، وذلك من خلال التركيز على المحاور الرئيسية التالية:

المحور الأول: تعريف المثقف.

المحور الثاني: تصنيفات المثقفين.

المحور الثالث: المثقف العربي بين الوظائف التقليدية والتحديات الراهنة.

الخاتمة.

المحور الأول: تعريفُ المُثقف:

في أغلب الأدبيَّات التي تتناولُ الثقافة والمُثقف، يُوجدُ دائماً خلطٌ واضحٌ بين المُناقشة المعياريَّة النَّظريَّة للمُثقف (بمعنى تلك التي تتناولُ المُثقف كما ينبغي أنْ يكُونَ) مِنْ جِهَةٍ، وواقع مُثقفين ينتمُون إلى تيَّارٍ مُعيَّنٍ أو بلدٍ بِعَيْنِهَا مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى، ويُؤدِّي هذا الخلطُ إلى عَدَدٍ غَيْرِ نِهَائِيٍّ مِنَ التَّعريفَاتِ والتَّصوُّرات التي يختلفُ بَعْضُهَا عَن بَعْضٍ اخْتِلافاً جَذْرِيّاً فِي كَثِيرٍ مِنَ الأَحْيَانِ؛ فهُناك مَنْ يَرْبِطُ بَيْنَ الثقافة – بِمَعْنَى كَوْنِ الشَّخْصِ مُثقفاً- وتَلَقِّي قَدْرٍ مُعَيَّنٍ مِنَ التَّعْلِيمِ، وهُناك مِنْ يربطُها بِمَوْضُوعِ التَّفْكِيرِ، ثُمَّ هُنَاكَ مَنْ يَرْبِطُهَا بِمَنْهَجِ التَّفْكِيرِ، وَهُنَاكَ مَنْ يُرَكِّزُ عَلَى تَفَاعُلِهَا مَعَ الوَاقِعِ وَتَأْثِيرِهَا فِيهِ(3).

يرى البعضُ أنَّ: "مفهُوم المُثقف (Intellectual)حديثٌ نسبيّاً، حيثُ يعُودُ إلى القرن التاسع عشر، ويُلاحِظُ رايموند وليامز في كتابه (مفاتيح) أنَّ هذه الفئة "انخرطت في العمل الفكريِّ والثقافيِّ، واكتسبت في مساق التطوُّر الاجتماعيِّ بعض الاستقلال عن المُؤسَّسات الرَّاسخة"(4). وأشار بارسونز (Talcoh Parsons) إلى أنَّ المُثقف هُو "المُفكِّرُ المُتخصِّصُ في أُمُور الثقافة والفكر المُجرَّد..". ورأى ويبر(Weber) أنَّ المُثقف هُو "المُفكِّرُ المُتميِّزُ، والمُسلَّحُ بالبَصِيرَةِ"(5). أو هو كل من ينشغل بالأفكار، مثل: الفلاسفة وبعض الأدباء والمؤرخين، والمتخصصين بالعلوم الاجتماعية المختلفة، والعلماء (المتخصصين بالعلوم الطبيعية..)(6).

ومن خلال استقراء الأدبيات يلاحظ وجود عدة تعريفات للمثقف وذلك حسب أنواع المثقفين، ومن بين هذه التعريفات نجد على سبيل المثال لا الحصر:

يُقصدُ بالمُثقف "الشخص المُلمُّ بقضايا مُجتمعه وعصره الأساسيَّة، وبالمعارف الإنسانيَّة التي تُغطِّيها، وذلك بصرف النظر عن القيام الفعليِّ بالعمل من أجل هذه القضايا أو عدم القيام به، ويختلفُ هذا الشخص عن مُجرَّد المُتعلم أو حتى العالم، بهذا الإلمام والاهتمام بالقضايا المُشار إليها، كما يختلفُ عن الفلاَّح أو الجُنديِّ أو العامل مثلاً، ممَّنْ هُم في صميم القضايا، ولكنْ ليس عندهُم الجانبُ المعرفيُّ الكافي".

كما يُمكنُ أن نُعرِّفَ المُثقف بأنَّهُ: "ذلك الشخص الذي يُسخِّرُ طاقاته العلميَّة والعمليَّة من معرفةٍ وخبرةٍ واحتكاكٍ ميدانيٍّ واجتماعيٍّ في خدمة هدفٍ أساسيٍّ وقوميٍّ أو وطنيٍّ وإنسانيٍّ". كما نجدُ تعريفاً آخر للمُثقف وهُو المُثقفُ الوُصُوليُّ الذي"يستخدمُ تكوينه الثقافي من أجل الوُصُول إلى هدفٍ شخصيٍّ يُحقِّقُ لهُ فيما يطمحُ أكبر المنافع المُمكنة المادِّيَّة الاجتماعيَّة - والسِّياسيَّة سواءٌ داخل مُحيطه العمليِّ أو خارجهُ"(7).

ويُعرَّفُ المُثقفُ بأنَّهُ: "ذلك المفكر أو الفيلسوف أو المؤرخ أو الأديب أو الفقيه أو اللغوي الذي ملك المعرفة ومنهجها وأدواتها، وتمتع بذات إبداعية كاشفة وناقدة، وعمل على تطبيقها في واقعه، دون أن تتناقض مع استشراف مستقبله". ولعل هذا التعريف قريبٌ من تعريف محمد أركون حيثُ ذكر أنه: "الرجل الذي يتحلى برُوحٍ مُستقلَّةٍ مُحبَّةٍ للاستكشاف والتَّحرِّي، وذات نزعةٍ نقديَّةٍ واجتماعيَّةٍ تشتغلُ باسم الرُّوح والفكر فقط"(8).

ويرى تشارلز كورزمان أن المثقف: "هو الشخص الذي حصل على تعليم متقدم"، أو هو "منتج الثقافة والأفكار وناقلها"، أو أي منتم إلى هاتين الفئتين على أن يكون مهتما في الوقت نفسه بالقضايا العامة. وتظهرُ هُنا العلاقة بين التعليم والثقافة، بَيْدَ أنَّ التعليم يُمثلُ طريقا واحدةً لتأهيل شخصٍ ما لأنْ يكُون مُثقفاً، وأنْ يُعْتَرَفَ بِهِ أنَّهُ كَذَلِكَ. الطريقُ الأُخْرَى هِيَ القُدرةُ على إنتاج الأفكار والاشتراك في نقلها. ومِنْ وِجْهَةِ نَظَرٍ تاريخيَّةٍ تفاوتت قُدراتُ المُثقفين –بصَرْفِ النظر عن تعريف المُثقف- على التأثير في مُجتمعاتهم(9).

وهُناك تعريفاتٌ عدَّة للمُثقف لا يتَّسعُ المقامُ لِعَرْضِهَا كُلِّهَا، بَيْدَ أنَّ بَعْضَ الباحثين يُؤكِّدُ أنَّ مُصطلح "المُثقف" مُصطلحٌ حديثٌ، عَرَفَتْهُ أوروبا عامَّة وفرنسا خاصَّة، ثمَّ انتقل إلى الثقافة العربيَّة(10)(*).

نذهب إلى الأخذ بتعريف ضيق إلى حد ما لتعريف مفهوم ومعنى المثقف، وهو "منتج الثقافة العليا – من نظريات ومفاهيم وإشكاليات وأفكار ومعاني وتحليلات وتفسيرات للوجود والشرط الإنساني والمشكلات الكبرى وغيرها التي تواجه عالمه وإقليمه ومجتمعه-، ودوره لا يقتصر على البناء للأفكار والمعاني، وإنما دوره في الهدم، وإنتاج القطيعة المعرفية مع المنظورات ونقد السلطات والرؤى والقيم السائدة. هذا المعنى هو النواة الصلبة للمثقفين، وهم قلة قليلة، ويمكن إدخال بعض هوامش وظلال هؤلاء ممن يستهلكون ويتمثلون هذا الإنتاج، ويعيدون تفسيره وتأويله وتبسيطه. إذا هو مبدع الأفكار والمعاني واللغة الجديدة(11).

إن مفهوم المثقف -كما يرى علي حرب- شأنه شأن أي مفهوم آخر، ليس مفهوما بسيطا متواطئا مع ما يقوله، بل يؤلف شبكة من التصورات والاستعارات التي تشكل حاشيته أو بطانته، ويندرج ضمن سلسلة من الثنائيات والمتعارضات التي تشكل شرط إمكانه. بهذا المعنى، فهو يشكل كثافة مفهومية ينبغي اختراق طبقاتها، ويعمل كجهاز مركب ينبغي تفكيك آلياته(12).

خُلاصة ذلك هُو أنَّ الأدبيات التي تتعاملُ مع تعريف المُثقف غالباً ما تدُورُ في حلقةٍ مُفرغةٍ؛ فهُناك تعريفاتٌ نظريَّةٌ قيميَّةٌ لا يُمكنُها أن تشمل كُلَّ من يُعتبرُ مُثقفاً في الواقع، كما أنها تثير عددا من الإشكاليات النظرية. وهناك تعريفاتٌ تُركِّزُ على واقع المُثقفين من دُون أنْ تُحدِّد أوَّلاً الأسس التي دَعَتْهَا إلى اعتبارهم مُثقفين.. وفي جميع الأحوال لا يُمكنُ تعريفُ المُثقف، بصُورةٍ معياريَّةٍ أو فعليَّةٍ، بعيداً عن ذلك الشيء الذي يستمدُّ تسميتهُ منهُ. بعبارةٍ أُخْرَى، لا يُمكنُ تعريفُ "المُثقف" بصُورةٍ مُنفصلةٍ عن "الثقافة" التي تسبقُ المُثقف في عصرنا بالضَّرُورة؛ فأيُّ مُثقفٍ اليوم يُولدُ وينضُجُ في سياقٍ ما. وبما أنَّ تلك السِّياقات تتعدَّدُ، فإنَّ أيَّ تعريفٍ للمُثقف يجبُ أنْ يَسْعَى إلى الجَمْعَ بَيْنَ الاهتمام بتلك السِّياقات وتجاوُز نسبيَّتها وخُصُوصيَّتها في الوقت ذاته(13).

المحورُ الثاني: تصنيفاتُ المُثقفين:

يُلاحِظُ المُطالعُ للأدبيَّات ذات الصِّلة بموضُوع هذه الورقة تعدُّد التَّصنيفات التي حاولت تحديد أنواع المُثقفين في فتراتٍ زمنيَّةٍ مُختلفةٍ، فالمُفكِّرُ الإيطاليُّ أنطونيو غرامشي يُشيرُ في كتابه (دفاتر السجن) إلى أنَّ معيار تمييز فعاليَّات المُثقفين عن غيرهم من الجماعات الاجتماعيَّة لابُدَّ أنْ يبحث عنهُ لا في

الطبيعة الداخلية لهذه الفعاليات بل في وظيفتها الاجتماعيَّة؛ فكُلُّ عملٍ ينطوي على درجةٍ من الإبداع الفكريِّ.. فالمُثقفون هُم مُديرُون وحرفيُّون، هُم نُوَّابُ الطبقة المُهيمنة الذين يُمارسُون الوظائف التابعة للهيمنة الاجتماعيَّة والحُكم السِّياسيِّ. ويُمكنُ تقسيمُهُم إلى: مُثقفين عُضويين: يظهرُون داخل كُلِّ طبقةٍ اجتماعيَّةٍ باستثناء الطبقة الفلاحيَّة، ومُثقفين تقليديين: وهُم الكهنة والمُديرُون والباحثُون والعُلماء.. إلخ، الذين يدَّعُون استقلالاً مُعيَّناً للميدان الاجتماعيِّ، وهكذا يُغطُّون على افتقارهم لهُ(14).

ومنْ هُنا يستخلصُ غرامشي الفارق بين المُثقف التقليديِّ والمُثقف العضويِّ، الأوَّلُ: يعيشُ في بُرجه العاجيِّ، ويعتقدُ أنَّهُ أعلى من كُلِّ النَّاس، في حين أنَّ الثاني يحملُ هُمُوم كُلِّ الطبقات، وكُل الجماهير، وكُل الفقراء والمحرُومين والكادحين.. وعليه، فإنَّ المُثقف الحقيقي هُو المُثقف العُضويُّ الذي يعيشُ هُمُوم عَصْرِهِ، ويرتبطُ بقضايا أمَّتِهِ. إنَّ أيَّ مُثقف لا يتحسَّسُ آلام شعبه لا يستحقُّ لقب المُثقف حتى وإنْ كان يحملُ أرقى الشهادات الجامعيَّة(15).

وقد حاول إدوارد سعيد في كتابه (صُور المُثقف) ضبطاً مفهُوميّاً ينفي صفة الأحاديَّة، ويُوزِّعُ المُثقف على أشكالٍ مُتعدِّدةٍ: المثقف الاحترافي، المثقف المختص، المثقف الهاوي الذي يرفض الاختصاص المغلق، والمثقف الأكاديمي الذي ينتظر المكافأة، وينظر إلى سلطة تحتاج إلى اختصاصه، وإلى الريع الذي تعطيه السلطة مقابل الاختصاص. جاءت تأملات سعيد المتراكمة ردا على نزوع أكاديمي أمريكي، يبدأ بالنخبة العارفة وينتهي بها، ويلقي بقضايا الشأن العام خارجا، ونقدا لمرحلة "ريغانية" قصرت المسافة بين السلطة وأصحاب الاختصاص المعرفي..، كان المقصود فك الارتباط بين السياسة والثقافة النقدية(16)..

*** المُثقفُ والسُّلطة السِّياسيَّة:**

تُوجَدُ عِدَّةُ اتِّجَاهَاتٍ نَظَرِيَّةٍ مُتَبَايِّنةٍ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِعِلاَقَةِ المُثَقَّفِ بِالسُّلطَةِ السِّيَاسِيَّةِ، مِنْهَا مَا يَلِي(17):

1- **الاتجاهُ الوظيفيُّ (Functional Approach):** اعتبر هذا الاتجاه أن المثقفين المستقلين لديهم قدرة على أن يكونوا أكثر تآلفا مع البناء الفوقي، وأكثر تكاملا مع الطبقة الوسطى، الأمر الذي يؤدي لنمو طبقة مثقفة ومعتدلة.

2- **اتجاهُ الماركسية الجديدة (New Marxists):** يعارض الماركسيون الجدد الاتجاه السابق، ليروا أن انغماس المثقف في البناء العلوي

المنظم من قبل الدولة، يفقده استقلاله، ولا يصبح عضوا في الطبقة الوسطى، بل مجرد أجير، ينتمي للبروليتاريا.

3- **اتجاهُ اللاانتماء طبقي:** يقود هذا الاتجاه كارل مانهايم، ويرى أنه يمكن النظر للمثقفين باعتبارهم فئة بلا انتماء طبقي محدد، إذ أنهم يتشكلون من مختلف الطبقات الاجتماعية، ولذا فإن أفكارهم ليست نابعة من تحيز طبقي، كما هو الحال بالنسبة للعمال وأصحاب العمل، وهذا الوضع يمكن المثقف من النظر للأمور بطريقة محايدة.

4- **أصحابُ نظريَّة الصَّفوة (Elite Theorists):** منهم باريتو وموسكا وميتشيلز، وأكدوا أن المثقفين تبدو لديهم نزعات تسلطية، واتجاهات غير ديمقراطية. ويتجلى أفضل مظهر لتلاحم المثقف مع طبقته، فيما أطلق عليه المفكر الإيطالي أنطونيو غرامشي (المثقف العضوي) الذي سلفت الإشارة إليه، إذ يرى أن كُلَّ مجمُوعةٍ اجتماعيَّةٍ، ومن مُنطلق وظيفتها في عالم الإنتاج الاقتصاديِّ، تخلقُ معها، عفويّاً، فئةً أو أكثر من المُثقفين الذي يَمْنحُونَهَا التَّجانُس والوعيّ بوظيفتها، ليس في الميدان الاقتصاديِّ فحسبُ، بل في الميدان السِّياسيِّ والاجتماعيِّ.

ممَّا سبق يتضحُ أنَّ المُثقفين ليسُوا جبهةً واحدةً في مُواجهة السُّلطة، ومنْ ثمَّ فإنَّ إنتاجهُم، لا يُمثِّلُ كُلُّهُ بالضَّرُورة أداةً لكَبْحِ جِمَاحِهَا، فمِنْ بينهم من لهُ مصالح اقتصادية واجتماعية، يحرص عليها، ومن بينهم من يخشى على نفسه من السلطة، ولذلك فإن يلجأ لتطبيع علاقته معها(18). وخلص خالد زيادة في دراسته (الكاتب والسلطان) إلى "أن ما اعتبر أزمة علاقة المُثقف بالسُّلطة، لا يُمكنُ أنْ يُشكِّل نُقطة انطلاقٍ لقراءة تجارب استغرقها التاريخُ، فهذه الأزمة المُعاصرةُ لا تملكُ قُدرةً استرجاعيَّةً، ولا تُفسِّرُ علاقة أهل العلم وأهل القلم بالسُّلطة الحاكمة"(19). وعلى الصعيد العربي، نقلت السلطات السياسية، منذ منتصف سبعينيات القرن الماضي، الثقافة في شكلها المسيطر، من حيز الاحترام الاجتماعي، الذي كانت تفرضه أعراف متعددة، إلى حيز التجمل الاجتماعي الذي اختلطت فيه "الشهرة الإعلامية" والجوائز المالية و"الكرنفالات الثقافية"، ومع أن هذا الانتقال بدا احتفاء بالثقافة والمثقفين، فقد كان دوره اختراع صور ثقافية إيجابية لسلطات تعادي الثقافة، وإعادة تعريف للمثقف كمبدع مفرد، ثنائي المرجع: الكتب والسلطة. وبقدر ما كان هذا يُضفي شرعيَّة على أنظمةٍ سفَّهت التعليم وقوَّضت الجامعات، كان ينزعُ، في

اللحظة عَيْنِهَا، عن المُثقف مشرُوعيَّتهُ الأخلاقيَّة والمعنويَّة. أنجزت السُّلطاتُ، في حُدُود المُمكن، فَصْلاً بَيْنَ المُثقف والشَّعْبِ مُعتمدةً، في لحظةٍ أولى، على إلغاء المجال الديمقراطيِّ الذي يصلُ بينهُما ومُعتمدةً، في لحظةٍ لاحقةٍ، عَلَى سَحْبِ المُثقف إلى مَجَالِهَا الخَاصِّ، الذي تُتَرْجِمُهُ "وظائف إداريَّة" مُختلفة الأهمِّيَّة والمَرْدُودِ(20).

المحورُ الثالثُ: المُثقفُ العربيُّ بين الوظائف التقليديَّة والتَّحدِّيات الرَّاهِنَةِ:

1- الوظائف التقليديَّة للمُثقف العربي:

كانت مُهمَّة المُثقف قديما تتمثلُ في تحقيق التنوير والحداثة(21)، وإذا تجاوزنا المراحل التاريخية العديدة فإننا نتوقف عند مفكري القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، ممن شكلوا ثقافة عصر النهضة العربية، فهؤلاء تناولوا الثقافة في إطار القضايا الكبرى التي مر بها المجتمع العربي، وعالجها أكثرهم من خلال أطر فكرية اجتماعية ودينية وسياسية في ضوء مفاهيم الإصلاح والتطوير، ما جعلهم يطرحون آرائهم بين يدي المشروع النهضوي التحرري الذي تبنوه، في ضوء منهج عقلي مزج بين الأصالة والمُعاصرة(22). وقد عبرت مواقف النخب المثقفة آنذاك عن أحد اتجاهات ثلاثة رئيسية: الاتجاه الأول: الاتجاه الليبرالي الغربي، وأتباعه هم من المفكرين المتأثرين بالحضارة الغربية وإنجازاتها العلمية وقيمها الثقافية (منهم: فرح أنطون)، الاتجاه الثاني: الديني-الإسلامي: ويختلفُ أنصارُهُ عن الاتِّجاه الأوَّل في أمرين: أحدُهُما: أنَّهُم لا يعتبرُون الدِّين عُنصُراً هامّاً لحياة الإنسان الشَّخصيَّة فحسبُ، لكنَّهُ في تصوُّرهم يُمثلُ قُوَّة اجتماعيَّة تُعبِّئ الأمَّة وتُوحِّدُها وتُنهضُها، والآخرُ: أنَّهُم يرفُضُون الحضارة الغربيَّة على مُستوى القيم والإنجازات المادِّيَّة سواءً بسواءٍ(منهُم: مصطفى صادق الرافعي وعبدالعزيز جاويش). الاتجاهُ الثالثُ: الاتِّجاهُ التوفيقيُّ: ويُحاولُ أنصارُهُ المُواءمة بين القواعد الرُّوحيَّة والأخلاقيَّة التي يستندُ إليها المُجتمع في حركته الاجتماعيَّة، والتي تنبُعُ من الحضارة العربيَّة الإسلاميَّة، والاستفادة من إنجازات الحضارة الغربيَّة على صعيد العلم والتكنُولوجيا. ويُعبِّرُ مُمثلُو هذا الاتِّجَاهِ مثل: محمد حسين هيكل وطه حسين عن تأثر بأفكار محمد عبده (1849-1905)(23).

"وقد عبَّر اختلاف المُثقفين العرب أنفُسُهُم فيما يخُصُّ إشكاليَّة "التراث والحداثة" طوال المائتي عامٍ المُنْصَرِمَةِ عَنْ أَزْمَةِ الثقافة العربيَّة الحديثة والمُعاصرة، حيثُ يفتقرُ مُثقفُوهَا، المُنتجُونَ لَهَا، والمُعبِّرُونَ عَنْهَا،

إلى وجود اتفاق على مبادئ أساسيَّة أو أسسٍ ثابتةٍ، ولو بصُورةٍ نسبيَّةٍ"(24).

2-التَّحدِّياتُ الرَّاهِنَةُ التي يُواجِهُها المُثقفُ العربيُّ:

لقد بات من الواضح أن المهام التقليديَّة التي يقُومُ بها المُثقفُ من توعيةٍ للناس وتنظير أيديولوجي لفكرهم وتوجيههم إلى الطريق الصحيح بغية الإصلاح، أصبحت مهاماً عَفَا عليها الزمن، ولم تعد لها فائدة تذكر، كما يرى البعض، فاليوم ليس مطلوبا من مثقفنا أن يكون مجرد ناقد لأوضاع المُجتمع، بل المطلوب منه أن يعيد من جديد بناء المفاهيم والحقائق والبديهيات التي تسيطر على الثقافة، وأنْ يقلب طُرُق التفكير البالية.. ويقُوم بدَوْرِ الصَّانِعِ للحَقَائِقِ..، وفق مُتطلبات الواقع، وإنجازات العلوم الإنسانيَّة الحديثة(25).

ويتحدَّثُ البعضُ عن مُفارقةٍ بارزةٍ، وهي أنَّ المُثقف يفقدُ أهمِّيَّتهُ وتقلُّ فاعليَّتُهُ، بقدر ما ينخرطُ في مُجتمعه أو يتكيَّفُ ما واقعه، أو بقدر ما تتحوَّلُ مُهمَّتُهُ إلى مُجرَّد حرفةٍ أو مهنةٍ. وبالعكس، فإنَّ أهمِّيَّتهُ تتجلى، بقدر ما يُمارسُ تمايُزهُ وفرادته، أي بقدر ما يُعبِّرُ عن تجربةٍ أصليَّةٍ فذَّةٍ، ويكُونُ لهُ أداؤُهُ المُميَّزُ، وأسلُوبُهُ الفريدُ المُبتكرُ. ولعل هذا ما جعل إدوارد سعيد يقفُ موقفاً وسطاً، مترددا بين صورتين للمثقف تقعان على طرفي نقيض: نموذج المثقف الطوباوي عند جوليان باندا، ونموذج المثقف العضوي عند أنطونيو جرامشي. ومن هنا كانت الإشكالية التي طرحها هي: كيف يُحافظ المُثقف على استقلاليته وفاعليته في آن واحد؟، بحيث لا يكون طوباويا، ولا ينغمس في واقعه كل الانغماس؟(26).

إن سياسة تهميش الثقافة التي اتبعتها بعض الأنظمة العربية، والتي تمثلت أبرز ملامحها في سيطرة الدولة على المؤسسات الثقافية والاجتماعية، كان من نتائجها أن صار المثقف هو الضحية الاجتماعية المغيبة عن ساحات المعارك، لينتهي بالتالي تأثيره الثقافي في نقد السياسة والاقتصاد والاجتماع، وهذا التغييب على مدى عقود من التجربة (النظامية) العربية كان أحد أهم أسباب ظهور "ثقافة النخبة". فالمثقف النخبوي هو الذي انقطع اجتماعيّاً-قسريّاً أو إراديّاً- والتحم بفئةٍ قليلةٍ من المُثقفين المُختلفين، الذين لم يعُد يعنيهم تأثيرُهُم الثقافي في الجُمهُور، بقدر ما يعنيهم حضورهم الخاص في حياة النخبة من خلال كتابات وإبداعات شاءت أن تكون مختلفة، وخارج أزمات المعاش الاجتماعي المتباين، نتاج النظام السياسي(27).

وفي مُقابل "المُثقف النخبوي" المُتسمِّر في بُرجه العاجي، هُناك "المُثقف الشعبوي" إذا صح التعبير، حيث أن النزعة الشعبوية تلاحظ في كتابات بعض المثقفين، الذين

يكتبون ما يرضي الشارع، ويجاري أحلام الناس السياسية..، فالمثقف العربي اليوم عندما يمارس فعل الكتابة، فإنه غالبا يمارس السيطرة عن طريق الكتابة، في حين أن الدور المطلوب من المثقف هو دور تنويري عقلاني، يقوم على الكشف عن أدوات الهيمنة غير المباشرة، وفضح الأوهام والمتناقضات الموجودة في وعي الناس، وإعادة تشكيل الحقائق والبديهيات من جديد(28).

وبطبيعة الحال فإن تغير معطيات الظروف الدولية والإقليمية والمحلية تعني بداهة تغير وظائف ودور المثقفين، وسنلاحظ مثلا أن ثمة متغيرات تكنولوجية استلزمت حدوث هذه التغيرات، حيث يتناول د.نبيل علي خمسة جوانب رئيسية عن مثقف عصر المعلومات، هي: أولا: هل ستعيد تكنولوجيا المعلومات للمثقف مجده القديم؟، بعد أن همشت تكنولوجيا الصناعة دوره حتى كاد أن يصبح ديكورا اجتماعيا، أو خادما للسلطة، أو مناضلا بسيوفه الخشبية.. فعلى المُثقف أن يُواجه خيارهُ المصيري، فإما أن يدرك ما تعنيه تكنولوجيا المعلومات له ولجماهيره، وأن يتقن استخدام أدواتها، وإلا ففناؤه لا محالة تاركا خلفه فراغا ثقافيا.. ثانيا: أين يكمن جوهر العلاقة بين المثقف وتكنولوجيا المعلومات؟، وسيلتنا للوصول إلى هذا الجوهر هي: إقرارنا بأن مهمة المثقف الحقيقية هي تطبيق الفكر على الواقع، واقتراح تكتيكات عملية تعين جماهيره على التعامل مع تناقضات هذا الواقع، من أجل تحسينه أو تغييره.. ثالثا: أي نوع من المثقف تحتاج إليه أمتنا العربية في هذه الفترة الحاسمة من تاريخها؟، هل هو: المثقف الناقد الراصد مناضل المقاعد الوثيرة؟، أم المثقف المناضل المتشابك مع واقعه، والمساهم في تغييره؟....، رابعا: كيف الخروج من تلك المتاهة مع ندرة الدراسات العربية الجادة التي تتناول موقف مثقفنا العربي إزاء ظاهرة المعلومات، ولا سبيل أمامنا إلا الرحيل إلى ديار غيرنا عبر الإنترنت، بحثا عن علاقة المثقف بتكنولوجيا المعلومات.. خامسا: كيف يجمع التكنومُثقف العربي بين انشغاله مع الأصول، وضرُورة رصده للفروع الخاضعة لهذه الأُصُول؟...، إنَّ عليه أنْ يكتسب القُدرة على تفكيك هيكليَّة القوى الاجتماعيَّة المسيطرة، وأن يستمر في قيامه بمهمة الناقد المناضل(29)..

ذلك النضال التي تحدث عنه عبدالرحمن منيف قبل عقود، مؤكدا أن المثقف يفترض أن يكون مخلصا وأمينا للقناعات التي ينادي بها، كما يجب ألا يكون أداة لجلد المثقفين الذين يختلفون معه واستعداء الآخرين، دولا ومؤسسات وتقاليد، كما يجب ألا يكون شاهد زور، وعليه ألا يجمل القبح بأن يعطيه معان مختلفة.. فالمثقف يصدر عن

ضميره، ويفترض أن يتعامل ضمن رؤية أخلاقية، وأن ما يواجهه قيم التاريخ ورؤى المستقبل، وبالتالي، فإن عليه واجبات والتزامات تتجاوز الآني والعارض، ويجب أن يكون شاهد عصره(30).

ويرى نبيل عبد الفتاح أن: ثمة إعاقات تكوينية، تحول بين غالب المثقفين، وبين استيعاب غالبهم للعالم الهادر بالسيولة وموجاتها، والما بعديات وصخبها وتشوشها واضطرابها، وسقوط مقولات وصعود أخرى، تتمثل في أنه لا يزالون – إلا قلة قليلة منهم- عند حدود الصور التاريخية المتمثلة والمستصحبة لمثقف النهضة، والمرحلة شبه الليبرالية، ودوره المعتقل في المراحل الشمولية والتسلطية في أعقاب نظم ما بعد الاستقلال، ومن ثم لم يتجاوز سوى قلة قليلة هذه التمثلات التاريخية للمثقف في تاريخنا، ويعود ذلك إلى ما يلي(31):

- الفجوة المعرفية بين تكوين بعض المثقفين المبتسر، وبين التطورات في النظم الفكرية، والعلوم الاجتماعية ومناهجها، وبين ما يجري في الفضاءات الكونية من تغيرات فكرية ومعرفية وثقافية. بعض ذلك يعود إلى عدم المتابعة والتجدد الفكري والنظري – بتعبير السيد يسين-، أو إلى عدم إجادة اللغة الأجنبية الكبرى، أو إلى عدم مواكبة حركة الترجمة للجديد في ثقافات العالم.
- صعود سلطة الثورة الرقمية، وبدايات تشكل جنيني لما يمكن تسميته "المثقف الرقمي" من الأجيال الشابة الجديدة التي تختلف في تكوينها ورؤاها ومقارباتها عن أشكال وصور المثقف السائدة في عالمنا ومجتمعاتنا العربية، وبدء تشكل بعض ملامح الصورة الرقمية الجديدة لدى قلة محدودة جداً من الشباب.
- تراجع وأفول السرديات الكبرى- وفق تعبيرا جان فرنسوا ليوتار في الشرط ما بعد الحداثي – وتمدد عمليات التشظي، وبروز أشكال المحاكاة الساخرة وبدايات التحول إلى ما بعد الحداثة، بعد استنفاد قدراتها على الوصف والتشخيص والتحليل لأوضاع المجتمعات السائلة والمتغيرة وأنساقها، على تعددها، وتناقضاتها.
- سلطة الإعلام الرقمي والمرئي، والحضور الضعيف والهش للمثقف في إطار برامجه، وسعيها للتركيز على الموجز المختصر، ومن ثم على العناوين الصاخبة والمثيرة – الكلاشيهات – دون التعمق في جذور موضوعاتها، وجوانبها المختلفة، وميلها إلى التبسيطات التي تناسب المتلقي العادي، على نحو أدى إلى بروز ما يمكن تسميته بسلطة العادي

واهتماماته وأمزجته وسطحيته، وسعيه وراء المثير من الوقائع والأخبار والشروح السريعة المُبتسرة.

- اضطراب المعاني في العالم المابعدياتي وتناقضاتها وطابعها النسبي والغائم والمستعصي نسبياً على التنظيرات الكبرى، والمعاني الشمولية كنتاج لحالة السيولة والاضطراب الكوني في ظل تغيرات في مفاهيم القوة والمكانة مع بدء ملامح أولية أو جنينية – على الأرجح- تراجع نسبي للإمبراطورية الأمريكية، والنفط ومصادر الثروات الأولية وصناعاتها واقتصادياتها.
- من هنا يبدو أن المثقف الورقي في حالة تراجع نسبي لصالح المثقف الرقمي، وخطاب التغريدات، ولغته الموجزة والمختصرة والتي يتداخل فيها الأرقام والحروف والأفكار المبسطة وبعضها مستهلكة، وفي ذات الوقت ثمة مواقع ثقافية مهمة لكنها لا تزال في طور نقل ثقافة الورقي إلى الفضاءات الرقمية كساحة عرض، وبث أكثر منها تفاعلاً واستيعاباً للغة الرقمية.

*** الخاتمة: المثقفون العرب وتبني خطاب "التحديث والتقدم":**

بالإضافة إلى ما سبق، فإن هذه المعطيات الراهنة في العالم بأسره تجعل من الأهمية بمكان أن يقوم المثقفون بدور استراتيجي فيما يتعلق بضرورة تقديم "مشروع نهضوي عربي"، يضع في اعتباره كل التحديات التي انعكست سلبيا على دور المثقف في مجتمعه، وحالت دون أدائه لمهامه الوطنية المنوطة به، ويجمع شتات كل الجهود العلمية التي بذلت في السنوات الماضية على الصعيد العربي من أجل هذا الغرض، سواء في الجامعات الحكومية أو غير الحكومية أو المراكز البحثية أو من قبل الباحثين والخبراء والمفكرين المختصين في مجال التخطيط الاستراتيجي والاقتصاد والسياسة والقانون والإعلام وعلم الاجتماع وغيرها.

نحتاج اليوم إلى نهضة ثقافية جديدة، تستوعب نتائج التغييرات السياسية في المنطقة العربية، وتعمل على فتح فضاءات رحبة من الأمل والتفاؤل عند المواطن العربي الذي خابت آماله بعدأن اعتقد أن مجرد إسقاط الأنظمة السابقة سوف يجلب له السعادة والراحة والتقدم والعيش الكريم.

وفي هذا الصدد، يرى البعض أن الأزمة التي يعانيها "المثقف العربي" ترتبط مباشرة بغياب الرؤية الأصيلة التي تدفع صاحبها للنظر إلى الأشياء من موقعه الزماني والمكاني. فعجز المثقف عن التأثير في محيطه، وتطوير ثقافة مجتمعه، يُعزى إلى

طبيعة الحلول التي يقدمها، والتي لا تتوافق مع طبيعة المشكلات التي تمر بها الشعوب العربية. وإذا ما أراد المثقفون العرب النهوض بأمتهم وتحقيق مشروعهم الحضاري فإن عليهم أولا وقبل كل شيء أن يكونوا أصلاء، والأصالة في سياق الثقافة العربية تعني البحث عن أصول هذه الثقافة التي أعطتها توجهها وبنيتها المتميزين، واعتماد تلك الأصول لتحديد مواضع القصور والانحراف في السلوك الثقافي والأصالة العربية الإسلامية. كما أن أصالة المثقف لاتقف عند التزامه بالأصول الإسلامية للوعي الحضاري التاريخي للشعوب المسلمة، بدءا بالشعوب العربية، بل تنبع أيضا من ارتباط الوعي بالتجربة التاريخية للذات، أي بوعي المثقف للسياق التاريخي والجغرافي الذي يعيشه. كما أن الأصالة الثقافية تتطلب استحضار العناصر الكلية في التراث الثقافي، والمثقف الأصيل قادر من خلال استحضار تلك الكليات على تجاوز خصوصيات ثقافية وإعادة تشكيلها وفق الكليات الإسلامية، وبالتالي تجديدها دون إضاعة هويتها، أو إنكار تاريخها وتراثها المميز لها. وبناء عليه فإن الأصالة والتجديد ليسا مفهومين متقابلين، بل هما مفهومان متكاملان. فلا تجديد حقيقي دون أصالة تربط الحاضر بالماضي، وتبني المستقبل على إنجازات السلف(32).

أما على الصعيد المحلي فإنني أرى أن على المُثقفين دوراً مُهمّاً ومسؤُوليَّةً كبيرةً، تتمثلُ في ضرُورة دعم بناء دولة القانون والمُؤسَّسات، والعمل على تعريف الرأي العام المحلي والعربي والدولي بليبيا الديمقراطية، وتاريخها العريق، ومجتمعها المتجانس، ونأمل من كافة الجهات المُختصة تذليل كل العقبات التي قد تحُولُ دون قيام المُثقف بهذا الدور الوطني، نتمنى تشجيع قطاعات النشر والمطبُوعات في الدولة، ودعم الأبحاث العلميَّة، والمُساهمة في إعداد المُؤتمرات والندوات وورش العمل التي تُعرِّفُ المُواطن بدور المُثقفين في المُجتمع، والعوامل التي يمكن أن تساهم في تعزيز هذا الدور.

يَقُولُ بريخت فِي إِحْدَى قَصَائِدِهِ: (إِنَّهُمْ لَنْ يَقُولُوا: كانت الأَزْمِنَةُ رَدِيئَةً، وَإِنَّمَا سَيَقُولُونَ: لِمَاذَا صَمَتَ الشُّعَرَاءُ؟)، ويقُولُ عبدُ الرَّحمن منيف عام 1985: نعم، سيَسْأَلُونَ لِمَاذَا صَمَتَ الشُّعَرَاءُ؟، وَلِمَاذَا غَابَ المُثَقَّفُونَ؟، وَلِمَاذَا امْتَلأَ الوَطَنُ (العَرَبِيُّ) بِهَذَا المِقْدَارِ الهَائِلِ مِنَ الصَّمْتِ وَالسَّوَادِ؟،... إلاَّ إِذَا تَكَلَّمَ المُثقفُونَ، وَقَالُوا بِصِدْقٍ، مَا يَجِبُ أَنْ يُقالَ، فَعِنْدَئِذٍ سَيَتَغَيَّرُ السُّؤَالُ(33).

أَخِيراً أَقُولُ: إنَّ المُثقف العربيَّ اليَوْمَ مُطالَبٌ بأداء دَوْرِهِ التَّنْوِيرِيِّ المُهِمِّ، مَا اسْتَطَاعَ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلاً، فَهُو بالنِّسْبَةِ لِمُجْتَمَعِهِ مِثَالٌ يُحْتَذَى، وَقُدْوَةٌ حَسَنَةٌ؛ لأَنَّهُ تَشَرَّفَ بِحَمْلِ

وَالتَّقَدُّمِ المَأْمُولِ فِي كَافَّةِ المَجَالاَتِ، إِذَا خَلصَتِ النَّوَايَا، وَصَدَقَتِ المَقَاصِدُ.

أَمَانَةِ القَلَمِ، وَمَسْؤُولِيَّةِ الكَلِمَةِ، وَعَلَى خُطَاهُمْ تَسِيرُ الأَجْيَالُ القَادِمَةُ، وَتُبْنَى الأَوْطَانُ، وَتَتَحَقَّقُ أَحْلاَمُ التَّغْيِيرِ الإِيجَابِيِّ،

هوامش:

1- محمد صابر عبيد، "من أجل ربيع آخر للثقافة العربية: المثقفون العرب نخب أم أقليات؟"، مجلة: الآخر، مؤسسة: 40، العدد: 3، شتاء 2012، ص 18 .

2- فيصل دراج، "افتتاحية العدد: الثورات العربية وصور المثقف"، مجلة: المستقبل العربي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، العدد: 393، نوفمبر 2011، ص ص 7-8 .

3- عمرو عثمان ومروة فكري، المثقف العربي ومتلازمة ميدان تيانانمن، بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2016، ص 24.

4- أنظر: جون فرو، "المثقف"، في: طوني بينيت وآخرين، مفاتيح اصطلاحية جديدة: معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، ترجمة: سعيد الغانمي، بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2010، ص 586. وكذلك: حسين مهدي، "مفهوم الثقافة وجذور مفهوم المثقف"، موقع: صحيفة الوطن السورية، بتاريخ: 2016/4/10، http://alwatan.sy/archives/48618

5- إبراهيم قويدر، أزمة الثقافة والمثقف في الوطن العربي، القاهرة: مطبعة جامعة الدول العربية، 2003، ص ص 22-23. وجاء في موسوعة السياسة: الانتلجنسيا :(Intelligentsia) الفئة المثقفة وتتألف من أناس يمارسون نشاطا فكريا بحكم مهنهم. ومنهم رجال العالم والفن والمهندسون والتكنيكيون والأطباء والمحامون والمعلمون.. إن الانتلجنسيا ليست طبقة منفصلة؛ ذلك أنها لا تشغل مكانا مستقلا في نظام الانتاج الاجتماعي.. وفي بلدان العالم الثالث تقوم الانتلجنسيا بدور أساسي في حركة التحرر القومي، وفي نشر الوعي بضرورة الحفاظ على الشخصية القومية في وجه المؤثرات الخارجية. أنظر: عبد الوهاب الكيالي وآخرون، موسوعة السياسة: الجزء الأول، ط5، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2009، ص 348 .

6- عمرو عثمان ومروة فكري، المثقف العربي ومتلازمة ميدان تيانانمن، مرجع سبق ذكره، ص 25 .

7- كريمة فلاحي، "المثقف في الوطن العربي ورهانات المستقبل"، مجلة: العلوم الاجتماعية، برلين، المركز الديمقراطي العربي، العدد: الأول، أكتوبر 2017، ص 33.

8- حسين جمعة، "المثقف والسلطة: ماهية المثقف والسلطة والسلطان"، مجلة: الثقافة العربية، بنغازي، مجلس الثقافة العام، العدد: 292، فبراير 2008، ص 30 .

9- عمرو عثمان ومروة فكري، المثقف العربي ومتلازمة ميدان تيانانمن، مرجع سبق ذكره، ص ص 26-27.

10- حسين جمعة، مرجع سبق ذكره، ص 31.

(*) يذكر محمد عابد الجابري: أنه في نهاية القرن التاسع عشر حُكم في باريس على ضابطٍ فرنسي اسمُهُ (الفريد دريفوس) بالنفي إلى غويانا بتهمة التجسس لصالح ألمانيا، وحاول أهله وأصدقاؤه إثبات زيف

ما اتهم به، فاتجهوا إلى الرأي العام يستنهضونه للمطالبة بإعادة المحاكمة، وبالفعل أصدرت شخصيات كبيرة في الفكر والأدب "بيان المثقفين"، وهذه حسب الجابري أول مرة يستعمل فيها هذا اللفظ. أنظر: عبد الرحمن بن زيد الزنيدي، المُثقفُ العربيُّ: بين العصرانيَّة والإسلاميَّة، الرياض: دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، 1430، ص 32 .

11- نبيل عبد الفتاح، "الخطاب حول المثقف وأدواره في سياقات متغيرة"، موقع: المركز العربي للبحوث والدراسات، بتاريخ: 8/يناير/2017، متاح على الرابط التالي : http://www.acrseg.org/40425

12- علي حرب، أوهامُ النخبة: أو نقد المُثقف، ط3، الدار البيضاء/ بيروت: المركز الثقافي العربي، 2004، ص 49 .

13- عمرو عثمان ومروة فكري، مرجع سبق ذكره، ص 28.

14- للمزيد أنظر: جون فرو، "المثقف"، في: طوني بينيت وآخرين، مفاتيح اصطلاحية جديدة، مرجع سبق ذكره، ص ص 587-588. وكذلك: أنطونيو غرامشي، رسائل السجن: رسائل أنطونيو غرامشي إلى أمه (1926-1934)، الجزء الأول،ترجمة: سعيد بو كرامي، لندن: طوى للثقافة والنشر والإعلام، 2014. وأيضا: مجموعة باحثين، موسوعة المفكرين السياسيين في القرن العشرين، تحرير: روبرت بنيويك وفيليب جرين، ترجمة: مصطفى محمود، القاهرة: المركز القومي للترجمة، المشروع القومي للترجمة (1684)، 2010، ص ص 184-189 .

15- سيار الجميل، "مفهوم المثقف العضوي ودوره في التغيير"، موقع: سيار الجميل، بتاريخ: 29/ديسمبر/2007، على الرابط التالي : http://www.sayyaraljamil.com/Arabic/viewarticle.php?id=index-20071229-1312

16- وأنظر: علي المرهج، "من هو المثقف العضوي؟.. قراءة نقدية للشائع حول مفهوم غرامشي"، موقع: العالم الجديد، 21/مايو/2018، https://alaalem.com/article/47128%D9%85%D9%86%D9%87%D9%88%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%AB%D9%82%D9%81%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B6%D9%88%D9%8A%D8%9F%C2%A0%D9%82%D8%B1%D8%A7%D8%A1%D8%A9%D9%86%D9%8.

17- فيصل دراج، "افتتاحية العدد: الثورات العربية وصور المثقف"، مرجع سبق ذكره، ص 11. وأنظر: إدوارد سعيد، صور المثقف: محاضرات ريث سنة 1993، نقله إلى العربية: غسان غصن، بيروت: دار النهار للنشر، 1996. وكذلك: موريس أبو ناظر، "إدوارد سعيد: المثقف المنفي عن البلاد والعباد"، مجلة: العربي، الكويت، العدد: 683، أكتوبر 2015، ص ص 105-109.

18- للمزيد أنظر: عمار علي حسن، النص والسلطة والمجتمع: القيم السياسية في الرواية العربية، القاهرة: مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، 2002، ص 35.

19- المرجع السابق نفسه، ص ص 35-36. وأنظر مثلا: بلال الحسن، ثقافة الاستسلام: قراءات نقدية في كتابات كنعان مكية، حازم صاغية، صالح بشير، العفيف الأخضر، أمين المهدي، بيروت: رياض الريس للكتب والنشر، 2005. وحول ثقافة التسلط والديمقراطية في العالم العربي أنظر: محمد

زاهي بشير المغيربي، بحوث في ثقافة الديمقراطية والنظام العربي، طرابلس/ ليبيا: المركز العالمي للأبحاث والدراسات، 2005، ص ص 91-103.
20- خالد زيادة، الكاتب والسلطان: من الفقيه إلى المُثقف، القاهرة: الدار المصريَّة اللبنانيَّة، 2013، ص 297 .
21- للمزيد أنظر: فيصل دراج، "افتتاحية العدد: الثورات العربية وصور المثقف"، مرجع سبق ذكره، ص 12. وكذلك: محمد المختار ولد السعد، عوائق الإبداع في الثقافة العربية بين الموروث الآسر وتحديات العولمة، دراسات استراتيجية، العدد: 115، أبوظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، 2006. ومحي الدين صبحي، الأمة المشلولة: تشريح الانحطاط العربي، بيروت: رياض الريس للكتب والنشر، 1997. وسعد محمد رحيم، المُثقفُ الذي يدُسُّ أنفهُ: مقاربات فيمفاهيم الأنسنية والتنوير والحداثة والهوية والوظيفة العضوية للمثقف، بغداد: دار سطور للنشر والتوزيع، 2016. وكذلك: حليم بركات، غربة الكاتب العربي، بيروت: دار الساقي، 2011 .
22- أنظر: جون فرو، "المثقف"، في: طوني بينيت وآخرين، مفاتيح اصطلاحية جديدة، مرجع سبق ذكره، ص 587 .
23- للمزيد أنظر: حسين جمعة، "المثقف والسلطة"، مرجع سبق ذكره، ص ص 28-29 .
24- علي الدين هلال ونيفين مسعد، النظم السياسية العربية: قضايا الاستمرار والتغيير، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2000، ص ص 102-103. وفيما يتعلقُ بالحصيلة الفكريَّة العربيَّة أنظر: القسم الأول: الحصيلة الفكرية، في: عبد الإله بلقزيز (إشراف)، الثقافة العربية في القرن العشرين: حصيلة أوليَّة، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2011، ص ص 29-664.
25- عمرو عثمان ومروة فكري، المثقف العربي ومتلازمة تيانانمن، مرجع سبق ذكره، ص ص57-58 .
26- للمزيد أنظر: رشيد الحاج صالح، الوجه السياسي للثقافة العربية المُعاصرة: الوعي الدِّينيُّ الثقافة الشعبية العقليات الهوية النظم المعرفية دور المُثقف التراث العلم، بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، 2012، ص 295. وأنظر مثلا: زهير محمود عبيدات، "قراءة في رواية "ذاكرة الماء"، مجلة: المنارة، المجلد: 12، العدد: 1، 2006، ص ص 185-186.
27- علي حرب، أوهامُ النخبة: أو نقد المُثقف، مرجع سبق ذكره، ص 49.
28- سالم الهنداوي، حائط اليوم السابع: تأملات في جهة الضوء، نيقوسيا/ قبرص: شركة المتوسط الدولية للنشر، 2005، ص 93 .
29- رشيد الحاج صالح، الوجه السياسي للثقافة العربية، مرجع سبق ذكره، ص 297 .
30- للمزيد أنظر: نبيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات: رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي، سلسلة: عالم المعرفة، العدد: 265،الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 2001، ص ص 56-60. (بإيجاز .(
عبد الرحمن منيف، الديمقراطية أولا.. الديمقراطية دائما، ط5، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر والمركز الثقافي العربي، 2007، ص ص 18-19 .
31- نبيل عبد الفتاح، "الخطاب حول المثقف وأدواره في سياقات متغيرة"، موقع: المركز العربي للبحوث والدراسات، بتاريخ: 8/يناير/2017، متاح على الرابط التالي: http://www.acrseg.org/40425

32- للمزيد أنظر: أحمد الموصللي ولؤي صافي، جذور أزمة المثقف في الوطن العربي، دمشق: دار الفكر، 2015 .
33- عبد الرحمن منيف، الديمقراطية أولا.. الديمقراطية دائما، مرجع سبق ذكره، ص 19.

دور المثقف في المرحلة الراهنة*

محمد علي المبروك

الثقافة في أي بلاد هي العقل لتلك البلاد، العقل بمخزوناته المعرفية والفكرية والخلقية والاجتماعية والإنسانية والتاريخية والحضارية وإبداعاته الفكرية والأدبية والاجتماعية والسياسية وبالتزاماته الذاتية المحكمة للسلوك الاجتماعي والاقتصادي والسياسي المسير للبلدان والمجتمعات البشرية وغيابها في اي بلاد من البلدان او مجتمع من المجتمعات هو غياب للعقل عن تلك البلاد وحال انعدامها هو حال الشعوب البدائية الاولى. هذه الثقافة الممثلة في قمة العقل الانساني ناتجة عن عقول المثقفين الذين أرسوها كدعائم لسير المجتمعات البشرية عبر إنتاجاتهم المختلفة وعبر اراداتهم الحية.

- **من هو المثقف؟**

المثقف هو الانسان الذي يتميز عن اي شريحة مجتمعية بمخزون وافر مستخلص من المعارف والأفكار والإبداعات العقلية المحلحلة لكافة التعقيدات والمشاكل الت تمر بها المجتمعات البشرية.

ويتميّز بالإلمام والاستيعاب العقلي لكافة الخصائص الاجتماعية والسياسية والاقتصادية لمجتمعه ولكافة الظواهر العالمية وللخصائص العقلية والنفسية للذات البشرية في مجتمعه وغيرها من المجتمعات ويتميّز عن أي شريحة بأنه شريحة معبرة عن الأحزان والتعقيدات والظواهر الاجتماعية عبر أدوات عدة كالكتابة بأنواعها الصحفية والأدبية وعبر الفنون كالمسرح والرسم والتمثيل والنحت والغناء، وعبر الخطابات الاجتماعية والإعلامية وحتى عبر الحياة الشخصية الخاصة به وعبر تواصله الاجتماعي الضيق، وعبر أفراد عائلته وحتى عبر ذاتيته وفرديته، ويتميّز المثقف عن غيره بقدرات

عقلية منتجة لتحليلات صائبة ومحددة للظواهر والتعقيدات، وأسباب نشوئها ومبدعة للحلول التي لا بديل عنها، والمثقف ليس ذات إبداعية فقط؛ بل ذات عقلية شاملة تستوعب الثقافة الإنسانية والأصول الحضارية وتتعايش معها بانسجام، متجاوزة بذلك الأفكار والثقافات البدائية.

وهو عقل مميز بجدارة، لصحيح الدين وصحيح الاخلاق وصحيح العادات والتقاليد، وصحيح الأفكار والمعارف، والاعتماد عليه هو اعتماد على التطور والتقدم وهو بذلك قدرة عقلية إبداعية يتميز بها عن غيره.

● شروط اكتساب صفة المثقف.

لا يشترط في المثقف حتى يكون مثقفاً التعليم، ولكن يشترط الإلمام باقتصاديات وسياسات واجتماعيات الحياة الحاضرة والماضية، ومعارفها العامة، ويشترط اكتساب ما يستجد فيها من معارف.

كما ويشترط في المثقف القدرة على الإبداع الذاتي والاستنتاج لما قد تؤول إليه الظواهر، وابتكار الحلول والخلاصات المفيدة للتعقيدات والمشاكل والقضايا، إضافة للقدرة العقلية الإبداعية المبتكرة المميزة عن غيره، وما التعليم للمثقف إلا إضافة كغيرها من الإضافات المعرفية.

وقد عرف التاريخ البشري ذوات مثقفة لم تكن متعلمة تعليماً رسمياً نظامياً، ولكنها مثقفة مكتسبة للمعارف العامة، وتتميز بعقول واسعة لها قدرات عقلية مذهلة، كان لها دور في تحول المجتمعات وتطورها الحضاري، ومنهم الرسل والأنبياء فعلي صلتهم بالله تعالى، إلا أن سيرهم وإدارتهم لشعوبهم والتفاف اتباعهم حولهم، تدلل على واسع ثقافتهم.

ومنهم أيضاً قادة؛ اجتماعيون وسياسيون، وقادة أخلاقيون وإنسانيون، كان لهم دور في إنهاء الرّق والعبودية، وفي إخماد ظواهر اجتماعية وسياسية شاذة، وفي التآلف والتعايش بين الشعوب، وكان لهم دور في السلام والسلم الإنساني وتثبيته على قواعد أخلاقية، وقد خلفوا إرثاً ثقافياً لازالت البشرية ترجع إليه، لتعزيز ثقافتها ولتصحيح انحرافها.

● المثقف عقلاً وارادةً معاً، وإلا فإنه مثقف ميت.

لا يكفي للمثقف أن يكون مثقفاً له دور في التغيير إلى الأفضل، مالم تكن لديه إرادة للتغيير، إرادة متجاوزة للمألوف، وتتعدى العادة والسائد.

ولابد أن يتوافق عقل المثقف مع إرادته في التغيير، وإلا فإنه عقلٌ يحوى كنزاً مدفوناً لن يستفيد منه مجتمعه، وهذا ما يحدث

في أغلب المجتمعات العربية، وجود كنوز عقلية من المثقفين معطلة مدفونة لا تستفيد منها مجتمعاتهم، بسبب غياب إرادة المثقف، واعتقاده النفسي بصعوبة التغيير، أو بسبب تغييب إرادة المثقف من سلطات المجتمعات، عبر القمع وتقييد حريته، أو عبر الاحتواء وغيرها، وهنا إشكالية نفسية تقع في نفس المثقف تحجم أو تحبط إرادته عن التغيير وينساق مع غيره في مجتمعه لما هو سائد من تخلف وفساد وانحطاط.

على المثقف اجتياز هذه الإشكالية النفسية، وأن يبدأ بهذا التغيير الذاتي من نفسه، بتجاوز هذه الإشكالية حتى يستطيع تغيير مجتمعه.

● **دور المثقف في المجتمعات البشرية.**

المجتمعات البشرية كافة هي أشبه بالأجسام الوظيفية البيولوجية، لا يمكن لها أن تتقدم حضارياً، أو أن تكتسب هويتها البشرية، وأن تتعايش بتعارف وألفة فيما بينها، حتى في المجتمع الواحد، إلا بوجود المثقف الذي يشبه العقل لهذه الأجسام الوظيفية. فهو الذي يرشد ويوجه ويصحح بثقافته المنظومة العامة المسيرة لهذه المجتمعات؛ كالمنظومة السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

فما كانت في العالم البشري القوانين والدساتير واللوائح والأنظمة الثابتة والمتحركة، وما كانت الأنظمة والقواعد الاخلاقية والاجتماعية، إلا بأفكار وإبداعات المثقفين. فالعالم البشري الحديث يسير نظامياً بعقول المثقفين ممن رحلوا عبر إرثهم الثقافي، وممن حضروا بما سيكون لهم من إنتاج ثقافي في الحدود الضيقة، عبر ذاتيتهم أو بيئاتهم الاجتماعية، أو عبر البيئة العالمية إلا أن الانحراف والتدهور والفوضى وارد بغياب المثقف، فلا يجب للمثقف أن يضع أفكاره ويضع معارفه وإبداعاته ويسير عليها أي مجتمع دون أن يكون له وجود كمراقب لسير المنظومة البشرية في مجتمعه، ويبقى يتفرج على الفوضى والتدهور والانحدار دون أن يتدخل، حتى بصورة صدامية ترجع المنظومة إلى صوابها وذلك بتدخل العقل.

يعرف عن العالم الحديث أنه سيكون عالم بدائي لولا تدخل عقل المثقف فيه بمفهوم العقل الشامل، وما كان من سبب لهذه التطور الحضاري للعالم إلا بثلاثة جوانب رئيسية من عقل المثقف هي الآتية:

1- إبداعات عقلية وادبية وانسانية وفكرية، نشأت عنها أخلاق إنسانية عالمية وعادات وتقاليد وأنظمة سلوكية

عامة متعارف عليها، كالنظام العالمي الحديث التبادلي، ووحدة المجتمعات وتضامنها، وحقوق الانسان، والتعاون الدولي في حالات الكوارث الطبيعية؛ كالجوع والأوبئة، واحترام الحياة البشرية، ونبذ العنف، وأوجه الدعم الإنساني وغيرها.

2- إبداعات عقلية مادية إنسانية في وسائل الحياة البشرية، والتي لم تكن إلا بمعارف ثقافية ماضية في عقل المثقف عن هذه الوسائل، نشأت وأبدعت عليها وسائل حديثة، وذلك في مختلف المجالات الإدارية والمالية والتعليمية والصحية والخدمية والأمنية، وفي المجالات التقنية؛ كالطيران والاتصالات والقطارات والسفن، وغيرها.

3- إبداعات سلوكية، وهي حركة المثقف في التغيير، بدخوله إلى ما هو سائد وإصراره على التغيير، بإيجاد السلوك المناسب لهذا التغيير، وجد الكثير من المثقفين سبل مغلقة محبطة للإرادة، ولكن بالبحث عن سبل أخرى وبإبداع سلوك مناسب فتحت لهم السبل أخرى للتغيير كانت مغلقة.

فلم يتطور العالم الحديث إنسانياً واخلاقياً ومادياً وحضارياً إلا بخلفية ثقافية من عقول المثقفين، ومن إرادة حية عرفت كيف تبقي على حيوية إرادتها حية رغم الصعاب والتعقيدات حتى حين التغيير.

● **علاقة المثقف بالسياسي.**

للنهوض بالمجتمعات البشرية، يجب أن تكون علاقة السياسي بالمثقف علاقة مرجعية، يرجع للمثقف لدرايته ومعارفه وإحاطته ببلاده ومجتمعه ولقدرته على استخلاص الآراء الصائبة، والحلول السديدة، ولا يجب أن تكون العلاقة علاقة احتواء للمثقف، أو أن تكون علاقة قمع أو علاقة يشوبها انعدام للثقة والاطمئنان بين الطرفين، وهو ما يحدث في البلاد العربية كافة، مما أحبط التقدم وركن البلدان العربية في وضع متدني بين بلدان العالم، وما تطور العالم الحديث وما تقدمت بلدان الا باعتماد ساستها على المثقف، وجعله مرجعية أثناء الأزمات والمحن والقضايا الوطنية.

يلاحظ الفرق بين المثقف في البلدان النامية والبلدان المتقدمة، فالمثقف في البلدان النامية يكون تابعاً أو محتوياً أو مقموعاً مهمشاً، والمثقف في البلدان المتقدمة يكون مستقلاً، يتاح له النفاذ الثقافي في الحياة العامة، فيكون فاعلاً في القضايا الوطنية، ومحدداً وداعماً ومغذياً للهوية الوطنية، عبر الأفكار والإبداعات

والأحاسيس الوطنية المبرزة عبر الأدوات الثقافية كالكتابة أو التأليف أو عبر الخطابة أو عبر الفنون المختلفة؛ كالتمثيل والموسيقي والرسم والنحت، وعبر تواصله الاجتماعي وعبر بيئته الاجتماعية.

● ور المثقف في المجتمعات العربية المتحولة (الربيع العربي).

لن يكون للمثقف دور أو أهمية مالم يكن لديه ولاء تام للثقافة الإنسانية، الدافعة للتطور والتقدم ولن يكون المثقف عنصرا فعالاً في تطورات المجتمعات البشرية اذا كانت له ولاءات سياسية أو دينية أو ثقافية محلية، وحتى يكون للمثقف دوراً مؤثراً محركاً، فليس له إلا من سبيلين هما:

1- أن يتخذ سبيل المرشد والموجه والناصح، عبر أدواته الثقافية المتمثلة في؛ الكتابة والصحافة والنصوص والمسرح والتمثيل والرسم والخطابة الإعلامية، أو عير حياته الخاصة أو الشخصية، أو عبر تواصله الاجتماعي وغيرها، ويفضل أن يتفق مع باقي المثقفين على ذلك، وذلك بعد أحاطته بالظواهر المعقدة والشاذة في مجتمعه.

2- أن يتخذ سبيل الصدام المباشر عبر الاحتجاج والتظاهر السلميين، وعبر دعوة أبناء مجتمعه للمطالبة بحقوقهم عبر الوسائل القانونية، والوسائل السلمية الأخرى، وهذا يحدث في حالة تعقد الاوضاع وعدم استجابتها للسبيل الأول وهو الإرشاد والتوجيه والنصح، ويكون هذا السبيل مع شريحته المثقفة المتوافقة على إنقاذ المجتمع بما هو فيه من انهيار، أو يكون عبر تحريض أفراد المجتمع للنهوض بمجتمعهم، وهذا السبيل ضروري كضرورة السبيل الأول المتعلق بالإرشاد والنصح والتوجيه، لأنه يشكل وسيلة ضغط ووسيلة تغيير فورية على ساسة المجتمعات الذين يرهنون مجتمعاتهم في حالات من الانهيار والبؤس والفوضى.

---

* هذه الأفكار لم تعتمد على أي مرجع أو مصدر، ولم تنشر مسبقاً، وتعتمد على ثقافة وخبرة كاتبها، والاقتباس منها او الإشارة اليها لا يتم إلا بالإشارة لاسم كاتبها والإشارة للناشر.

الثقافة والمثقف ودورهما في بناء ليبيا الجديدة

د.علي مفتاح اعبيد

مقدمة

انتشار الثقافة سمة من سمات المجتمعات المتقدمة، حيث يشكل الأفراد المثقفون في هذه المجتمعات رأي عام عقلاني يعي الأوضاع الآنية لهذه المجتمعات ويبلور أهدافها وطموحاتها، كما يحوّل طرق الوصول إلى هذه الأهداف إلى آليات تنفيذ قابلة للتطبيق.

ما هي الثقافة ؟

يعتقد الكثيرون أن الثقافة هي تخزين ذهني لأكبر قدر من المعلومات عن حقائق الحياة وقوانينها، بطريقة من كل بستان زهرة.

بمعنى الإحاطة ببعض الشئ عن كل شئ، لكن التحليل العميق للثقافة يبين أنها ليست مجرد تخزين ذهني ساكن للمعلومات بطريقة الحواسيب في أقراصها الصلبة، وإنما هي عملية أوسع وأشمل وأكثر ديناميكية وتفاعل من مجرد التخزين.

ففيها يتم استعمال المعلومات المكتسبة في بناء أنساق وهياكل منطقية لقواعد وحقائق الحياة، تساعد في عملية التأمل والتفكير التي تؤدي بدورها إلى استيعاب المزيد من المعرفة، وإلى إنتاج معرفة جديدة عن طريق ابتكار قواعد فكرية تجريدية محلها العقل، وهو بالضبط ما أدى إلى نشوء علوم تجريدية عظيمة مثل علمي الفلسفة والرياضيات.

الثقافة تؤسس للتفكير العقلاني، وتمنع الجنوح في الخيال الذي يمارسه الانسان

بالفطرة والذي يؤدي إلى ظهور الخرافة ونشوء الميثلوجيا.

دور الثقافة في تطور المجتمعات

لا يخفى على أحد الدور الخطير الذي تلعبه الثقافة في عملية التطور الحضاري للمجتمعات. وقراءة عميقة للتاريخ تبين أن الشعوب التي حققت قدراً جيداً من التطور الحضاري قد إهتمت بالثقافة وجعلتها من أولوياتها؛ وكانت الثقافة قرينة للتطور العلمي والتقني والإنساني. حدث هذا في مختلف الحضارات بداية بالفرعونية ومروراً بالبابلية والفنيقية واليونانية والرومانية والاسلامية وانتهاء بالحضارة الغربية المعاصرة. في كل هذه الحضارات كان الازدهار الثقافي في مختلف جوانبه يرتاد أقصى الآفاق التي يمكن الوصول إليها في زمنها، وقد تجلى ذلك في الإبداعات الأدبية والفنية والعلمية؛ فظهر الشعر الرفيع والنثر الراقي والرسم والتصاوير الأخاذة، والجدل المنطقي في علوم الكلام، وتقنين ظواهر الطبيعة.

في كل الحضارات الإنسانية يذكر التاريخ أعلام في الفكر والثقافة، ساهموا في وضع لبنات مميزة في صرحها بقدر مساهمتهم في تنوير وتطوير مجتمعاتهم، ولعل أشهر هؤلاء الرموز واسبقهم ذكراً هم أعلام الحضارة والثقافة الأغريقية. من منا لم يسمع بأخلاقيات سقراط، ومحاورات افلاطون، ومنطق أرسطو، وهندسة إقليدس، وشعر هوميروس. وفي الحضارة العربية الاسلامية من منا لم يقرأ أشعار المتنبي وما تحويه من حكم تلخص قواعد الحياة، وروائع الجاحظ النثرية، وأغاني الأصفهاني، وحكم إبن المقفع، وفلسفة إبن رشد، وموسيقى زرياب وتصاوير الواسطي، وجغرافيا الادريسي، وأدب رحلات إبن جبير وإبن بطوطة، وطب إبن النفيس وإبن سينا، وغيرهم.

الحضارة الغربية تأسست على أكتاف المئات من الرواد في مختلف جوانب الثقافة والعلم، فبعد أن ترجموا ما وصل إلى أيديهم من إبداعات الحضارة العربية، وتعرفوا منها على المنهج العلمي التجريبي، شرعوا في ممارسة التفكير بعمق، فأنطلق الإبداع من عقاله الذي صنعه له اللاهوت والجمود الكنسي، وازدهر تلاقح الأفكار والتفاعل الثقافي، فخرج ديكارت ليزرع الشك في القوالب الجامدة، وأسس فولتير الأدب الساخر، وفكك سبينوزا أساطير الكتاب المقدس، وأخذ شكسبير المسرح إلى مستويات أعلى من التذوق الفني، وتزعم إليوت الحداثة في الشعر، وأخرج فيكتور هوجو رائعته البؤساء. وثار رواد الفلسفة على المألوف الرتيب الذي يحد من انطلاق العقل إلى آفاق أبعد وأوسع

فأسس نيتشه لعلم اللغويات، وانتقد كانط الميتافيزيقا، ورفض ماركس وهيغل المجتمع الاقطاعي. أما في الفن فقد حضت المجتمعات الغربية بمجموعة من المبدعين على رأسهم ليوناردو دافينشي صاحب الجيوكندا، ومايكل انجلو صاحب تمثال داوود.

في الوقت الراهن أصبح من الصعب سرد أسماء رموز العلم والثقافة في المجتمعات الغربية؛ بعد أن دخلت في كل بيت، وتحولت إلى ظاهرة عالمية عبر مد العولمة الذي خلقه التطور الهائل في تقنيات الاتصال والمعلوماتية.

إذا أردنا أن نقيس الزخم الثقافي بمؤشر اصدارات الكتب في المجتمعات الغربية الذي تنشره اليونسكو سنويا في نشراتها، فبلا شك يصبح من المنطقي أن نعترف أن هذه المجتمعات تتربع على عرش الثقافة.

وضع الثقافة في ليبيا

لا يمكن القول أن الثقافة في ليبيا تقترب مجرد الاقتراب من الحد الأدنى المقبول في دولة تعيش في عالم اليوم، لا في الماضي القريب ولا في الحاضر الراهن. ففي الفترة التي تلت تكون الدولة الليبية كانت الأمية واسعة الانتشار، وكانت الأحوال الاقتصادية من السوء إلى درجة أن متطلبات الحياة اليومية مثلت عبء ثقيل على كل مواطن، حتى أصبح من الترف التفكير في الثقافة والإنسان يكاد يقضي جوعاً. ورغم ذلك كانت هناك جزر صغيرة معزولة من الفعل الثقافي في الحواضر الليبية المعدودة؛ إذ نشأ المسرح في فترة مبكرة نسبيا تعود إلى ما قبل نشوء الدولة، وظهر عدد محدود من شعراء الفصحى وعدد أقل من الكتاب، أغلبهم ينتمون إلى الثقافة الدينية. فاقم الاحتلال الايطالي الحالة السيئة للثقافة بالمزيد من الخنق والحصار، ولم يكن للمحاولات المتأخرة لسلطات الاحتلال في خلق نوع من الحركة الثقافية المرتبطة بالثقافة الايطالية أي نتيجة؛ فقد أنفجرت الحرب العالمية الثانية على غير توقع فتوقف كل شئ.

يمكن القول أن بداية الستينات مثلت نقطة انطلاق الزخم الثقافي الليبي تاثراً بازدهار الثقافة في المشرق العربي، وتحديداً في مصر ولبنان. وظهرت إثر ذلك العديد من الصحف والمجلات الليبية، وانتشرت المراكز الثقافية في كل المدن والقرى، وأسست الدولة لوسائل التوعية والتثقيف، مثل العروض السينمائية المتنقلة وقوافل الكتب. في تلك المرحلة نشط المسرح من جديد، وتكونت الفرق المسرحية في مختلف المدن، وخصوصاً المدن الكبيرة. تدريجياً اكتسب الليبيون عادة الاطلاع على جريد الصباح وقراءة

المجلات، وكان من المألوف مشاهدة الأكشاك تبيع الصحف والمجلات والكتب على نواصي الشوارع الرئيسية في طرابلس وبنغازي.

شكلت ما أسماها النظام السابق الثورة الثقافية المنعطف الأول في انحدار حالة الثقافة في ليبيا. في ذلك الحدث تم شن حملة على المكتبات والمراكز الثقافية لمصادرة الكتب ذات الطبيعة الفكرية التي تتعارض مع توجهات النظام، وفي ذات الوقت تم تضييق هامش حرية الحركة لكل نشاط ثقافي، والتضييق على تنوع الأراء واختلافها. ورغم تأسيس العديد من المجلات المتميزة مثل مجلة الثقافة العربية ومجلة الوحدة، ومجموعة أخرى من المجلات المهاجرة كالكفاح العربي والشاهد إلا أن هامش الاختلاف في الرأي زاد انحساراً بمرور الوقت، بل وأختفت الصحف اللبنانية تدريجياً من الأكشاك، وحلت محلها الصحف الكويتية ذات الثقافة السطحية وأحيانا المبتذلة. اكتمال نظرية القذافي الجماهيرية في نهاية السبعينات أوصد باب التنوع الفكري وحدد المسار الضيق الذي يجب أن تسلكه الثقافة في ليبيا. قبل منتصف الثمانينات أختفت المجلات الكويتية هي الأخرى من الاكشاك، بل أن الاكشاك نفسها أخذت في الاختفاء، وتوقفت الصحف الليبية ايضاً ليخرج علينا نوع جديد من الصحف أسماها النظام الصحف القطاعية، التي لم تكن أكثر من نوع من المنشورات سيئة الإعداد والإخراج والطباعة.

مع منتصف الثمانينات أصبح المشهد الثقافي الليبي كئيباً مقفراً؛ فالمسرح وفرق الفنون التي نشطت في بداية السبعينات تواصلاً مع زخم الستينات دخلت مرحلة الانكماش والضمور، والصحف اليومية لم يبق منها إلا صحيفتي الزحف الأخضر والجماهيرية التين لا هدف لهما إلا الدعاية للنظام، أما المجلات فلم تكن أكثر من فقاعات صابون ما أن تظهر أحدهما حتى تختفي بسرعة لتخرج غيرها وتختفي بنفس الطريقة، حتى أن مجلة " لا " التي ظهرت في التسعينات وخولها النظام رفع عقيرتها في وجه الفساد، نشرت في أحد مقالاتها أن عدد المجلات التي ظهرت ثم اختفت قد بلغ 120 عنواناً، وهو رقم لم يظهر في دولة مثل بريطانيا..!

في تلك الحقبة عاني مبدعو ومفكرو ليبيا من رعونة الرقابة العقائدية، حتى أن كل محاولاتهم لإيجاد مجلة منتظمة الظهور تنشر إنتاجهم وإبداعهم بآت بالفشل، ولعل عدم انتظام دورية بحجم ومستوى الفصول الأربعة هو أحد تداعيات هذه الرعونة العقائدية..!

عقد التسعينات وما بعده أصبح بالنسبة للثقافة قاعا صفصفاً، فحتى صحف النظام العقائدية تحولت إلى أوراق صفراء بلا محتوى، تلوك أشتات من الأفكار القديمة الركيكة التي فقدت قيمتها ومعناها من كثر التكرار. وهنا تجدر الإشارة إلى تقرير اليونسكو حول حجم حركة النشر في ليبيا، الذي يبين أنها هزيلة للغاية (26 عنوان لسنة 1994).

من المفارقات أن حال الثقافة في ليبيا في العقد الأول في القرن الواحد والعشرين لا يختلف كثيرا عن حالها في العقد الأول من القرن العشرين، رغم اختلاف الزمنين جذرياً في كل شئ. لماذا حدث هذا ؟ الإجابة قد تخرج بنا عن مقام المقال بحكم تشعبها وتعقيدها..!

بعد بركان فبراير وسقوط النظام برزت للعيان ظاهرة يمكن تسميتها "انفجار الصحف"، حتى أن عددها تجاوز 300 صحيفة متنوعة حسب بعض التقديرات، بعضها لايزيد حجمه عن صفحتين. وكان يؤمل أن تمثل هذه الكثافة رأس سهم في انطلاقة ثقافية عريضة، تعززها ظاهرة أخرى هي انطلاق مؤسسات المجتمع المدني والمنتديات الثقافية والاجتماعية. تعدد وسائل الاعلام والحرية الجديدة كان يؤمل منه أن يساهم في زيادة الزخم الثقافي والتنوير وتعزيز لغة الحوار والنقاش الفكري الراقي. للأسف جرت الرياح سريعاً بما لا يشتهي المثقفون، وأختفت الصحف بالكامل من طرابلس، وتلاشت أغلب مؤسسات المجتمع المدني، وتحول ما بقى منها إلى هياكل بلا محتوى. وساهمت القنوات التلفزية والمحطات الاذاعية في تعميق الشقوق في الجسد الليبي، وعادت الثقافة إلى مرحلة الاحتضار كما كانت قبل فبراير.

دور الثقافة والمثقف في ليبيا الجديدة

إذا كان بناء الأمم والحضارات عبر التاريخ يرسم طريقه وينظر له المثقفون وأصحاب الرؤية، فمن باب أولى أن ينخرط هؤلاء في عملية إصلاح وإعادة بناء ما يتهدم نتيجة فعل الثورات وحركات التغيير الجذري. ككل الثورات كان لثورة فبراير مضاعفات سلبية لا مهرب منها على النسيج الاجتماعي، والوضع الاقتصادي، فضلا عن المنظومة السياسية التي تغيرت بكاملها، وتطلب هذا التغيير تأسيس منظومة جديدة مغاير تماماً للمنظومة السابقة.

اختلاف مستويات الوعي وتدنّيه عند البعض، وتعارض المصالح مع قصر النظر خلق استقطابات متضاربة، انعكست في فقدان الإتجاه الصحيح، وتعطل مسيرة بناء الدولة وإصلاح ما تهدم. هنا يبرز

الدور المحوري للمثقف، الذي بحكم ثقافته ووعيه يرى ما لا يراه الآخرون، ويرتسم في ذهنه الطريق إلى المستقبل واضحا جلياً، ومن ثم يصبح من مسئوليته تبيان معالم هذا الطريق عبر الانخراط في حوارات بنّاءة وهادفة مع أبناء الوطن.

من مهام المثقف أن يبين أن البنى الاجتماعية التقليدية، المتمثلة في العشيرة والقبيلة، لا يمكنها أن تتوافق وروح العصر، وأن كل المجتمعات المتقدمة قد تجاوزت هذه الهياكل البدائية منذ زمن بعيد، واستبدلتها بحق المواطنة ومبدأ المساواة في الحقوق والواجبات بين كافة أفراد المجتمع بصرف النظر عن العرق أو اللون أو الجنس أو المذهب.

يجب على المثقف أن يوضح لأفراد مجتمعه أن الحياة في المجتمعات الراقية مبنية على مبدأ الأخذ والعطاء، وكل من يأخذ دون أن يعطي يدخل في فئة السراق، وعلى ذلك يتوجب على كل فرد من أفراد المجتمع أن يعمل وفق قدرته ويساهم في رقي المجتمع وتقدمه، وله أن يختار النشاط الذي يناسبه وفق القانون وما تتيحه ظروف الدولة. لا يمكن لأي فرد سليم معافى في المجتمع أن يتحول إلى عالة على الدولة وهو قادر على العطاء، ثم يتوقع أن تقدم له الدولة كل شئ بالمجان.

من مسئولية المثقفين التأسيس لآلات إعلامية ذات رسالة وهدف واضح يصب في إتجاه بناء الدولة المدنية الديمقراطية القائمة على روح المؤسسة وحكم القانون. لا يمكن أن تضطلع آلة اعلامية يديرها المثقفون بالدعوة لتفتيت الوطن، أو الدعوة لإثارة النعرات القبلية أوالجهوية أو المذهبية أو العرقية. من صلب مهام المثقفين الوقوف ضد الأبواق التي تزور الوعي وإبطال إدعاءاتها بالحجة والمنطق والبرهان وليس بمعسول وجميل الكلام. المثقفون، وليس فرسان الكلام، هم من يجب أن يدير ويقود المؤسسات الاعلامية، على الأقل الرسمي منها.

في الشأن السياسي يجب أن يضطلع المثقف بدور المبشر والشارح لأهمية التداول السلمي على السلطة عبر صندوق الاقتراع، مقرونا بوجود مرجعية دستورية تحدد العلاقة بين الحاكم والمحكوم، وتبين واجبات وحقوق كل منهما. لا يجوز للمثقف، وقد كاد العقد الثاني من القرن الواحد والعشرين أن ينقضي، أن يحول نفسه إلى داعية أو منادي بحكم الفرد وسلطة المستبد تحت أي ظرف من الظروف.

الثقافة نفسها لا تزدهر إلا بفعل المثقف، ورغم أن إزدهارها ليس هدفا في ذاته، بل وسيلة للمساهمة في دفع المجتمع إلى

آفاق حضارية أرحب وأرقى، إلا أن تفعيلها ونشرها وزيادة حضورها يصبح هدفاً مرحلياً يجب أن يسعى إليه المثقفون. تكثيف النشاط المسرحي والسينمائي، ونشاط الجمعيات الثقافية والمنتديات الأدبية، ونشاط مؤسسات المجتمع المدني، وحركة النشر، والمعارض الفنية، وإقامة المكتبات العامة؛ كل ذلك يجب أن ينخرط فيه المثقفون دون تردد.

كيف يمارس المثقفون دورهم ؟

حيث أن هدف الثقافة النهائي هو تهذيب سلوك الإنسان والرقي الحضاري به، لذا من الطبيعي أن يكون ذلك عبر الوسائل التي تمارس التفاعل والتماس الفكري والعقلي مع الإنسان ذاته، وهي متنوعة ومتجددة تنوع وتجدد وسائل اكتساب المعرفة. وللتوضيح والاختصار سنجملها في أربع تصنيفات رئيسية، هي: المراكز الثقافية، والمنتديات الثقافية، والمسرح والفنون، والمهرجانات والمحافل الثقافية.

يقصد بالمراكز الثقافية مؤسسات نشر الثقافة التي يجب أن تنشأ في المدن والقرى، في ما يطلق عليه قصور الثقافة في مصر، والمراكز الثقافية في ليبيا الستينات، وفي البلاد الأوربية وشمال أمريكيا المكتبات العامة بالمدن. تحتوي هذه المؤسسات على قدر جيد من مختلف صنوف المعرفة في أوعيتها المناسبة كالوعاء الورقي، والوعاء الإلكتروني، والمادة السمعية البصرية. هذا مع توفر قاعات مريحة للدرس والمطالعة، وقاعات أخرى أكبر للمحاضرات والندوات والعروض السينمائية. من حسن الحظ أن التقدم الهائل في تقنية المعلومات قد ساعد في توفير المادة المعرفية الضخمة في حيز متناهي الصغر، وأصبح من الممكن توفير ملايين المصنفات في حيز مكاني لا يزيد عن الحيز الذي يشغله حاسوب شخصي، مع امكانية نسخ المحتويات الإلكترونية بلا نهاية، الأمر الذي ينعكس في محدودية التكاليف..!

المنتديات الثقافية تشمل المنتديات الأدبية والفكرية، والمنتديات العلمية التطبيقية. المنتديات الأدبية يؤسسها الأدباء وهواة الآداب في صنوفها المتعددة، من شعر ورواية ومقالات نثرية وما إليها، وتهدف إلى الرقي بالذائقة اللغوية وحسن التعبير عند العامة. والمنتديات العلمية يؤسسها المثقفون في شتى مجالات العلوم التطبيقية، وتهدف إلى نشر الثقافة العلمية وتشجيع روح الإبداع والابتكار والاختراع. المنتديات الثقافية إجمالا لا تكلف أكثر من توفير أماكن مناسبة لممارسة النشاط، وقد تكون ملحقة بمقرات المراكز الثقافية.

المسرح والفنون يقوم عليها المثقفون من هواة المسرح ومحبيه، ويحثون الشباب على تأسيس الفرق المسرحية، والانخراط في نشاط القائم منها، ويساعدونهم في الاحتراف وتحسين الأداء المسرحي، وإقامة المهرجانات المسرحية. وعلى نفس الشاكلة يشجعون المبدعين في مجالات الفنون بأنواعها على ممارسة الفعل الفني الإبداعي، ويوعزون للدولة بتوفير المراسم وقاعات النشاط الموسيقي وملتقيات الفنون.

أما المهرجانات الثقافية فتمثل أهم وسيلة للتعريف بالشأن الثقافي والتفاعل مع عقول العامة، لهذا من مهام المثقفين المساعدة في تنظيم مهرجانات الشعر والرواية والخطابة والفنون التشكيلية والموسيقية والمسرح، وملتقيات الإبداع السينمائي.

إضافة إلى كل ذلك، انخراط المثقفين في المؤسسات الإعلامية كالقنوات الفضائية والمحطات الاذاعية وتنظيمهم للبرامج الثقافية والحوارات الفكرية عبرها، يساعد في تسليط التأثير الثقافي على أكبر عدد من المتلقين وتوطين السلوك الحضاري لديهم.

خاتمة

في كل المجتمعات الراقية يمارس المثقفون دورهم في وضع الرؤى ورسم الطريق إلى المستقبل، عبر المؤسسات الثقافية والإعلامية لأبناء مجتمعاتهم. ليبيا، وقد اختفت فيها المحاذير والقيود التي كانت تحول دون ممارسة المثقفين لدورهم التنويري، أحوج ما تكون في الظروف الراهنة إلى حملات مكثفة من التثقيف وبناء الوعي بين أبنائها. بناء الدولة الحديثة يتطلب وضوح الرؤى وتبيان الطريق وإقناع أبناء المجتمع بأن الدولة المدنية هي الخيار الأوحد والأفضل لمستقبل زاهر. يستطيع المثقفون القيام بدورهم في التنوير عبر الأطر الثقافية المتنوعة، من مسرح وفنون ومهرجانات ومراكز ثقافية وإعلام هادف. إذا ما تجاهل المثقفون دورهم، فإن ليبيا مهددة بفقدان الإتجاه والمراوحة في أوضاعها غير السوية الحالية إلى ما شاء الله.

المثقف العربى ودوره فى الفترة الراهنة

د.محمد سيد الدمشاوى - مصر
أستاذ الأدب العربي والنقد المساعد

قد نختلف كثيرا حول مفهوم الثقافة، كما نختلف كثيرا وكثيرا حول مفهوم المثقف، تماما كما نختلف حول مفهوم وماهية النخبة / الصفوة / الطليعة، وغيرها، لا سيما وأن المستجدات العلمية، والإفرازات التقنيّة قد أنتجت مفاهيم مختلفة عن الحدود والمفاهيم القديمة التى تؤطر للثقافة والمثقفين والنخبة والطلائع والرواد، وغير ذلك من المصطلحات التى لم تعد قارة اليوم؛ بسبب التغيرات الهائلة التى تفاجئنا لحظة بعد لحظة فى عالم المعرفة والبحث العلمى من ناحية، وفى زهوة التحول والتغير الذى بات سمة لهذا العصر من ناحية أخرى، والبحث يطول فى هذا المجال لا سيما إذا استنطقنا البحث اللغوى والفلسفى والاجتماعى والسياسي.

لكننا ربما لا نختلف كثيرا حول اعتبار ذلك الواعى بقضايا وطنه ومشاكل مجتمعه وواقعه، والذى يمتلك من القدرات التفكيرية والنقدية ما يمكنه من إيجاد الحلول لهذه الأزمات، أو حتى من البحث عنها مثقفا، ووضعه فى طائفة المثقفين، أو اعتبار ذلك الذى يحمل قضية ويدافع عنها، واحدا أيضا من هذه الطائفة، تماما كما لا نختلف كثيرا حول اعتبار النخب العلمية، والنخب المبدعة أدبيا وفنيا، الواعية بقضايا أمتها، والمدركة لحقائق واقعها، والمتفاعلة مع شعوبها وأوطانها، أيضا مكونا مهما من مكونات النخبة والمثقفين الذين تعوّل عليهم الأوطان فى ساعات الأزمات والمِحَن.

ولأن الوطن العربى فى الوقت الراهن يشهد واقعا شديد التأزم، وشديد المحنة والابتلاء، فقد باتت الحاجة لنخبه ومثقفيه ضرورة تستوجبها الأحوال

والظروف الراهنة، كما بات السؤال عن دور المثقف العربى وعن موقعه الحقيقى الصحيح سؤالا ملحا يدور على ألسنة العامة والخاصة من القوم.

ولا أخفيكم سرا إذا قلت إن الشعوب العربية فى الوقت الراهن ربما باتت تشعر بخيبة أمل كبيرة فى كثير من طليعتها ومثقفيها الذين كانت تضع عليهم الآمال الكبار فى أن يحتلوا مواقعهم، ويقودوا ركب الأمة إلى الأمام فى مثل هذه الظروف والأحوال؛ حيث قد فجعت فى بعضهم الذى كان يتقنع بقناع الثقافة، وهو ليس إلا تابعا منفذا لتعاليم الغير، وفى بعضهم الذى كان يتاجر بثقافته من أجل الكسب والارتزاق، فلما دعا داعى الكفاح من أجل الوطن، حمل صرة نقوده وغادر الوطن ليبحث عن وطن بديل، وفى بعضهم الآخر الذى انزوى جانبا ليبحث عن مصالحه الخاصة، تاركا الساحة للأدعياء، وغير المؤهلين، ولم تجد الشعوب أمامها إلا قلة قليلة صادقة، آلت على نفسها أن تقوم بهذا الدور الوطنى الرائع رغم خفوت صوتها أمام الأصوات الزائفة الزاعقة، وأمام ذلك الصوت العالى للمال السياسي والإعلامى الذى احتل الساحة، وسيطر عليها بفعل قوى داخلية وخارجية، وأبى أن تتجاوز الأوطان محنتها، وأن تفارق كبوتها فى كثير من الأحوال.

فبعد فترة طويلة من القمع والقهر والاستبداد، وطغيان سلطة الفرد، وبعد فترة طويلة من سياسة التجويع والتجهيل المنظم والمدبر التى انتهجتها أنظمة الحكم العربية الدكتاتورية فى العصر الحديث، جاء الربيع العربى لتستيقظ الشعوب العربية من ثبات عميق، وغفلة طويلة، دامت أكثر من ثلاثين سنة فى بعض بلدان الربيع العربى، وأكثر من أربعين سنة فى بعضها الآخر.

جاء الربيع العربى ليجدد الشعور بالوطن والوطنية لدى شعوب كادت أن تفقد الإحساس بالوطن وبالانتماء، بعد أن أصبحت هدفا لسلطته الغاشمة، وأزلامها الساهرين على الفتك بها، والتربص بحركاتها وسكناتها.

جاء الربيع العربى ليمنح هذه الشعوب حالة من الوعى والتبصّر بحال الوطن وواقعه، وموقعه من العالم، ويدعوه إلى إنقاذ ماتبقى من جسده الجريح بعد أن أصبح مرتعا للنهب والتسلط والنفاق والمراوغة.

جاء الربيع العربى، لكنه لم يأت ربيعا ضاحكا طلقا حالما كما صور البحترى ربيعه فى مدحتة المشهورة حيث يقول:

أَتَاكَ الرّبيعُ الطّلقُ يَختالُ ضَاحِكا... منَ الحُسنِ حتّى كادَ أنْ يَتَكَلّمَا

وَقَد نَبَّهَ النّوْرُوزُ فِي غَلَسِ الدّجَى... أوائِلَ وَرْدٍ كُنّ بالأمْسِ نُوَّمَا

بل جاء ربيعا داميا باكيا من هول ما رأى وما سمع؛ ومن هول ما أعد ودُبِّر له بليل بهيم، حيث إن الشعوب العربية فى دول الربيع العربى وجدت نفسها قد استيقظت على كارثة كبرى، وأن مامنحه الربيع العربى لها من إدراك ووعى جديد، قد أبان لها عن صورة مروّعة كانت قد أخفيت عنها أزمنة طويلة، لتكتشف أنها ورثت تركة ثقيلة، مثخنة بالجراح والأوجاع، صورة تختلف تماما عن تلك الصورة الزائفة التى ظلت أنظمة الحكم البائد تروج لها على مدى الأعوام الطويلة السابقة بعد تغييبها لدور المثقفين والمبدعين الحقيقيين، صورة رسمتها الأكاذيب والأباطيل، وجَمَّلها النفاق والخداع من أجل المال والكسب الحرام، على حساب الأمم والشعوب.

فقد أعاد هذا الوعى الجديد الذى منحته ثورات الربيع العربى فرصة أخرى لهذه الشعوب المغلوبة على أمرها أن تعيد قراءة الواقع العربى كما هو، والتفاعل معه كما هو، دون تزييف ولا تحريف، وأن تقرأه بنفسها، وبدون وسيط، لا كما صوره المبدعون الزائفون والمثقفون الزائفون التابعون لدهاليز السلطة.

ولأن الشعوب فى طريقها لقراءة الواقع ومشكلاته، والبحث عن حلول لهذه المشكلات تحتاج بطبيعة الحال إلى الرواد والطليعة من النخب والمثقفين، المؤهلين لهذه القراءة الصحيحة، والقادرين على القيادة والتوجيه، ورسم الخطا لحركة الشعوب نحو الجادة والصواب من أمرها؛ كان دور المثقف العربى كواحد من أخطر المحاور فى هيكل الوطنية، وفى منظومة الوعى الجديدة، بوصفه رائدا لا يكذب أهله ولا يضللهم، كما جاء فى حديث النبى ﷺ "إن الرائد لا يكذب أهله"، حيث الرائدُ فى المفهوم العربى القديم هو من يتقدّم القومَ يبصر لهم الكلأ ومساقط الغيث.

وهنا تبدأ المشكلة الحقيقية لما نراه اليوم؛ حيث إن الواقع الثقافى قد أبان عن حالة من التشظى والانقسام بين المثقفين فى هذه القراءة وتقديم الرؤى، لتجد الشعوب نفسها مرة أخرى فى مواجهة صراع أشد ضراوة من صراعها القديم مع السلطة البائدة، صراع بين رؤية ورؤية أخرى. ووراء كل منهما دوافع وأهداف كثيرة ومطامع، معلومة أو غير معلومة، معلنة أو غير معلنة.

فالأنظمة البائدة كانت قد نجحت فى استقطاب الكثيرين من المثقفين فى مجال العلم والفن والابداع، راغبين أو كارهين،

وهؤلاء قد وجدوا أنفسهم فى الوضع الجديد غرباء، بل وجدوا أنفسهم عرايا منكشفين أمام شعوبهم، بعد أن سقطت ورقة التوت التى كانوا يستترون بها، وزالت عنهم عصا السلطة التى كانت تحصنهم، وتمهد لهم الطريق ليفرضوا رؤاهم وآراءهم الزائفة الفاسدة على البشر.

وأمام طوفان الثورات العربية، وزلزال الوعى الجديد، وهدير الحرية الصارخ انقسم هؤلاء على أنفسهم، فمنهم من ارتدى ثوب الثوار، وسار مع الثورة طائعا أو كارها، ليتخلص من ماضيه الآسن، ومن أجل أن يفلت من تقريع الشعوب له، أو من أجل أن يغسل يديه من عار الماضى وقذارته، ومنهم من لم يجد أمامه سوى مواصلة التضليل والتزييف، ومهاجمة الثورة والثوار، وإلصاق التهم بهم ليل نهار، وكأن هذا الخراب الحاصل ليس إلا نتيجة طبيعية لثورات الربيع العربى، التى وصفوها بأقذر وأحط الألفاظ، وتنكروا لما أحدثته من إعادة الشعوب إلى موقعها، متناسين أن هذا الخراب والتدمير أحدثته الأنظمة المستبدة عند خلعها بترتيبات كانت مدبرة فى السابق بإحكام، أو أحدثته قوى إقليمية كانت تتربص بالربيع العربى ولا تريد له نجاحا، ولا تريد أن تنتقل عدواه إلى بلادها، أو أحدثته قوى كبرى لا تريد لهذه الشعوب اليقظة ولا الوعى؛ خوفا على مصالحها، وخوفا على ما تحصله وتنهبه من ثروات هذه البلاد، أو أحدثته قوى راديكالية، متشددة، تتاجر بالدين من أجل مصالح ذاتية، صنعتها وأعدتها هذه القوى الكبرى والقوى الإقليمية لتستغل حالة الضعف، وفقدان القيادة لتنفث سمومها فى جسد الوطن.

أما المثقفون الحقيقيون الذين أفلتوا من ركاب السلطة البائدة، وكانوا هدفا لسهامها المسمومة أعواما طويلة، فقد وجدوا أنّ ساحة الميدان حامية الوطيس، ووجدوا أنفسهم فى مواجهة قوى كبرى دولية وإقليمية، وفى مواجهة حادة مع أجهزة الدولة العميقة، التى لا تفتأ تدافع عن ماضيها ومصالحها الخاصة، بل وجدوا أنفسهم فى مواجهة حادة مع زملائهم وأندادهم من المثقفين التابعين للسلطة البائدة، الذين يتحصنون بمؤيديهم من العامة والغوغاء أصحاب النظرة القصيرة، أو هؤلاء الذين لا تهمهم مصلحة الوطن، يقارعونهم الحجة بالحجة، مستفيدين مما أصاب الواقع الراهن من كوارث ومصائب كبيرة نسبت زورا وبهتانا للربيع العربى، تماما كما يفعل المرتزقة وتجار الحروب من التربح من مصائب إخوتهم وبنى جلدتهم.

ومن ثم بدأت تتشكل ملامح جديدة، وخرائط مستحدثة لطبيعة الواقع الثقافى

الجديد، وبات على طائفة المثقفين الحقيقيين، لا الأدعياء، أن يقوموا بدورهم الحقيقى فى تبصير الأمة بحقيقة الواقع، والنهوض بها من كبوتها، وتضميد جراح الماضى ومآسيه، وإعداد الكوادر البشرية الجديدة على الوعى الصحيح، والفكر المستنير، وإعادة رسم الملامح الحقيقية التى أخفتها سنوات الزيف والخداع، ولمّ شمل الوطن الذى مزقته العصبيات والقبليات، والأهداف الخفية، وأعوان المستعمرين الجدد، كل فى مجال اختصاصه ومعارفه، مهما كلفهم هذا الموقف من أثمان باهظة، وجهود مضنية، فالوطن أغلى من كل شيء.

مد المثقف و جزر السلطة

د.محمد الدفراوي - مصر
جامعة طبرق

المتابع لطبيعة العلاقة بين السياسة و المثقف عبر الزمن الممتد، سيلاحظ أنها علاقة ملتبسة يكتنفها الغموض أحيانا أو الوئام و الانسجام احيانا اخري، و الأصل أن السياسة و الثقافة خطان متوازيان لا يلتقيان، وفرسا رهان يحاول كل منهما الفوز بقصب السبق في الحلبة.. و كثيرا ما حاول كل منهما الاستفادة من معطيات الآخر أو امتطائه، فرأينا نجاحا لبعض المثقفين في اقترابهم من عالم السياسة، لا مسه مسا لطيفا كما يظن، حتي كسب تعاطف السياسي علي نحو مهد له الطريق للوصول الي الناس بأحاديث الثقافة، خاصة في البلاد المستقرة و التي يفتح فيها السياسي ذراعيه لآلة الكلام..

فقد ارتكزت دول علي عطاء الثقافة دعاية و دفاعا و كأنهم اتخذوا المثقفين أبواقا لنشر مبادئهم و ما يبغون تسوغه للناس عبر مشروعية النهج الثقافي، بحيث تبدو بأن السياسة لا تتدخل في الشأن الثقافي و لا تعبث الثقافة بالسياسة.. وهو التصور المغلوط الذي نفته التجربة وواقع الحال، في حين أن السياسي الجيد بنفسه يقود و يفرض وجهة نظره و يرسم لآخرين طريقهم و الناس بدورهم يتطلعون اليه و يتلقفون آراءه و أفكاره و رؤاه و تشرئب إليه اعناقهم في الأزمات الحوالك او أوقات الضباب.. كما مرت هذه العلاقة بحالة مد وجزر ظهر خلالها حرص كلا الطرفين على الإفادة من الآخر حتى أخر قطرة, خاصة في حالات الدول شبه المستقرة، لا تلك التي تعصف بها الحروب و يخفت فيها صوت العقل و يعلو صوت البارود، ففي حالة غياب السياسي المحنك او اضطراب الدول يجد المثقف نفسه في قلب الدور و الموقف مأزوما يعلو، لكي يسوسها بل يبدع من خلالها فيما يسمي " حالة

التوريط " حتي أذنيه، مجرد إعلانه عن موقفه من القضايا السياسية، يوجب عليه تحمل التبعات أو الخسارات التي ستلاحقه.. وقد راينا ما يمكن ان يسمي عملية(اغتيال حي) للمثقفين، حشروا انوفهم في السياسة فابعدوا عن المشهد أو اغتيلوا وهم علي قيد حياة الظل.. مما يجعل يد المثقف مغلولة الابداع فلا يبدع الا من خلال ما يتوافق مع السلطة.. كما في حالة مصر شبه الليبرالية قبل ثورة 52، حيث اختار الساسة بعض المثقفين أمثال طه حسين، و العقاد، و لطفي السيد، الرافعي، حسين هيكل وغيرهم من الأعلام ليكونوا صوت أحزابهم، و الصدح بآرائهم في الصحف و الندوات، فتأخر المثقف فصار تابعا لا متبوعا.. مقودا لا قائدا، أما اليوم فالعالم العربي يتعرض لتغييرات جذرية و تحولات عميقة في بنيته الفكرية و الاجتماعية و السياسة، و يشهد اضطرابا عظيما علي كافة المستويات مما حذا بالناس الي التطلع الي دور للمثقف الفاعل لملء فراغ ناجم عن حالة عجز في مؤسسات المجتمع المدني بما فيها النقابات و الاحزاب.. وخلق صورة ذهنية مغايرة للمثقفين أصحاب الأبراج العاجية إلى صورة المثقف الفعال المتفاعل صاحب الرؤي و الابداع و الاستشراف.

دور المثقف في المجتمع

نادرة عبدالقدوس - اليمن

في محاضرة ألقيتها في إحدى الأمسيات الرمضانية، المنصرمة، في ساحة المنارة التاريخية، في كريتر، ضمن نشاطات شبكة الدفاع عن الموروث الثقافي والطبيعي لعدن، كنت تحدثت فيها عن دور المثقف في الفعل الثوري، الهادف إلى التغيير النوعي وخلق المجتمع الأمثل، حيث يتمتع فيه المواطن بالحياة الكريمة والعيش الرغد، مستمتعاً بحقوقه الإنسانية الشرعية، ومنفذاً لواجباته تجاه وطنه.

تُعلمُنا دروس التاريخ السياسية، إنه ما من فعل ثوري إلا ويسبقه فكر ووعي ثقافي يمهد الطريق نحو التغيير، ويرسم ملامح الغد، الجديد والمشرق. ومنذ العقود الماضوية، حتى اليوم، والمثقف، في كل بقاع الأرض، يناضل بما أوتي من قوة بصيرة، وتماهٍ مع واقعه، من أجل إماطة اللثام عن الحقيقة، وتعرية السلطة البابوية والكهنوتية والفاشية المستبدة، وإلغاء استعباد الإنسان لأخيه الإنسان. وهنا أشير إلى أنه ليس كل من نال قدراً من التعليم بمثقفٍ، إذ لا علاقة،البتة، بين التعليم والثقافة ؛ فالثقافة وعي ينعكس في أخلاق وسلوك من يتمتع به. وكان في رسول الله وخاتم النبيين محمد عليه الصلاة والسلام أسوة حسنة، وقدوة للناس أجمعين، وهو الأمي، تمتع بمكارم الأخلاق، وكان قرآناً يمشي على الأرض، كما وصفته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

قاوم المثقفون، بمختلف دياناتهم ومعتقداتهم الدينية والفكرية، في الأزمنة والعصور الحديثة والمعاصرة، وفي كل بقاع الأرض قاطبة، كل أصناف الظلم والقهر والتخلف، و أوقدوا جذوة الفعل الثوري في النفوس، وكانت كلماتهم ومواقفهم ومناداتهم في التغيير واختراق التابو الديني

والسياسي والاجتماعي، نبراساً أنار الطريق للإنسانية. فكان الفعل الثوري الذي يهدف إلى تحرير الإنسان من ربقة الظلم والفساد والتخلف،المستمر حتى يومنا هذا.

ونحن إذ نتحدث عن دور المثقف في الفعل الثوري، فإنما نعني بذلك الدور النضالي،الفعلي في إحداث التغيير المنشود الذي يحلم به السواد الأعظم من الناس، وخاصة في وطننا العربي، حيث يبحث الإنسان عن قوميته العربية المتلاشية، وهويته الضائعة، في ظل التطورات المتواترة، في حلبة الصراعات الفكرية والعقائدية والطائفية، التي تغذيها وكالات الاستخبارات العالمية وتسعّر جحيمها، مستغلة التخلف الفكري والاجتماعي والاقتصادي والسياسي في البلاد العربية.

لقد جاءت العولمة،كنتيجة حتمية للتطور الصناعي،المتسارع، في البلدان المتقدمة صناعياً. وأحدث هذا التقدم الصناعي، تطوراً بارزاً في تقنية وسائل الاتصال التي نجحت في تجاوز واختراق الحدود المرسومة على الأرض بين الدول، من خلال تحليقها في الفضاء الواسع، والوصول بكل سهولة ويسر إلى ستة مليار إنسان . هم سكان الأرض . دون حسيب أو رقيب، ودون تأشيرة دخول إلى بلدانهم، وبذلك أصبح شعار العولمة "من يمتلك المعلومة يمتلك العالم".

وبسبب تردي الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في البلاد العربية قاطبة، دون استثناء، كان من السهولة بمكان التأثير المباشر على عقول وأذهان الكثير من الناس بمختلف مستوياتهم التعليمية والثقافية، ومن بينهم عدد كبير من الشباب الذي تنقصه تجارب الحياة، ولم يكتمل نضوجه الفكري والديني بعد، زد إلى ذلك،عدم وجود الرعاية والتربية الأسرية السليمتين؛ فينساق وراء الأفكار التي تبثها شاشات العرض التلفزيونية، وشبكة التواصل الاجتماعي الذي يُعد أمضى سلاحاً من التلفاز في عصرنا الراهن.

في ظل هذه التطورات المتواترة السريعة الخطى، المتزامنة مع الأحداث الدامية التي تتزعمها عصابات إرهابية، تكفيرية، إقصائية، والتي تجد دعماً،غير محدودٍ، من قوى دولية إرهابية،ودولٍ تستهدف البلاد العربية والإسلامية، بغرض تفتيتها وتقسيمها وإضعافها، من أجل الاستحواذ عليها وإنجاح المشروع الصهيوني العالمي، بامتلاك الكرة الأرضية، بما رحبت، فإنه تقع على عاتق المثقف العربي واجبات ومهام تتطلب الجدية والحزم وعدم التهاون بها.

ففي الوقت الذي تنتصب المهام الجسيمة أمام المثقف العربي لمجابهة الخطر الذي يهدد البلاد العربية وشعوبها، والقادمة رياحه من اتجاهات مختلفة، معروفة على الملأ، نجد، للأسف، أن المثقفين العرب ينقسمون إلى أربعة أصناف مختلفة:

الصنف الأول الذي يقف متفرجاً، متردداً، لا يجرؤ على اتخاذ الموقف الثوري الحازم في الوقت المناسب، منكفئاً على ذاته، وكأن الأمر لا يعنيه.

والصنف الثاني يقف نضاله الثوري على التعبير عن آرائه في إطار الملتقيات الفكرية والندوات المغلَقة، التي ما أن ينتهي زمن انعقادها، حتى تتبخر كل الأفكار التي ترددت بين جنبات الجدران، وكأن شيئاً لم يكن، وفي أضعف الإيمان يسجل رأيه عبر شبكة التواصل الاجتماعي، في حين يتطلب الوضع المتأزم في البلاد العربية، المشاركة الفاعلة من أجل التغيير.

فيما يضع **الصنف الثالث** من المثقفين أقدامه في بلاط السلطة الفاسدة، ويجول، متفاخراً، في دهاليزها، تاركاً وراء ظهره تطلعات وأحلام شعبه في الحياة الكريمة، والقضاء على الظلم والفساد، مكتفياً بتحقيق طموحاته الشخصية ومآربه الخاصة، وهو الصنف الأشد خطورة من بقية أصناف المثقفين، فهو الذي تعتمد عليه السلطة في تزييف الحقائق وتلميع وجهها، وهو المثقف المرغوب في كل أشكال الأنظمة السياسية ويتواكب مع كل الألوان.

أما **الصنف الرابع** فهو المثقف الثوري الفعلي والفاعل، الذي يقف جنباً إلى جنب مع القاعدة العريضة من شعبه، الباحث دوماً عن نصرة الحق، الناكر لذاته من أجل مصلحة الوطن وشعبه. وتستحضرني، في هذه اللحظة، ذلك الموقف الشجاع الذي اتخذه أحد المثقفين المصريين، حين ذهب إلى النائب العام، في بلاده، يشكو رئيس الجمهورية، بعد بضعة أيام من تنصيبه رئيساً للبلاد، متهماً إياه بخيانته لوطنه، بالتجسس لصالح دولة أجنبية، وكان متأبطاً الأدلة والبراهين التي تؤكد إفادته، ما أدى إلى قلب الموازين في البلاد، وكشف الكثير من الأسرار، وإقالة ذلك الرئيس وإيداعه السجن، هو وزمرته الفاسدة والخائنة. وكان هذا المثقف الثوري واحداً من المثقفين الذين يتقدمون صفوف التظاهرات الشعبية،السلمية،المطالبة بالتغيير في مصر العربية في ثورة،ما سميت، بالربيع العربي.

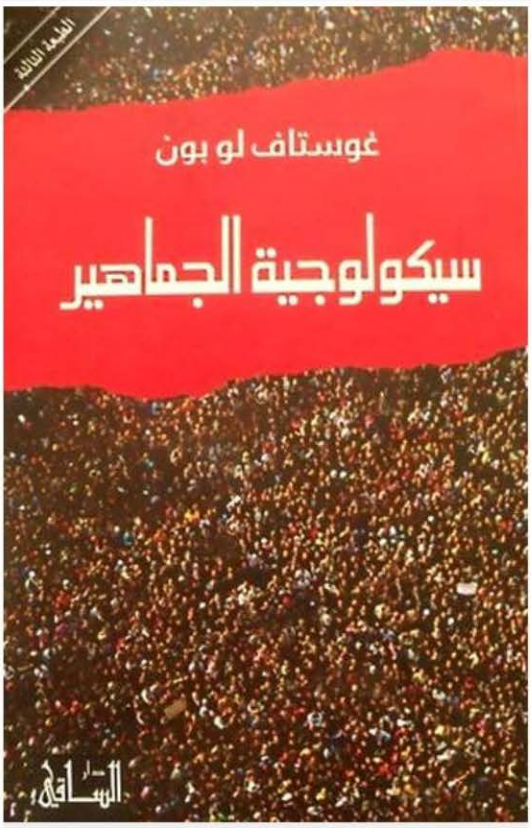
إن المثقف العربي بإمكانه إحداث التغيير في مجتمعه فيما كان صادقاً، مخلصاً،

ومؤمناً بقضية شعبه ووطنه. ولا أصدق قولاً وفعلاً من المثقف الفلسطيني الذي يقف، منذ أكثر من سبعة عقود، متحدياً، مع شعبه المناضل، جنازير الاحتلال الصهيوني وآلياته العسكرية المتطورة وصلفه وغطرسته، ومن ورائه، عرابته، الإدارة الأمريكية. ولا يكتفي المثقف الفلسطيني بالمشاركة في التظاهرات الشعبية المناهضة للاحتلال، وفي كثير من الأحيان يكون قائداً لها، فحسب، بل إنه يقوم أيضاً بمقاومة الاحتلال ومقارعته، بالأعمال الفدائية، حاملاً روحه على كفه فداءً للوطن المسلوب. وللمثقف الفلسطيني دور بارز في استنهاض الأمة العربية لدعم القضية الفلسطينية، كما يقوم بالتعريف بها في المجتمعات الغربية التي تصلها المعلومات المعكوسة، من قبل الصهيونية العالمية المحتكرة لعدد كبير من وسائل الإعلام، كما تحتكر الاقتصاد الأمريكي والدولي. كذلك فإن المثقف الفلسطيني يؤدي دوره الفاعل بنشر الوعي في مجتمعه والنضال من أجل تعزيز الهوية الفلسطينية، من خلال المحافظة على الموروث الثقافي وتوثيقه لاستبقائه حياً، فنجد هذا الموروث في الشعر وفي القصص والروايات والمسرحيات، كما هو في الصناعات الحرفية المتوارثة وفي الأغاني الشعبية والرقص الشعبي الأصيل وفي المأكولات الشعبية، والتي تقام من أجلها المهرجانات في عدد من المدن الفلسطينية، كتأكيد على تحدي الشعب الفلسطيني للسياسة الصهيونية،الهادفة إلى محو الهوية الفلسطينية. وهناك من المثقفين الفلسطينيين الذين يقومون بدعم أسر الشهداء ومؤازرتها والبحث عن وسائل تمكنها من العيش الكريم.

كثيرة هي المواقف النضالية والأفعال الثورية للمثقف الفلسطيني، خاصة، والعربي عامة، ولكن، تقف اليوم مهام أكثر جسامة أمام المثقف العربي، بحاجة إلى فعل أكثر قوة وأكثر جدية وأكثر صلابة وشجاعة في زماننا هذا، حيث تتكالب على الأمة العربية والإسلامية تهديدات خطيرة، من كل جانب، وللأسف، بمالٍ عربي وأيدٍ عربية... ودمٍ عربي، ينزفه القاتل والمقتول، على حد سواء. وهنا تكمن المأساة.

خيانة المثقفين وشكوى الجمهور

نشرت هذه القراءة، بموقع (ميديل إيست أونلاين)، ونظراً لأن القراءة تناقش موضوع الملف، رأينا أن يتم إضافته للملف، خاصة وإنه يعرض لوجهة نظر المثقف للجماهير!!!، بالاعتماد على كتاب (سيكولوجية الجماهير) للعالم نفس الاجتماع الفرنسي "غوستاف لو بون"، مؤسس علم نفس الجماهير.



الجمهور الساخط أو الناقم على نظم الحكم، تعرض في مختلف العصور الى إتهامات وأوصاف مختلفة، بعضها يكاد يكون قاسيا، وإن كان في بعضه صحيحا، من حيث السلوك أثناء ظاهرة التجمهر، ولكن لا يمكن التعميم في كل الأحوال والأزمنة والعصور على كل تظاهرة شعبية أو تجمع جماهيري غاضب وناقم على السلطة، على أنه "غوغائي" و"مهرج"، وإن تلك الجموع، تشبه من وجهة نظرهم، ما يمكن وصفه بـ "قطيع الغنم الذي يقوده راع، ويحرسه كلب!".

الفيلسوف الألماني الشهير، فردريك نيتشه، صاحب فلسفة القوة، الذي من أعماله: "هكذا تكلم زرادشت"، كان يقول عن تظاهرات واحتجاجات شعبية عمّت بعض الدول الأوربية ومنها فرنسا، في عصر الثورة الفرنسية وما تلاها: إن ميدان الجماهير يغص بالغوغاء المهرجين.. دع المشاغبين وارجع الى مقرك، فما ميدان الجماهير إلا معترك يهدد سلامتك بين خنوع "نعم وتمرد" لا"!

ويقول نيتشه في موضع آخر: ليس على زرادشت أن يخاطب جماعات، بل عليه أن يخاطب رفاقاً، يجب ألا يكون زرادشت راعيا للقطيع وكلبا له!

وعن "ظاهرة الغوغاء" أو "القطيع" الذي يطلقه على أية تجمعات جماهيرية من هذا النوع أفرد عالم نفس الاجتماع والمؤرخ الفرنسي غوستاف لوبون، مؤسس علم نفس الجماهير، في عام 1895، كتابا مستقلا، تناول فيها دراسة الجماهير بشكل مفصل أسماه "سيكولوجية الجماهير"، تحدث فيه عن الجماهير من وجهة نظر نفسية فعرفها على أنها: "الحشود والتكتلات، التي تتصف بصفات طارئة ولها خصائص مشتركة، تختلف عن صفات وخصائص الأفراد الشخصية الواعية التي تشكلها، بحكم ظرف طارئ"!

وتناول غوستاف لوبون الصفات العامة لتك التجمعات الشعبية وقال عنها إنها: تتصف بسرعة الانفعال وخفتها ونزقها، وسرعة تصديق أي من الأحداث وسذاجتها، إن عواطف الجماهير تتضخم "في مشاعر الحب والكره" ويتم تبسيطها!!

ويصف غوستاف لوبون السر وراء انخراط الأفراد في الجمهور فيقول: ففي الجمهور يتحرر الأبله والجاهل والحسود، من الإحساس بدونيتهم، وعدم كفاءتهم

وعجزهم، ويصبحون مجيشين بقوة عنيفة!

وهنا يشير غوستاف الى أن الجماهير التي تميل إلى التعصب في آرائها واستبداديتها "تحترم القوة ولا تحترم الطيبة، بل هي بنظرها شكل من أشكال الضعف" هذه القوة التي تقود في كثير من الأحيان إلى التطرّف. وإن "بساطة عواطف الجماهير وتضخيمها، يحميها من الشكوك وعدم اليقين، فالجماهير كالنساء، تذهب مباشرة نحو التطرّف، فما أن يبدر خاطر ما حتى يتحول، إلى يقين لا يقبل الشك"، وإنه اذ ما نفرت تلك الجماهير من شيء، يتحول مباشرة إلى حقد هائج، "بما أنه لا يمكن تحريك الجماهير والتأثير عليها إلا بواسطة العواطف المتطرفة".

ومن وجهة نظر غوستاف لوبون فإن "العقلاء" لا يتحركون بـ "سيكولوجية الجماهير"، لأنهم في أكثر الظروف التباساً يظلون محتفظين بشخصياتهم الواعية، بحيث يصعب تزييف وعيهم أو توجيههم، بينما في حالة الجمهور تتلاشى الشخصية الواعية للفرد، وتصبح شخصيته اللاواعية في حالة من الهياج، ويخضع الجميع لقوة التحريض وتصيبهم عدوى انفلات العواطف، بحيث تلغى شخصية الفرد المستقل، ويصبح عبارة عن إنسان آلي يتحرك بقوة الهستيريا الجماعية كما يقول لوبون.

ويقول وليم شكسبير إن "حشد العقلاء أمر معقد للغاية، أما حشد القطيع فلا يحتاج سوى راعٍ وكلب"، والمعنى من وجهة نظر علماء اجتماع وسياسة نراه ونعيشه بشكل يومي وفي كل مكان، بدءاً بالسياسة وانتهاء بلعبة كرة القدم، القطيع يستنفر ويتجمع في لمح البصر، لأنه يتحرك بمثيرات الشهوة والغريزة، فعلى رائحة الدم تتجمع قطعان الذئاب مثلاً وأسراب النسور والعقبان وكل الحيوانات المتوحشة، وبمنطق ذهنية الجماعة التي تجرح سريعاً حين يخص الأمر وجودها وحقوقها أو نرجسيتها القومية، يندفع الناس للدخول في المظاهرات ومعارك الشوارع، لكن لن يكون هناك شخص عاقل أبداً، فالعقلاء ينفرون من كل ما يلغي الإرادة ويقود للغوغائية.

ومن جانبه يقول الزعيم البوسني عزت بيغوفيتش في كتاب له عن تلك الظاهرة: إن الحالة الجماهيرية تتسم بحالة عقلية أشار اليها يوهان هويز نجا باسم الصبيانية. وتتصف بتسليمات مبتذلة، غياب روح الفكاهة الأصلية، الحاجة إلى أحداث مثيرة ومشاعر قوية، الميل إلى الشعارات الرنانة والاستعراضات الجماهيرية، والتعبير عن الحب والكراهية

بأسلوب مبالغ فيه، واللوم والمديح المبالغ فيهما، وغير ذلك من العواطف الجماهيرية القاسية.

هكذا كان ينظر كبار علماء الاجتماع والفلسفة - ومن هم محسوبون على كبار المثقفين - إلى الجماهير الناقمة والساخطة على أنظمة الحكم، وقد تم تعميم تلك المظاهر والسلوكيات على ما يظهر اليوم من احتجاجات شعبية في مختلف دول العالم، بالرغم من أن تلك التجمعات الحاشدة أدت إلى إسقاط أنظمة كانت تتهم بالاستبداد والدكتاتورية، لكنهم كانوا يصفون شكل الحالة النفسية والهيجان الجماهيري أثناء المشاركة في تلك التجمعات والاحتجاجات بـ "الغوغاء" و"القطيع الهائج"، وفيها جانب من الصحة، إلى حد كبير، لأن أغلب تلك الاحتجاجات لا يوجد لها "قادة حكماء" في أغلب الاحيان، وهي تخرج تحت ضغط الشارع والجمهرة غير المنظمة لكي تسير باتجاه الفلتان والفوضى، لكنها تبقى ترهب الكثير من أنظمة الحكم وتشكل لسياسييها قلقا كبيرا لا يمكن تجنب عواقبه، وهي في كل الأحوال تحولت إلى "ظاهرة مجتمعية" ووسيلة أمثل لل "الضغط"، وأخذ تيارها يتجه كالنار في الهشيم، ليمتد إلى دول كبيرة، وما يجري في العراق ودول في المنطقة وأخيرا في فرنسا ودول أخرى، يدخل في هذا الباب، من أن الجماهير الناقمة ليس بمقدورها، أن تسكت عن الظلم الذي استشرى عليها وعلى بني جلدتها، وما عليها إلا أن ترغم الحاكمين للامتثال لمطالبها العادلة في تحقيق مطالبها المشروعة والعادلة.

وأفضل مثال عبر عن "خيانة المثقفين" الفرنسيين هو المفكر والروائي الفرنسي جوليان بندا، الذي أطلق قبل أكثر من ثمانين عاما، صرخته في وجه المثقفين الذين تستهويهم مغريات السلطة والجماهير فتقودهم للانحياز لمصالحهم السياسية والنفعية على حساب دورهم ومسؤولياتهم الأخلاقية، وجاء كتاب بندا صادما من عنوانه الذي حمل اسم "خيانة المثقفين" الصادر عام 1927، ومنذ ذلك الوقت صار مصطلح "خيانة المثقفين" يرمز للإشارة إلى تخلي المثقفين عن استقامتهم الفكرية.

لم يكن كتاب بندا هو الوحيد، فبعده بأعوام جاء الكاتب الأميركي راسل جاكوبي، ليناقش في كتابه "آخر المثقفين" الصادر عام 1978 تراجع دور المثقف في الحياة العامة، وتخلف تأثيره في المجتمع. كما تحدث الناقد الفلسطيني إدوارد سعيد، في كتابه "صور المثقف" سنة 1994 عن الصورة الأخلاقية المفترضة للمثقف.

وألّف الكاتب البريطاني فرانك فوريدي أستاذ علم الاجتماع في جامعة كينت كتابا آخر باسم "أين ذهب كل المثقفين؟" عام 2004!

كل هؤلاء المفكرين وجهوا التوبيخ تلو الآخر للمثقف، الذي يتخلى عن رسالة أخلاقية افترضوا مسبقا أنه منذور لأجلها، وعن ممارسة أهم مسؤولياته في النقد، وهي الوظيفة الرئيسة للمثقف، والتحلي بالشجاعة والمسؤولية، خاصة في ظل الاحتراب الفكري الذي يجعل الأمور ملتبسة، ويصبح "الرأي فوق شجاعة الشجعان"، كما يقول المتنبي.

وقال آخرون لقد صدق إدوارد سعيد حقا حين تحدث عن خيانة المثقفين، ففي الوقت الذي تتعالى فيه أصوات عقول حية متقدة في الساحة الفرنسية، رافضة موجات اليمين المتطرف وخطاب العنصرية والاستبعاد الاجتماعي، التي تمثلها قامات كبيرة في معادلة الثقافة والفكر في الساحة الفرنسية والأوروبية من طينة إيمانيول تود، ميشيال أونفري، ألان باديو، وروجي غارودي، ممن تصدوا لغوغائية الإعلام وانتهازية رجال السياسة وحشود الجماهير. يتزلف بنو جلدتنا من المثقفين الموائد في النوادي هناك، لعلهم يقدمون الدليل على صفاء السريرة وبراءة الذمة، طمعا في صك اعتراف ولو على حساب الحقائق والمواقف.

ويتهم المثقفون في كل الأحوال على أنهم أما أنهم تحولوا الى جانب الحكام الطغاة والمستبدين وراحوا يحملونهم، أو أنهم اخذوا أسلوب "الإعتكاف" عن المشاركة في الحشود الثائرة الغاضبة، وهو ما نلحظه في كثير من التجمعات الجماهيرية الغاضبة في العراق هذه الأيام، وما موجود منهم لا يعد على عدد أصابع اليد، ولا يشكل رقما ذا قيمة قياسا إلى جهد الجماهير الشعبية التي تشارك بقوة من أجل تحقيق مطالبها المشروعة، وللأسف فإن بعض مثقفينا راح "ينتظر" نتيجة ما تؤول إليه الاوضاع علّ بمقدوره أن يحصل على مبتغاه في خاتمة المطاف.

لكن غوستاف لوبون يظن أن المثقفين هم "صفوة المجتمع" وهم أكثر "عقلانية" من هؤلاء الغوغاء الثائرين وفق نظام القطيع، بالرغم من أن أغلب المثقفين الفرنسيين كانوا قد اتهموا بالخيانة لبلدهم، لأنهم لم يشاركوا شعبهم ثورته العامرة ضد تسلط الدكتاتوريات والنظم الفاسدة التي مارست استبدادها على الفقراء وعامة الشعب وحولتهم إلى أداة تنفذ إرادة الحكام، ولم يتم تنفيذ أي من مطالبهم بأن يتم توفير قدر من الكرامة واستعادة الحقوق

المشروعة، ولهذا فإن عزوف المثقفين اتسع نطاقه حتى إلى الدول العربية، ومنها العراق، وتجد أغلبهم وهو معتكف، ويعد موقف الكثيرين منهم سلبيا ولا أباليا، كونهم لا يشاركون الجمهور الناقم مطالبه المشروعة، ولم يشاركوا ثورة الفقراء وعامة الشعب، في تلك الممارسات الجماهيرية الشعبية، من أجل أن يتم تحقيق أهدافهم المشروعة.

القيمُ الإنسانية والأبعادُ الوطنية

في ديوان (لاَ وَقْتَ لِلْكُرْهِ) للشاعر محمد المزوغي

يونس شعبان الفنادي

لا يمكن للشعر أن يكون مختالاً عند المُبدعين الأوفياء للنص الشعري، والمؤمنين بدوره التعبيري التنويري والجمالي، ورسالته الوجدانية التي توطن الكثير من القيم الإنسانية النبيلة. فالعلاقة الجدلية بين النص الأدبي وسيرة مبدعه ظلت منذ عهود محل جدال كبير بين الدارسين والبحاث ونظريات النقد الأدبي، ولكن رغم كل التفاوت والتباين الجدلي فإنني أؤمنُ بضرورة أن يتقاطعَ النصُّ الأدبي مع الذات المبدعة، وحتى إن حاد عنها أحياناً فلابد أن يعود إلى جذوره فيها، ولو بتمظهر مختلف، وأعترفُ بانحيازي الحاسم لمبدأ أعتبر فيه النص الإبداعي مداهناً ومخادعاً إن تنكر وابتعد كلياً عن صفات صانعه، ولم يعكس أو يبرز بعض خصال مبدعه، لأن يقيني التام بأنه عندما تتماهى فكرة النص في ذاتها الشاعرة المبدعة بتشبع أحاسيسها وإنتشاء دلالاتها ومعانيها، فستتقمصها وسيتوحد النص كلياً في كليهما، أي في ذاتية الصانع الإنسانية، وموضوعية الفكرة الخلاقة، فيتعزز ذاك النص بطاقة إبداعية، وقوة تعبيرية، تكسبه حضوراً وقبولاً واحتراماً واستحساناً.

وهنا عند تناول قصائد الشاعر الأستاذ محمد المزوغي لسنا بحاجة لأن نرهق أنفسنا كثيراً، أو نستنزف وقتاً طويلاً في التعرض لجدلية الذات والموضوع في نصه الشعري، لأن ذاته الإنسانية الأصيلة وشخصيته الطيبة الودودة، وسماحة خلقه الكريم، ورهافة روحه الشفافة، ثابتة لا تبدل أو خلخلة فيها، بل متماسكة متحدة مع فكرها وتتجاوز بعيداً جميع مضامين قصائده الشعرية وتتفوق عليها، بكل ما تحتويه من تراتيل وأناشيد تسمو بالإنسان وتشيد بالوطن وتهتف للمبادىء

والقيم والشيم الأصيلة. وهذه القصائد تمنحنا بذلك انعكاساً وإن كان جزئياً، فهو حقيقيٌ وصادقٌ، لما يتحلى به خلقه من طُهر ورفعة، وتحمله نبضاتُ قلبِه من عشقٍ ومحبةٍ، وتكتسبُه أفكارُه من استنارةٍ وتنويرٍ متطورٍ، تتشكل جميعها في وجدانه وعقله صوتاً عذباً، يبثه فينا من خلال أشعاره الرقيقة فتسافر بنا إلى فضاءات رحبة، زاخرة بالبهجة والإيقاع والفكرة الهادفة النبيلة، مع بعض النواقيس التي يقرعنا بها مراراً للتذكير دائماً بالإنسان .. والوطن.

وإن كانت السيرة الذاتية لشاعرنا قد استمع إليها أو طالعها الكثيرون نثرية مكتوبة في خاتمة صفحات دواوينه المنشورة، فإنني اخترتُ استعراض السيرذاتية الشعرية واقتباسها من إحدى قصائده برهاناً على بعض شمائله وصفاته. ففي ديوانه (بعضُ ما خبأ الياسمين)(1) يقدم لنا قصيدته (هذا أنا)(2) التي يصرّح عنوانها مباشرة بأنها أناه الذاتية وتعريفٌ بشخصه الكريم، وتأكيدٌ لصفات فكره وقلبه ومشاعره، فيقول فيها:

أمْضِي ويَكتبُنِي الزَمَانُ قَصِّيدةً

تُلقِي على الأيامِ عِطْرَ نَهَاري

جُرْحِي يُضِيءُ

كأنَّ جُرْحِيَ نَجْمَةٌ

والليلُ بعضٌ مِنْ أَسَى السُمَّارِ

وحدي خطاي هنا تخط دروبها

وتعيد رسم شواطيء الإبحارِ

لِي في المَدَى المَوْعُودِ أشْهَى غَيْمَةٍ

ملأت، ليُسْقَى الظَامِئُونَ جِرَارَي

ما احتارَ في دَرْبِ المَتَاهَةِ عَاشِقٌ

إلاّ وكنتُ له الضياءَ الساري

هَذَا أَنَا

حَرْفٌ يَمُدُّ ظِلاَلَهُ لِلْمُتْعَبِينَ

وهَذِهِ أَشْعَارِي

أَرْنُو إِلَى الإِنْسَانِ فِيَّ

تَؤُودُنِي سَمَوَاتُهُ

وَتَؤُودُهُ أَغْوَارِي

لاَ نَلْتَقِي إِلاَّ بِوَقْتٍ هَارِبٍ

فِي اللاَمَكَانِ

فَيَسْتَضِيءُ مَدَارِي

وكما نلاحظ فإن لغة هذه القصيدة تتسم بالعذوبة والسلاسة والوضوح حد الشفافية المطلقة التي لا تحتاج شروحاً

إضافية، حيث وفر علينا خطابُ الشاعر الآسرِ، وجماليةُ تعبيراته وإيقاعُها الموسيقي الرنان، البحثَ في قواميسِ اللغة ومعاجمها للتنقيب عن معاني أبياتها ودلالاتها، ولو عقدنا مقارنة بين تعريف الذات كما أمتعنا به شاعرنا محمد المزوغي مع تعريفٍ للشاعر المصري الكبير صلاح عبدالصبور في قصيدته (الظل والصليب)(3) الذي يقول:

أنا الذي أحيا بلا أبعادْ

أنا الذي أحيا بلا آمادْ

أنا الذي أحيا بلا أمجادْ

أنا الذي أحيا بلا ظلٍّ .. بلا صليبْ

الظلُّ لصٌّ يسرقُ السعادةْ

ومن يعيشُ بظله يمشي- إلى الصليب، في نهاية الطريقْ

يصلبه حزنه، تسمل عيناه بلا بريقْ

نكتشف أن هذا المقطع من القصيدة يغرقُ في تكرار لازمة (أنا الذي أحيا) ويغلبُ عليه السرد الوصفي في نقلات بسيطة جداً بين جمل الحكمة والنثر التقريري الخالي من المجازات الحية، وبالتالي فإن كفة المقارنة في التعبير عن الذات والتعريف بها، تميل ميلاً كبيراً لصالح نصِّ شاعرنا محمد المزوغي (هذا أنا) وهو بالتالي برهان يفند الكثير من الإدعاءات التي تقلل من قيمة النص الشعري الليبي شكلاً ومضموناً عند مقارنته بالنصوص الشعرية العربية.



ديوانُ (لاَ وقتَ لّلكُرْهِ)

يحتوي ديوان الشاعر محمد المزوغي الصادر حديثاً ضمن منشورات مكتبة طرابلس العلمية العالمية بعنوان (لاَ وقتَ لّلكُرْه)(4) خمسة عشرة قصيدة تتابعت كالتالي: لا تغلق الباب، بانت سعاد، أقوى من الموت، شجون، خمرة التوق، لا وقت للكره، انشطارات، اطل غيابك، حصاد، محاصرون، كبرياء، رجولة، إلى السيد البارود، انتصار الحصائري، نحن. ونلاحظ أن عناوين القصائد بهذا الديوان هي واجهة إعلانها وبؤرتها الأولى التي تختزل قيمة ودلالات متونها الشعرية، وتعكس الكثير من أفكارها، ودرجة الانتقال من ظاهرها إلى أعماق بواطنها مما يكسبها

جدارة مطلقة لكي تتلبسها وتكون هوية أصيلة لمضمونها .

وتتمثل أهم الخصائص الفنية للديوان في جرسه الموسيقي الصادح وإيقاعه القوي الذي يصدر عن المفردات اللغوية المنتقاة بعناية ودقة فائقة، تمكنها من بعث رنينها النغمي والموسيقي بتتابع واعتدال متوازنين، متدفقة من أنفاس شعرية متواصلة تزخر بالبلاغة التعبيرية، والتطريز الفني، وبراعة صناعة الجملة الشعرية ووقع جرسها الآخاذ. وهذا الالتزام الايقاعي والموسيقي الذي نراه عند شاعرنا محمد المزوغي في قصائد ديوانه يؤكد توافقه مع مذهب بعض النقاد الذي يؤمن بأن (الشعرَ موسيقى، فلا شعرٌ بدونِ نغمٍ وإيقاع، لذلك ظلت الموسيقى عنصر الإثارة والرقة في الشعر عبر مراحله المختلفة)(5).

وبالإضافة إلى تلك الجوانب الفنية، فإن ما يلفت الانتباه في القصائد الشعرية أن عناصر وظواهر الطبيعة مثل الريح، وموج البحر، والسحب، والغيم، والشمس والشروق والغروب وغيرها، تتفاعل في رؤية وفكر الشاعر فتتداعي إليه طواعية، وتستجيب له حين يسكنها رحم النص، لتزيده بريقاً ودفئاً، وتبعث تشويقاً ولهفةً في المتلقي، وقد استفاد منها في صياغة صور تشبيهية جميلة فنياً، ومعبرة موضوعياً. وظاهرة التشبيه يعتبرها النقاد مؤشراً ودليلاً على درجة ومستوى شاعرية القصيدة، ومقياساً للبلاغة لأنها إحدى الوسائل التي تشكل اللوحة أو الصورة الشعرية لكي تنطبع سريعاً في ذهن المتلقي، وتترسخ في فكره، بكل دلالاتها ومعانيها القريبة والبعيدة، وعلى سبيل المثال فقد جاءت صورته الشعرية مكتملة في بيته المكثف الجميل:

تُضِيءُ بِالنُّبْلِ لاَ بِالشَمْسِ أَنْفُسُنَا

وَالنُّبْلُ يَرْوِي كُرُومَ الرُّوحِ لاَ السُّحُبُ(6)

حيث استطاع في هذا البيت توظيف الشمسَ والسُّحبَ في تشبيهين جميلين، متناغمين مع دلالاته التي يرمي إليها، وهي اعتماد السلوك المستقيم المتأسس على مصادر ومناهل النُبل والخُلق القويم، الذي يشع في الأعماق نوراً يوطن راحةً بالنفس حد الارتواء، وسمعة طيبة بين الخلق، يقابله إنكارُ دور الشمس والسحب في ذلك .

كما نجد أن شاعرنا أثرى قصائده الرقيقة وأسكنها بالعديد من الأمكنة التاريخية مثل العاصمة الإيطالية (روما) وما تمثله من رمز للإعتداء والعدوان على الوطن ودلالاتها في المثل الشائع "كل الطرق تؤدي إلى روما" وماضيها الآثم في المشهد الوطني الليبي:

)رُومَا) الَّتِي خَلَطَتْ بِالّعِشْقِ قَهْوَتَهَا

تُفْضِي إِلَيْنَا تَمَاماً مِثْلَهَا الطُرُقُ(7)

وليست روما فحسب بل حتى قرية (أغمات) بالمغرب الأقصى. المستقر الأخير للمعتمد بن عباد آخر ملوك بني الأحمر في الأندلس التي استنطقها شاعرنا لينقل لنا بلاغة رؤيتها لمعنى وحكمة البقاء في كرسي الحكم والسطلة:

تَقُولُ لَنَا أَغْمَاتُ قَدْ كَانَ فَارِساً

وَلَكِنَّهَا الأَقْدَارُ أَدْهَى وَأَفْرَسُ(8)

وكذلك الكثيرُ من الأنبياء والرسل مثل (هارون) و(موسى) و(نوح) و(مريم):

مَا كُنْتَ هَارُونَ لِي حَتَّى أُعَاتِبَهُ

وَلَسْتُ مُوسَاكَ حَتَّى يَسْكُتَ الّغَضَبُ(9)

وفي قصيدة أخرى:

لَقَدْ كَانَ يَبْنِي لَهُمْ نُوحٌ سَفِينَتَهُ

وَهُمْ يَقُولُونَ: أَيْنَ المَاءُ يَا نُوحُ؟(10)

وأيضاً::

كأنها النخل في سفر الشموخ

وفي كتاب مريم عن جذع وعن رطب(11)

وكذلك شخصية اليهودي (السامري) الواردة بالنص القرآني الكريم في سورة طه :

توغل فينا (السامري) فكلنا

-ليعبد هذا العجل- أعمى وأخرسُ(12)

وشخصية (قارون) أحد أثرياء قوم نبي الله موسى عليه السلام:

وتوضأوا بالنفطِ

إنَّ صلاتَهم

أختُ التي صلَّى بها (قارونُ)(13)

كما استحضر-أيضاً الكثير من الشخصيات التاريخية مثل أسطورة "سيزيف" الاغريقية المخادعة الجشعة :

سيلعنُ "سيزيف" حمل الصخور

ويلقي بصخراته للعراء

ويطرح شالاً على كتفيه من الصوف

يدفع برد الشتاء(14)

وشخصية "نيرون" الرومانية المتعطشة للحكم والسلطة والشهيرة بإضرام النيران وحرق مدينة روما الايطالية:

أوحى لهم (نيرون(

حرق بلادِهِم

يا بئسَ مَا أَوْحَى لَهم (نيرونُ)(15)

وإن أورد شاعرنا بعض الأعلام والشخصيات بأسمائهم الصريحة فقد ألمح للبعض الآخر بالصفة أو الرمز كما في بيته الذي يشير فيه إلى الشاعر أبي الطيب المتنبيء الذي ظل يشغل الناس بقوة قصائده التي لازالت حية فينا حتى الوقت الراهن، فقال:

هـلْ شَاغِلُ النَّاسِ أَجْدَتْهُ مُعَاتَبَةٌ

قَدْ عَادَ وَالشِّعْرُ مَجْرُوحٌ وَمُكْتَئِبُ(16)

وكذلك حين أشار إلى شاعر الفلسفة الإنسانية والإسلامية العميقة أبي العلاء المعري مقتبساً من قصيدته (فلسفة الحياة) بعض مفرداتها حين قال:

شَيءٌ كَأَعْمَى

رَأَى الإِنْسَانَ حَيْثُ مَشَى

فَخَفِّفِ الوَطْءَ

أُمٌّ ذَا الثَّرَى وَأَبُ(17)

كما أن شاعرنا لا يتواني في تضمين قصائده بالنصح والإرشاد جاعلاً من نصه مدرسة تربوية وتنويرية تمثل الرسالة الهادفة للشعر وللأعمال والأجناس الإبداعية كافة:

وأصدقِ القول عن قلب وابلغه

ما تنبيء العينُ

لا ما ينبيء الورقُ

يا صاحبي لست غيري

نحن يجمعنا دَمٌ وأرضٌ

فقل لي كيف نفترقُ(18)

ويواصل نهجه بكل ثقة وثبات وأمل متدفق من روح إيمانية يملؤها الحب النقي الذي منهله وبوصلته الإنسانية الإسلامية السمحاء قائلاً:

يا صاحبي لم يزل في الحب لي أمل

وفي القلوب التي أربابها صدقوا

هيهات يا يأس أن تُلقِي الرحَالَ هنا

يا يأسُ إنَّ لنَا رَبًّا بِهِ نَثِقُ(19)

إنَّ هذا الإثراء الموضوعي والشكلي والتطريز البلاغي الجميل وتوظيف الأدوات الفنية كافة والاقتباسات والاتكاء على التاريخ ليس غريباً أو جديداً على الشاعر محمد المزوغي المغروم منذ بداياته المبكرة التي انطلقت في عقد الثمانينيات بقصيدة التفعيلة ثم حتى بعدما اختطفته القصيدة العمودية التي ظل يكتبها بروح الحداثة وبلغة معاصرة فأخلص لها

ووظف عناصره ومهاراته الفكرية والفنية حيث دأب منذ ذاك الحين على اعتماد هذا النهج الفني في نصوصه وأشعاره الأولى كما نلحظه في قصيدته (مِن وَحْيِ عَيْنَيْكِ) التي يقول فيها:

وتغضبُ الرِّيحُ لَكِنْ حِينَ أُنْشِدُهَا شِعْرِيَ
تَرِقُّ فَمِنْ رِيِّحٍ لِرَيْحَانِ

إِنِّي رَسَمْتُكِ مِنْ أَحْلاَمِ عَاشِقَةٍ
وِسَادُهَا غَيْمَةٌ فِي لَيْلِ نِيسَانِ

وَمَنْ رَوَى مَوْجَةً عَاشَتْ يُغَازِلُهَا بَيْتٌ
مِنَ الرَّمْلِ فِي دِفْءٍ وَتَحْنَانِ(20)

وفي ديوان (لاَ وَقْتَ للّكُرْهِ) للشاعر محمد المزوغي لا يمكن أن تغيب الأرض والبلاد رمز ليبيا ومفهوم الوطن عن قصائده الجميلة، فحضورها بالنسبة له هو بمثابة الوجود والعدم، الحياة والموت، لأنها النبض والحضن والبوح والأمل والحب والعشق، ويتجلى ذلك في إنشغاله الدائم بما تتعرض له ليبيا الحبيبة من نكبات ومآسي، وتشريد وتهجير، وخطف وقتل، وفساد وتدمير، طال الإنسان والمكان والطير والشجر والحجر. وفي خضم كل تلك الظروف والمعطيات البائسة ظهرت القصائد المزوغية مغناة لليبيا البلاد والوطن، وإن لم يذكرها شاعرنا بالاسم صراحة، فإنها جاءت لتنتزع لها الحياة من وحشية الموت، وكوارث الحرب وركام الخراب والهلاك، وتكتب لها بمداد الشعر الصادق أبيات الأمل الواعد باخضرار مستقبلها المرتجى. وقد جعل شاعرنا وطنه ليبيا يتوحد بكامل اتساعه وامتداده وتنوع أعراقه وشرائحه في أناه الجسدية وذاته الإنسانية الشاعرة والشخصية الإبداعية على حد سواء، متمثلاً ذلك التوحد والارتباط بمعنى كيانه ووجوده، ورسالة حرفه وشعره، والنور الذي ينير دربه وحياته، وكل ما يكتنزه من روحانيات ومعنويات وماديات وضعها كلها منصهرة في حزمة واحدة حين قال :

وَطَنِي أَنَا

مَعْنَايَ،

شَهْقَةُ أَحْرُوفِي

قَمَرِي المُسَافِرُ فِيَّ،

وَصُرَّةُ زادي(21)

فالوطن عند شاعرنا محمد المزوغي ليس طيفاً أو خيالاً افتراضياً أو مكاناً ظرفياً مؤقتاً، أو فضاء قصياً بل هو ملاذ ثابت وحضن ونسيج دائم متخلق في القلب والعقل بكل أطيافه وعناصره ومكوناته ومعانيه ولذلك نجده في وسط نصه يقرعنا بسؤال استفزازي عميق يوقظ فينا الكثير من الشجون والأحاسيس والمشاعر تجاه هذا الوطن حين يقول :

مَاذَا يَكُونُ المَرْءُ دُونَ بِلاَدِهِ

إلاَّ رماداً مُمْسِكاً برمَادِ

تَمْضِي إِلَى أَقْصَى المَدَائِنِ خُطْوَتِي

لكنَّ قلبِي رَابِضٌ بِبِلاَدِي(22)

وتظهر معاناة الوطن ومحنته قاسية بكل صورها القاتمة الحزينة التي عددها الشاعر صراحة بشكل متسلسل (القتل، الخطف، الإذلال، التخوين) في قوله:

في كل بيت في بلادي نكبة

وفؤاد أم واله وحزين

القتل بعض من مصائب أهلنا

والخطف والاذلال والتخوين(23)

وعندما يتعلق الأمر بمحنة اغترابه وبعاده وافتراقه عن أهله وأحبته أو تهجيره من مدينته يبين لنا أن الهم والألم الشخصي-الخاص يهون فداءً في سبيل عموم الوطن، وأن اهتمامه وانشغاله منصب على ما يتعرض له وطنه الحبيب من نكبات ويعانيه من مآسي، فيشبّه حالته وهدفه ومشاعره بالشاعر كعب بن زهير صاحب البردة المشهورة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم (بانت سعادُ) ليوضح لنا مراميه البعيدة وغاياته الوطنية التي ينشدها ويتطلع إليها فيقول:

مَا كَانَ يَشْغَلُنِي الفِرَاقُ وَإِنَّمَا

وَطَنٌ يُبَاعُ وَيُشْتَرَى بِمَـزَادِ

مَا هَمَّ كَعْباً أَنْ تَبِينَ سُعَادُهُ

بَلْ هَمَّهُ صَفْحُ النَّبِي الهَادِي(24)

ثم يتكيء شاعرنا على التاريخ الوطني الحديث فيذكرنا بصفحاته المجيدة ورواده الأبطال الذين صنعوه بتضحياتهم، فيعقد بينهم وبيننا مقارنة واقعية مؤلمة نعيشها في هذا الوقت البائس ونحن نتصارع على تمزيق وطننا وتقسيمه فيقول:

وطنٌ بناه الطيبون وغادروا

وبكفهم سفرٌ من الأمجادِ

لم يتركوا الأسياف في أغمادها

إن السيوف تموت في الأغمادِ

هم وحدوه ونحن في تفريقه

نسعى بكل عزيمة وعنادِ

كم بين من أوفوا ومن خانوا

ومن باعوا الديار بكعكة الميلادِ(25)

ثم ينقل لنا رؤيته لاستعادة الوطن من أتون الحرب وأوحال الفوضى والحرب والخراب التي يغرق فيها ويختار لنا حلاً

بسيطاً ينقذنا من براثن التدمير والهلاك ويعيد البهجة لروح لوطن، فتنزرع بقلوبنا ونفوسنا وتمنحنا راحةً ومستقبلاً زاهراً، وهذا جانب إيحائي مضيء لأنه لا يتوقف عند البكاء على الأطلال أو توصيف الحالة الواقعية بل يذهب أبعد من ذلك في تقديم الحلول والمقترحات الناجعة التي يراها للخروج من المأزق الحالي الذي يعانيه الوطن، فيقول:

أنَا لاَ أقُولُ إِلَى السِّلاَحِ تَحَاكَمُوا

مَا فِي السِّلاحَ سِوَى الدَّمَارِ البادِ

يَكْفِي القليلُ منَ المَحَبَّة بَيْنَنَا

كَيْ تُهْزَمَ الأحقادُ دونَ جِلاَدِ

كَيْ يُشْعِلَ الليلُ الحزينُ نجومَهُ

كي تأتِيَ الأفراحُ في الميعاد

كي يسبح الأطفال في ألعابهم

كي يُطْرِبَ الأرواحَ صوتُ الحادي

كي يرتقي الإنسانُ بالإنسانِ في

صحوِ يزيلُ ضباب كلِّ تضادِ

فَاخْتَرْ طريقَ الحُبِّ وَاقْطِفْ ضَوْءَهُ

أَوْ كُنْ بِدَرْبِ الحِقْدِ شَوْكَ قَتَادِ(26)

وتتأسس هذه الرؤية الرحبة العميقة الدلالة على استبعاد السلاح كلياً من المشهد الوطني، وقد جعل لفظة السلاح واسعة وشاملة بحيث تستوعب وتتسع لكل الأسلحة المادية المتمثلة في البارود ومعداته المختلفة وكذلك الأسلحة المعنوية واللفظية مثل خطاب العنف والكراهية، وأشكال التخوين والإقصاء وجميعها يجب إبعادها لخلق فرص التفاهم والتوحد بين أبناء الوطن الواحد. وقد تضمنت خاتمة القصيدة نصائحه المتمثلة في أمرين، أولهما هو التحلي بالمحبة دون غيرها وثانيهما وقف وصد تيار العنف وتأجيج الحقد والكراهية المتفشي، مشبها هذا الدور بشوكة نبات القتاد الصلبة القوية الجارحة الحادة التي تجرح وتدمي الأرجل فتعيق الخطوات والطريق، وليس بغريب على شاعرنا أن ينحو هذا المنحى في حبه ونصائحه للأخرين، لأن هذا الإحساس السلوكي ينبع من توجهه الفكري وانتماؤه الوطني الصادق، المنبعث من أصالة نفسه وسمو خلقه الذي أكدت عليه وأكرره بكل اليقين. أما من الناحية الفنية فإن تكرار حرف النصب والتعليل (كي) ستة مرات هو للتأكيد والبيان والتوضيح والثقة في فاعلية (القليل من المحبة بيننا) ودورها في تحقيق الأهداف الخيرة النبيلة. كما أن تدرجه في استعمال ثنائيات (الأحقاد

والليل) أولاً ثم ثانياً (الأفراح والأطفال) ثم ثالثاً (الأرواح والإنسان) أضفى على نصه الشعري الوجداني بعداً عقلانياً موضوعياً في التسلسل الذي اتبعه مبتدئاً من ضبابية الرؤية التي تخلفها الأحقاد الدفينة والليل الموحش، مروراً بزهو وبهجة الأفراح والأطفال، ووصولاً إلى الأرواح والإنسان وهي الغاية المثلى المرجوة التي لم يحد شاعرنا عن التعامل معها وتوظيف كل أدواته من أجلها طوال مسيرته الشعرية الإبداعية.

إن قصائد الشاعر محمد المزوغي يمكن وصفها بالمظهر المتمرد على أنماط القوالب الشعرية الجامدة، في مدونة الشعر الليبي ليس من خلال تدفق إيقاعاتها الرنانة فحسب، بل في مضامينها الإنسانية والوطنية التي تنشدها، والأهداف والغايات التي توطنها في وجدان وفكر المتلقي، ولذلك أعتبرها دليلاً ونموذجاً لبعض ملامح تطور الشعر الليبي الحديث، والتي من خلالها يمكن أن نقدم الإجابة المؤكدة على ذاك السؤال النقدي الذي أطلقه الدكتور خليفة التليسي. رحمه الله، منذ عقود بعيدة ولازال يتفاعل في المشهد الشعري الوطني الليبي وهو: هل لدينا شعراء؟ لتؤكد أن الشاعر الكبير محمد المزوغي هو فارس من فرسان القصيدة الليبية يلجم نصه الشعري الرقراق ذاك السؤال القديم المتجدد، ويقهره بقوة أشعاره وقصائده، ويجعله خجولاً يتوارى عنه بعيداً، ولا يقترب منه إلا ليصغى إليه بتمعن، ثم يصفق له بحرارة، ويعانقه ويحضنه بكل ابتهاج واعتزاز وافتخار.

1- محمد المزوغي، بعض ما خبأ الياسمين، شعر، دار الساقية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2013م
2- المصدر السابق، ص 8-10
3- صلاح عبدالصبور، أقول لكم ، دار العودة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1972، ص149-150
4- محمد المزوغي، لا وقت للكره، شعر، مكتبة طرابلس العلمية العالمية، طرابلس، ليبيا، الطبعة الأولى، 2018م
5- محمود الربيعي، دراسات نقدية معاصرة، دار غريب، مصر، 2000، ص 146
6- لا وقت للكره، مصدر سبق ذكره، ص 71
7- لا وقت للكره، مصدر سبق ذكره، ص 86
8- لا وقت للكره، مصدر سبق ذكره، ص 76
9- لا وقت للكره، مصدر سبق ذكره، ص 68

10- لا وقت للكره، مصدر سبق ذكره، ص 65
11- لا وقت للكره، مصدر سبق ذكره، ص 99
12- لا وقت للكره، مصدر سبق ذكره، ص 77
13- لا وقت للكره، مصدر سبق ذكره، ص 45
14- لا وقت للكره، مصدر سبق ذكره، ص 94
15- لا وقت للكره، مصدر سبق ذكره، ص 45
16- لا وقت للكره، مصدر سبق ذكره، ص 69
17- لا وقت للكره، مصدر سبق ذكره، ص 71
18- لا وقت للكره، مصدر سبق ذكره، ص 82-83
19- لا وقت للكره، مصدر سبق ذكره، ص 86
20- الحركة الشعرية في ليبيا في العصر الحديث، قريرة زرقون نصر، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان، الطبعة الأولى، 2004، ج2، ص 594
21- لا وقت للكره، مصدر سبق ذكره، ص 20
22- لا وقت للكره، مصدر سبق ذكره، ص 20-21
23- لا وقت للكره، مصدر سبق ذكره، ص 46
24- لا وقت للكره، مصدر سبق ذكره، ص 19
25- لا وقت للكره، مصدر سبق ذكره، ص 21 - 22
26- لا وقت للكره، مصدر سبق ذكره، ص 23-24

قناع السموأل وعواد علي

بقلم: زياد جيوسي

حين أرسل لي الكاتب والصديق عواد علي مسرحيته للقراءة والإطلاع، لم أتوقع أبداً، من العنوان ومن جنسية الكاتب (العراقية العربية)، أن أحداث المسرحية تجري في فلسطين في فترة الانتداب البريطاني في أواخر الثلاثينيات وبدايات الأربعينيات من القرن الماضي، الذي شهد أبشع احتلال عرفه التاريخ المعاصر وما زال مستمراً ويزداد بشاعة.

والمسرحية، وكما يشير الكاتب في البداية، قد قامت على تكييف درامي لقصة (أنزل المدخنة، ارفع المدخنة!) للقاص التركي (صدري إرتم)، وهذا زاد من احترامي للكاتب وشوقي لقراءة المسرحية بتمعن، فالقصة مختلفة من خلال الحدث والسياق والمكان عن مسرحية (قناع السموأل)، ولكنه من باب الاحترام للنفس أولاً ولحقوق الغير، وضع الملاحظة مباشرة البداية بعد العنوان.

بالنسبة إلى العنوان فقد حمل إشارة مهمة، فاستعارة اسم (السموأل) كانت مسألة مهمة مع كلمة قناع، فالقناع ما يتستر به إنسان ما، و(السموأل) هو الشاعر (السموأل بن غريض بن عادياء)، وكان يدين باليهودية، واختلف النسابة على نسبه إن كان عربياً من (بني الديان) العرب من قبيلة (مذحج)، والذين افتخر بهم بشِعره، أم هو يهودي غير عربي، واشتهر (السموأل) بالوفاء وبلاميته الشعرية، فهو رفض أن يسلم أمانة (امرئ القيس) لمن حاصروا حصنه وهددوه بقتل ابنه حين أسروه إن لم يسلم الأمانات المستودعة عنده فرفض وقتلوا ابنه، وقال معبراً عن ذلك:

وفيت بأدرع الكندي إني / إذا ما خان أقوام وفيت

فضرب به المثل بالوفاء حين قال: "لا أخفر ذمتي وأخون أمانتي"، وأصبح مضرباً للمثل العربي الشهير "أوفى من

السموأل"، وهنا نجد أن العنوان عبّر عن محتوى المسرحية حين كان الوفاء مجرد قناع من شخصيات يهودية في المسرحية، بينما الغدر كان ما يضمرونه.

المسرحية قامت على تسع عشر شخصية بين عرب ويهود وصهاينة، ومن المشهد الأول الذي ضم ثلاث شخصيات هي: (مايكل) صاحب المصنع، و(ماريا) زوجته، و(شموئيل) مدرس التاريخ، تظهر رائحة العنصرية والتآمر على العرب، فـ (شموئيل) تأخر بالوصول وقال معتذراً لـ (مايكل) إنه تأخر بسبب تعرضه لهجوم من الكلاب، ليسأله (مايكل): هل كانوا مسلحين؟ قاصداً العرب بذلك، ليكمل بعد ذلك (مايكل) بإبداء رغبته لـ(شموئيل) عن نواياه لشراء أراضي القرية للاستثمار وليس من زاوية الوعد التوراتي المزعوم فقط، فيقول: "لم أترك بلدي بريطانيا العظمى وأهاجر إلى هنا حباً بأرض الميعاد فقط". وينصحه (شموئيل) أنه يجب أن يبقى تحت قناع المستثمر البولندي المسيحي كي يتمكن من خداع أصحاب الأراضي الفلسطينيين العرب وشراء بعض الأراضي منهم، ويقول: "العرب لا ينفع معهم إلا الخداع.. أنا مولود هنا وأعرفهم جيداً، إنهم نسخة مطابقة للكنعانيين". وحين تعترض (ماريا) زوجة (مايكل) على ما تسمع وتبدأ بفضح استغلال المهاجرات اليهوديات وبنات العائلات الفقيرة ليعملن في مواخير دعارة ليجندن جنود بريطانيا لخدمة مصالح اليهود، وتعرب عن رغبتها بالعودة لموطنها الأصلي، فهي تنظم الشعر، وتنتمي للإنسانية، وتؤمن أن الفلسطينيين لن يكفّوا عن ثوراتهم ومحاربة المحتلين، فيتهمها زوجها أنها معادية لليهودية، فتعلن موقفها أنها كانت مسيحية وتهودت وستعود لديانتها.

وهنا نلاحظ أن الكاتب استطاع أن يدخل للتناقضات والعقلية اليهودية، فمن ليس معهم فهو ضدهم ومعاد للسامية، ومن اختلف معهم يتهمونه بالانتماء لمبادئ أخرى منها (اللينينية) كما تحدث (مايكل) عن (جوزيف) شقيق (ماريا)، أو لجماعة (ناطوري كارتا) وترجمتها حراس المدينة، اليهودية الأرثوذكسية التي ترفض الصهيونية ودولة (إسرائيل) وتعتبر ذلك مخالفاً للديانة اليهودية، كما تمكن الكاتب من توظيف الأسطورة التوراتية وإسقاطها على ممارسات الحركة اليهودية الصهيونية في فلسطين مثل حكاية البغايا (أهلولة وأختها) الواردتين في (التوراة) في (سفر حزقيال)، إضافة إلى تفسير التاريخ المعاصر لتلك الفترة وأسلوب بريطانيا في سياسة (فرق تسد) لزرع الشقاق في الصفوف العربية، كما يشير إلى توحد

الفلسطينيين في ارتداء الكوفية بناء على قرار الثورة، كما يؤكد الكاتب في مسرحيته على الدور الاقتصادي الذي كان يحكم اليهود في توجههم إلى فلسطين للاستيلاء على أراضيها ومزارعها بالترغيب والخداع والقوة، فـ(مايكل) يريد أن يغيّر اسم القرية العربية التي يطمع بأراضيها إلى اسم (هدار) ويعني بالعبرية الحمضيات الفاخرة، والآن فعلاً توجد منطقة على أطراف حيفا تسمى بهذا الاسم العبري، وفي نفس الوقت هو ليس متديناً، ولكنه يستغل الدين وأسطورة أرض الميعاد لمصالحه الاقتصادية، وهذا كان أساس توجهات اليهود لفلسطين تحت ستار الكذبة التوراتية، وهو يتستر خلف المسيحية كي يخدع العرب وهو يظهر لهم تعاطفه معهم ومحبته لهم ويقدم لهم بعض الخدمات وتشغيل بعضهم كي يظهر وفاءه لأبناء فلسطين، كما (شموئيل) اليهودي يستغل معلوماته التاريخية ويتحدث لأبناء البلدة بلغتهم ومعتقداتهم ويشعرهم أنه مسلم سراً، ويفهمهم بشكل موارب أنه كما هم أبناء للبلد وإخوة في المعتقد، بينما هو كما (مايكل) يرتدون قناع (السموأل) ولا يربطهما بوفاء (السموأل) أي رابط، فالهدف خداع أصحاب الأرض للاستيلاء عليها.

كما أشار الكاتب إلى كيف أن الفكر الذي يحكم اليهود هو معاداة الغير إن اختلفوا معهم حتى في قراءة رواية كما اتهم (مايكل) (ماريا) بالغباء لأنها تقرأ في رواية (قلب الظلام) للروائي (جوزيف كونراد) وهو بولندي بريطاني الأصل ورواية تتحدث عن المستعمرين والمناطق المستعمّرة.

وأيضاً يستخدم رواية التراث حول قرية (لقمان الحكيم) ليظهر ارتباط الناس بأرضهم والانتماء لمهنة الزراعة التي يعتبرون أرض فلسطين تعطي خمسين ضعفاً عن الأراضي في العالم بعد ذوبان كتاب (لقمان الحكيم) في نهر (العوجا)، والذي اكتشف فيه سر الخلود وسقط من يده في النهر، وحين اختلطت المياه التي ذاب بها الكتاب في أرض تلك القرية أصبح نتاجها خمسين ضعفاً، وهذا ما أثار شهية (مايكل) المتستر بالمسيحية حين سمع الكلام من الشيخ ياسين وهو يبدي الرغبة بالبقاء والاستثمار بين العرب واتهامه الأوربيون بالنصب والاحتيال، وهو مَن كان يمارس الخداع والنصب والاحتيال، وهو لم يتمكن من أن ينشر خداعه على الجميع، لكنه وبنصيحة (شموئيل) الذي استغل حكاية مئذنة مقام الولي في القرية، كي يجعل مدخنة مصنع (مايكل) أقل منها ارتفاعاً تحت دعوى أن المئذنة يجب أن تكون الأعلى، فتتسمم الأرض ويمرض

الناس بجهلهم، فيشتري منهم الأرض بأقل الأسعار ليعيد بعدها استصلاحها من جديد، ويجعل بعض من أهلها أجراء عنده في الأرض أو عمالاً في المصنع.

تنتهي المسرحية بالحوار بين خليل ابن تلك البلدة ووليد صديقه المقدسي، كيف أن العرب جعلوا (السموأل) اليهودي رمزاً للوفاء بتراثهم وأمثالهم، بينما الأوربيون جعلوا (شايلوك) رمزاً لليهودي الجشع والمعادي، ومع هذا جاء اليهود من أجل الاستيلاء على فلسطين وطرد أهلها وإبادتهم.

المسرحية كانت قراءة تاريخية ناجحة لتلك المرحلة الزمنية، وهي في نفس الوقت إسقاطاً للتاريخ البعيد والقريب على الواقع المعاصر، فما زال بني صهيون يمارسون الخداع والكذب والقوة ضد الفلسطينيين والعرب، وتمكنوا بخداعهم أن يصادقوا ويتحالفوا مع غالبية الزعماء العرب سراً أو علانية، تاركين الفلسطينيين يصيحون: يا وحدنا..

نظرات في معجم النفيس

لـ: خليفة التليسي

د. فوزي عمر الحداد

أستاذ الأدب والنقد بكلية

التربية طبرق جامعة طبرق

"هذا معجمي.. وهذا مجمعي.. وهذا كتاب العمر "

هذه العبارة قالها خليفة التليسي وهو يتحدث عن جهده في معجمه " النفيس من كنوز القواميس "، لقد أراد له أن يكون كتاب العمر، أن يكون خير ختام لحياة حافلة بالإنجازات.

ونسأل بدءاً، ما الدوافع والأسباب التي أدت لظهور التأليف المعجمي؟ وهل هي نفس الأسباب التي دعت التليسي لتأليفه معجمه النفيس هذا؟

أهم عامل دعا القدماء لجمع اللغة وتبويبها هو العناية بآيات الذكر الحكيم، وتفسير ألفاظه الغريبة ويشمل هذا الحديث الشريف.إضافة إلى تدوين اللغة العربية وحفظها وتيسير الرجوع إلى معاني مفرداتها.

فحفظ اللغة وصونها ودفع الأخطار عنها، من أهم العوامل التي تحكمت في تأليف المعاجم، وقد جعل ابن منظور صاحب (لسان العرب) من الأسباب التي حركته إلى تأليف معجمه، جهل الناس باللغة العربية وافتخارهم بمعرفة اللغات الأجنبية.

ويعلق التليسي على هذا السبب قائلاً:" ويبدو وبشكل حاد، أن هذه الأسباب ما تزال قائمة، بل إن الأخطار التي قد تهدد

اللغة العربية قد تزايدت وتعاظمت، لا في الافتخار بمعرفة اللغات الأجنبية، بل في تكريس الدعوة إلى العامية، وهو ما تشهد به قنواتهم الفضائية التي أصبحت تشكل أقوى خطر على اللغة العربية".

يقول التليسي إن قاعدته الأولى التي انطلق منها كانت " تاج العروس " أكبر معاجم اللغة العربية وأوسعها، وهو قد بدأ العمل على أساس تبويب معجم التاج تبويباً حديثاً لتعميق صلته الشخصية بالكتاب الذي يعد كما قلنا أكبر معاجم العربية.

لكنه أدرك بعد قطع شوط لا بأس به في عملية التبويب والتحديث، أن لا طائل كبيراً يكمن وراء هذه العملية المضنية، وأن الأجدى والأنفع والأفيد تخريج المادة اللغوية، وفصلها عن المواد الموسوعية التي حواها التاج، وأغلب هذه الاستطرادات يتعلق بتراجم الأعلام والتعريف بالمواقع والبلدان، فالعمل ينحصر، إذن، في استخلاص المتن اللغوي من الزوائد والإضافات، وتقديمه للقارئ الحديث في ثوب جديد يعتمد التهذيب.

والآن لنتعرف أولاً على " تاج العروس"

مؤلفه محمد مرتضى الحسيني الزَّبيدي (المتوفى 1205 هـ الموافق 1790 م).

وقد جعله أكبر معاجم العربية وأوسعها وأغزرها وأكثرها عناية وجمعاً واستقصاء للأعلام والبلدان والنبات والطب والأعجمي والمولد والمعرب والدخيل إلى غير ذلك.

فهو يعد، على تأخره، أكبر موسوعة عربية جامعة، تضم أنواعاً شتى من الثقافة العربية، فمادة الكتاب جمعها الزبيدي من أكثر من خمسمئة كتاب متنوع، في اللغة والأدب والجغرافيا والتاريخ والطبقات والأنساب والقراءات والسياسة وغيرها. وكأنه أراد أن يجمع أكبر قدر ممكن من المكتبة العربية ويضعها في سفر واحد، كأنه يخشى عليها الضياع أو التلف.

أما تحديداً فإن الزبيدي أقام كتابه التاج على شرح كتاب (القاموس المحيط) للفيروزآبادي (ت 816 هـ)، المتضمن لمعجم (الصحاح) للجوهري (ت 400هـ) مع استفادة واطلاع على (المحكم) لابن سيده (458هـ).

ولهذا نرى الزبيدي سمى معجمه (تاج العروس من جواهر القاموس)، وقد استغرق تأليفه أربعة عشر عاماً وشهرين في عشرة مجلدات ضخمة.

وقد طبع الكتاب (التاج) حديثاً طبعة جيدة بالكويت في أربعين جزءاً،

استغرقت عملية التحقيق والمراجعة والطباعة منذ ظهور الجزء الأول سنة 1965 وحتى الجزء الأربعين عام 2001 م. أكثر من خمسة وثلاثين عاماً.

أما المنهج الذي اتبعه الزبيدي في تاجه الفريد هذا، فإنه التزم المنهج نفسه الذي سار عليه الفيروزآبادي في قاموسه المحيط، وهو الترتيب المعتمد على القافية، أي اعتماد الحرف الأخير من الجذر اللغوي ثم الحرف الأول منه ثم ما يتوسط بينهما، وهي طريقة صعبة على الناشئة في العصر الحديث، ولهذا أهملها المحدثون كما فعل التليسي في النفيس، كما سنرى بعد حين.

ومما سبق ينجلي، إن التصدي لكتاب مثل التاج ليس أمراً سهلاً على الإطلاق، والتليسي عرف هذا جيداً ولكن عزمه لم يهُن، فنفسه التواقة لإنجاز كبير دفعته لخوض غمار هذه التجربة الفريدة.

ولهذا علق التليسي في مقدمة الكتاب قائلاً:" هذا عمل من أعمال المجد وليس من أعمال الكسب ". وهو حقا كذلك، إنه معجم خليفة محمد التليسي النفيس، صنعه أول الأمر لنفسه، كما يقول، فأضفى عليه طابعاً شخصياً فريداً، ثم ما لبث هذا الإنجاز أن تحول إلى العموم ليصبح درة المعجمات الحديثة التي ابتغت تهذيب اللغة وتشذيبها وتخليصها من الإضافات والاستطرادات الموسوعية التي غلبت على جهد القدماء في مؤلفاتهم اللغوية.

والحقيقة أن التليسي لم يكن سباقاً في هذا المجال، فقد سبقه كثيرون في مسألة تهذيب معاجم القدماء واختصارها، وقد أقرَّ بذلك، قائلاً، بتواضع العالم، إن النتائج التي وصل إليها " لا تختلف في شيء عن النتائج التي انتهى إليها مؤلفو المعاجم في مطلع النهضة الحديثة، وما تلاها حتى يوم الناس هذا ". لكن جهد التليسي يختلف:

فكثير من الأعمال الحديثة قامت على الغاية نفسها، التي سعى إليها صاحب النفيس، فكل المحاولات السابقة للتليسي قامت على التبويب والتهذيب والاختصار، للمعجمات العربية القديمة، بل إن عددا من القدماء مارس هذا العمل أيضاً، أشهرهم الجوهري في الصحاح، الذي أهمل من اللغة المفردات المماتة أو تلك التي أهملها الاستعمال، ولذا سمى معجمه الصِّحاح، أي أنه اثبت فقط الصحيح من اللغة، وعمله هذا أصبح منطلقاً لكثيرين جاؤوا بعده وساروا على نهجه، وعددوا مزاياه،

ذاكرين أنها تبدو في التماسه الصحيح الذي لا خلاف فيه، وسهولة تناوله ومأخذه، والوصول إلى الكلمة المقصودة دون كبير عناء، واختصاره في الشرح والتفسير، وتركه الفضول الذي لا غناء فيه وجمال أسلوبه في الشرح وذكره شواهد الشعر الرفيع وكلام العرب غير المصنوع، وتجاوزه ذكر من ينقل عليهم غالباً، رغبة في الإيجاز، وعنايته بمسائل النحو والصرف، وإشارته إلى الضعيف والمبتكر، والمتروك والرديء، والمذموم من اللغات وإلى العامي والمولّد والمعرب والاتباع والازدواج والمشترك والفوائد والنوادر والألفاظ التي لم تأت في الشعر الجاهلي وذكرها الإسلام وإلى الأضداد.

وعلى الرغم من أن بعض القدماء قد عاب اختصار الجوهري، إلا أن هذا الأمر بدا حاجة ملحة في العصر الحديث، وأصبح التهذيب والتشذيب من أهم أعمال هذا الأوان .

ولهذا وجدنا عدداً من المحاولات عند المحدثين، تهدف إلى تنقية اللغة وإثبات المستعمل منها وإهمال ما أماته عدم الاستعمال.

لكن اختلاف التليسي وفرادته تكمن في كونه أول من تصدى لتهذيب (تاج العروس)، هذا العملاق الكبير، وجعله ملائماً للحاجات الحديثة، وليكون جسراً واصلاً بين المعاجم القديمة، وما يراد تأليفه من معاجم حديثة تعتمد عليها. كما أنه أعاد ترتيب المادة اللغوية وفق الترتيب الألفبائي الذي من شأنه أن يسهل أمر الوصول إليها بأيسر الطرق بدلاً من الترتيبات المعجمية القديمة التي يصعب على الناشئة خصوصاً تعلمها إلا بعد عناء وجهد.

فلو انحصر جهد التليسي في التبويب أي إعادة عرض المادة اللغوية في التاج بالترتيب الألفبائي بدلا من طريقة القافية التي أشرنا إليها ونحن نتحدث عن التاج، لكان عمله كبيراً وجهده عظيماً بالنظر لغزارة واتساع مادة التاج. لكن إنجاز التليسي تجاوز هذا بكثير.

فهل ما فعله مجرد اختصار وتهذيب لمادة (تاج العروس)؟

الحقيقة أن التليسي لم يعتمد على المادة اللغوية المبثوثة في التاج وحدة، بل نراه استفاد كذلك من الأصول التي أخذ عنها صاحب التاج، وأهمها معجم القاموس المحيط.

فالتليسي اختار عنوان معجمه الفرعي على هذا النحو (صفوة المتن اللغوي من تاج العروس، ومراجعه الكبرى)، وهذه دلالة واضحة على اهتمامه بجمع

مادته من تاج العروس وكل ما سبق التاج من معاجم، على اعتبار أن صاحب التاج قد رجع إليها أثناء تأليفه سواء أشار إليها أم لم يفعل، وإلى هذا يشير التليسي وهو يذكر موسوعية تاج العروس واستفادته ممن كان قبله يقول:"وقد اعتمد (يعني صاحب التاج) في هذه الموسوعية على كل المعاجم التي سبقته. مع تعويل خفي، بصفة خاصة، على (لسان العرب) ملفوف بالاستدراك وشرح القاموس، وهو أمر لا يمكن أن يخطئه الدارس المحقق، العارف بتاريخ المعاجم، وتأثير السابق في اللاحق منها."

يقول التليسي في محاولة استباقية للإجابة عن تساؤلنا السابق:" ولو لم يكن من هذا العمل إلا أن يشهد لي بأنني قرأت تاج العروس من الغلاف إلى الغلاف، ورجعت إلى مصادره الكبرى، ورحلت إليها رحيل أصحابها القدامى من نجع إلى نجعٍ ومن ربع إلى ربع، من أجل تقييد شاردة أو تسجيل فائدة حتى استوى هذا العمل بهذا الشكل، لكفى بذلك فخراً واعتزازاً وشهادة لي على عمق الصلة بهذا التراث العظيم سواء تمثّل في مجال اللغة أو الأدب أو في باب من أبواب المعرفة التي حوتها الموسوعة اللغوية. وحسبي شرفاً أن أصنف ضمن أصحاب المختصرات وفيهم الرازي بمختار صحاحه وابن منظور بمختصراته العديدة، والزبيدي الذي اختصر ولخص ونقل حتى أقام عمله اللغوي هذا في أربعة عشر عاماً."

وقد وجدتُ من خلال تتبع مسار بعض المواد اللغوية بدءاً من النفيس رجوعاً إلى التاج ثم إلى لسان العرب، أن التليسي بذل جهداً ضافياً في تتبع مادته اللغوية، وتنقيحها وتخليصها مما علق بها من إضافات يصعب الحكم بإهمالها، لكن التليسي فعل ذلك، استخدم عقله وذائقته للحكم على المتن اللغوي الذي يجب إهماله كليةً أو اختزال مادته أو تركيزها أو تكثيفها.

وهو عندما يعطي نفسه هذا الحق، يشير إلى أنه أباح لنفسه هذا التصرف، انطلاقاً مما أباحه القدماء لأنفسهم في التصرف بالتوسع والاستطراد في جمع المادة عند البعض، أو في التهذيب والاختصار عند البعض الآخر.

كما لاحظتُ أن التليسي التزم بأصول المادة اللغوية، فلم يزد شيئاً من المصطلحات الحديثة والكلمات المستجدة، فقد قيد نفسه بالأصل اللغوي للتاج، فكان هدفه تهذيب مادة التاج وجعلها قريبة المنال متاحة للقراء عموماً، دون أن يجهد نفسه في إضافة

شيء مما أضافه بعض المحدثين في معاجمهم، وبرأيي فقد أحسن صنعاً بعمله هذا، فهو التزم منهجاً تقيد به رغم إغراء كثير من المصطلحات والمفردات الحديثة، خاصة تلك التي أجازتها مجامع اللغة العربية، وخاصة المجمع اللغوي بالقاهرة. فهذا العمل الكبير، لاشك، يمجد اللغة العربية، لغة القرآن الكريم، ويضع لبناتٍ راسخةً في مسيرة تطورها، وهذا واجبنا جميعاً، جيلاً بعد جيل، ولقد صدق التليسي وهو يقول إن عمله هذا ليس من أعمال الكسب ولكنه من أعمال المجد.

وبعد بمَ يختم التليسي حديثه عن معجمه يقول:

"وأعترف بأنه على ما في هذا العمل من مشقة، فقد حقق لي متعة شخصية، هونت عليّ ما لقيت من تعب، في الدخول في مجاهل أدغاله وغاباته، خاصة وقد حاولت أن أعود بخير ما في الغابة المتشابكة من غلال وفواكه وزهور، كونت هذا البستان الذي اسمه النفيس."

فهذا العمل الكبير، يصدق قارئه منذ أن يضع بصره على عنوان غلافه، فهو الصفوة المنتقاة من أشهر متن لغوي في الثقافة العربية، قدمه التليسي في أربعة مجلدات من منشورات وزارة الثقافة والإعلام عام 2007 بمناسبة طرابلس عاصمة الثقافة الإسلامية.

رهانات الإبداع

محمد عطية محمود

تبدو الكتابة الأدبية، في الوقت الراهن، رهانا على الحاضر والمستقبل معا، ربما بإمكانات الماضي التي مازالت تشغل قاعدة عريضة من الكتاب والمتلقين، وربما بتلك الإحداثيات التي تفرضها الحالة الراهنة ، مع الحاجة الماسة لنكأ الجراح على نحو لم يكن متبعا في الماضي البعيد نسبيا؛ فسياسات الفضح التي ربما تمارسها سلطة الكتابة والأدب في تلك الفترة، قد تختلف جذريا مع تلك الآليات التي كانت متبعة فيما سبق، فالماضي القريب على المستوى الواقعي، بلا شك، فرض ودعَّم، ومهَّد كثيرا لتلك التداعيات التي تعالج صورها، الكتابات الأدبية الحالية، والموغلة في عتمة الواقع، والتي باتت راصدة أكثر منها محللة، مفندة، لمنمنمات الواقع التي باتت تشير إلى تلك العلامات المتشعبة التي صارت تسم الراهن، وتتوه فيه.. كما يتوه فيها العقل الباحث عن خلاص، بما أن الكتابة نوع من أنواع الخلاص.

ومما لا يدع مجالا للشك أن التحولات التي طالت جوهر كل الأشياء ومقدراتها، قد صارت حقلا خصبا لأشكال الإبداع المكتوب التي تمايزت وأفرزت العديد من الاتجاهات في الكتابة لم تكن لتظهر من خلال النسق القيمي والمجتمعي/ العالمي، والذي كانت تمثله تيارات الكتابة الكلاسيكية في خلال سنوات القرن المنصرم، ذلك أن الأحداث ربما كانت تسير بدينامكية ثابتة، ربما وصلت إلى حد الاستاتيكية، في ثبات خطوات تنقلاتها وتطلعاتها إلى الأمام سواء بالسلب أو بالإيجاب.. مع الحضور اللافت للنظر لمعدلات القراءة التي كانت تنحو منحى عاليا، وترتقي منحنياتها صعودا، نحو غاية من غايات الثقافة، كانت كفيلة بالترويج لإطار الوضع الثابت نسبيا، بعيدا عن تقنيات اليوم وغدا والتي تعمق الفجوة بين الأدب وقارئه/ مستهلكه، لتصير العلاقة بين الكاتب والأدب علاقة إنتاج فقط ،

أكثر وأعلى من العلاقة الاستهلاكية لمعدلات التلقي التي كانت تربط بين الأدب ومتلقيه !!!

لذلك كانت الأشكال الأدبية الجديدة طرحا، مواكبا لما يروج له بعالم/ فكرة الفوضى الخلاقة التي نعيشها أو يوهمنا البعض بأننا يجب أن نعيش فيها، لتنشأ ربما حركات جديدة من المد العالمي الذي يطيح بكل ما هو ثابت وخالد، وقيمي، منطلق من أرضية محلية ثابتة تشع بكل ما هو أصيل ولصيق بمعنى الانتماء ..

إذن اختلاف القيم والمعايير قد أفرز هذه الكتابة/ الأدب الطامح، في ظاهره إلى المسايرة، لكنه لا ينبثق دوما من الخارج، بقدر ما ينبثق من داخل الإنسان المتشظي، والضارب في أغوار الحيرة والتشتت؛ فصار الأدب يستقي محاوره وإمداداته من الداخل المتأثر بعوامل الخارج المحبطة، والمدنية من قيمة الإنسان في ظل معلوماتية جامدة لا تعترف إلا بلغة الأرقام، وعولمة ظالمة تحاول إخضاع الكل لتلك الحزمة الهائلة الوهمية، الهشة !!

لذا اختلفت وظيفة الأدب اليوم عن الأمس، والأمس القريب، والأمس البعيد، كما اختلفت نسب تحققه وحضوره، وصارت مطلبا ملحا، أكثر منه مرفقا من مرافق الحياة العقلية والثقافية والاجتماعية التي تحتاج دوما الى سبر الغور، برغم انغلاق الأدب على متلقيه، وعلى ما كان يسمى بظاهرة الثقافة الشعبية أو الثقافة للجميع، والتي كانت نتاجا لتيارات الرومانسية والواقعية الاجتماعية التي تمتح من مجتمعات لا يشوبها . رغم ما مر بالعالم والشعوب من مأسٍ . ما يشوب العالم بأسره في أيامنا هذه ..

وجاء الرهان، على ذات الإنسان المقموعة، المكبلة بأغلال الحاضر، وكوابيس المستقبل، والتي باتت تطارد كل الأفكار، وتزيح . ربما . الى حد بعيد الكثير من الأفكار الخلاقة، والرؤى المبدعة، بضبابية تعيق الإبداع وتشل مقدراته، وتتجه به إلى هذا النوع من الرصد البشع لآليات الحياة الجديدة ..

فهل صار الأدب فاكهة محرمة، لا تقع إلا في أيدي من غوى..؟

يقينا يقع الأدب اليوم بين أطراف متنازعة، بين ماهيته، وفاعليته، وبين كونه مطلبا من عدمه، وبين قاعدة عريضة ربما لا تلتفت كثيرا إلى ما تطرحه الأقلام الجديدة من رؤى يعتريها، ربما الغموض، مع التشظي والتفتت، وربما الارتجال الذي تفرضه الأحداث المتلاحقة، والمتناحرة،

في كل لحظة من لحظات العالم الذي صارت تتحكم فيها نزعات سلطان العولمة، وتطيح صراعات تقنياته الحديثة بألباب السواد الأعظم من معدومي الحيلة بالعالم أسره، والتي أصبحت مستهلكة بجدارة لتلك التقنيات بديلا عن الأدب والثقافة المكتوبة بصفة عامة .. فكيف لا يتأثر الأدب بكل تلك العوامل التي ربما كان من بينها ما يساعد وينمى بعض الوسائل التي تمكن الأدب من تحقيق انتشاره ك (الشبكة العنكبوتية)، والتي ربما أخذت من الأدب والثقافة . في يقيني . أكثر مما أعطت... رغم نسبية التحقق، والحضور التي نالها الأدب من خلالها..

لكن أيضا يبقى سؤال الجدوى حائرا، معلقا على مشنقة الوقت القاتل، الزاحف، والمتصارع مع السرعة الهائلة التي يدور بها كل شيء..!!

الشاعر والكاتب الصحفي الجزائري "أزراج عمر": اعتبر كل ما كتبته مجرد تدريبات لكي أفهم الحياة ولكي أفهم نفسي، ولكي أفهم تعقيدات هذا العالم

حاوره: عبدالرحمن سلامة

"أزراج عمر" شاعر جزائري جميل وكاتب صحفي مميز استطاع بقلمه خلال الفترة الماضية أن يحقق نجاحاً طيباً من خلال مواقفه الطيبة وتعاطيه مع الكثير من القضايا، له أشعار كثيرة وأول ديوان طبع له اسمه "حرس الظل" منذ حوالي أربعين سنة, أما ثاني دواوينه هو "الجميلة تقتل الوحش "والديوان الثالث هو "العودة إلى تيزاراشد" والديوان الرابع اسمه "الطريق إلى تمليكش"، وله عدة كتب نقدية منها : "الحضور في القصيدة"، "أحاديث الفكر والأدب والكتاب "، "منازل من خزف"، وغيرها من المؤلفات، وهو حائز على جائزة اللوتس العالمية للآداب عن اتحاد كتاب آسيا وأفريقيا عام 1984 م، ولديه حوالي خمسة وثلاثين مجلداً من كتاباته النقدية والفكرية والإعلامية يعكف الآن على ترتيبها.

ومن بين هذه الكتب كتاب اسمه "سلطة اللاوعي" وهو دراسة تحليلية نفسية للبنية الثقافية أو للهوية الثقافية ولديه كتاب آخر وهو أطروحة الماجستير بعنوان "التأثيرات على قتل الاستعمار على تشكيل ما بعد البنيوية"، أما أطروحة الدكتوراه فضمّنها في كتاب اسمه "فكر ما بعد الحداثة وجذوره التاريخية"، ولديه كتابان آخران في الترجمة وهما عبارة عن دراسات فلسفية لعدد من الفلاسفة المعروفين،

ولديه مجموعة قصائد لشعراء غربيين ترجمها عن اللغة الانجليزية، كما صدر له أيضا كتاب بعنوان "أربع وثلاثون قصيدة من الشعر العالمي"، استقر بعد خروجه من الجزائر في عاصمة الضباب لندن لمدة خمس عشرة سنة ثم غادرها إلى مدينة على بحر المانش اسمها "هايستونس" ولقد درس في بريطانيا وتحصل على دبلوم الدراسات العليا في الدراسات الثقافية, وكذلك نال الماجستير في ذات الدراسات ثم تحصل على الدكتوراه حلقة ثالثة في الدراسات الكنغولية ثم تحصل على دبلوم الدراسات العليا في التحليل النفسي. ثم انتمي إلى جماعة "السيكاس" ودرس الفلسفة فيها لمدة سنة وأنهي رسالة دكتوراه الدولة وسيناقشها الأيام القادمة وهى أطروحة في ميدان الدراسات الثقافية ببعدها الفلسفي .

"أزراج" تزوج وانتهت علاقته بهن وذكر أنهن يحببنه كثيراً لكنه يرى أن العلاقات الزوجية عندما تنتهي فيها الحميمية يفضل الانفصال لكن تبقى العلاقات الإنسانية, وذكر أن الزوجات الأربع كلهن يردن أن يستعدنه الآن, ولكنه على حد تعبيره لا يعبر النهر مرتين ..التقيته عام 2010 في بنغازي عندما شارك في ملتقى الأدباء والكتاب العرب وكانت أسئلة كثيرة تدور في رأسي، وصحفيون كثر حاولوا لقائه غير أنه كان مستمعاً ولا يريد أن يضيع دقيقة واحدة دونما مشاهدة ومتابعة لهذا الملتقى, وكذلك حرص على التجوال في شوارع وأزقة بنغازي، وهذا الأديب الكبير كان يحمل في جوانحه قلب طفل، ونقاء سريرة وحب كبير لليبيا، وكان لي معه هذا الحوار بفندق تيبستي ببنغازي وكنت أنتوي نشره في العدد قبل السابق غير أن عام 2011 توقفت مطبوعات كثيرة من بينها الفصول الأربعة وآثرت أن أنتظر أن تتنفس الفصول الأربعة من جديد لكي يصافح القارئ العربي الشاعر "أزراج عمر" والذي ظل فاقداً للوعي قرابة عام بعد أن تعرض لجلطة دماغية لكن رحمة الله كانت واسعة وعاد قلبه ينبض وقلمه يبدع..

بداية أخي أزراج نرحب بك في ليبيا...

أشكرك على الاستضافة لنجري هذا الحديث فأنا لم أزر ليبيا منذ خمسة عشر عاماً، وأنا سعيد جداً أن أحضر بينكم ولا أعتبر نفسي غريباً عن هذا البلد, إنه أيضاً بلدي وأنتم أهلي ولي من الأصدقاء والأخوة والأخوات في هذا البلد الذي أعز، وأتمنى له كل التوفيق والنجاح في مسيرة التنمية , ومسيرة مقاومة كل ما يضر بالقضايا العربية.

حدثنا عن بدايتك مع الحرف والكلمة قبل أن تهاجر إلى بريطانيا؟

(قال أبي : اللغة الفرنسية قد تفتح لك صندوق الذهب ولكن إذا تعلمت اللغة العربية ستفتح لك ابواب الجنة)

أنا من مواليد المنطقة الأمازيغية بالجزائر، وأنا من الذين ينادون بالافتخار بالثقافة العربية والحضارة العربية الإسلامية المتنورة والتقدمية والمقاومة لكل أشكال التعسف والظلم والاستعمار, وفي نفس الوقت أنا من الناس الذين ينادون بعطاء الحقوق الكاملة غير المنقوصة، الحقوق الثقافية والاجتماعية والاقتصادية، وكانت نشأتي الأولى في قرية امازيغية لم تكن تسمع باللغة العربية إطلاقاً, وكانت لغتي الأولى هى اللغة الأمازيغية ثم كانت لغتي الثانية هى اللغة الفرنسية التي تعلمتها أيام الاحتلال الفرنسي للجزائر، وأنا عاصرت مرحلة الكفاح المسلح الجزائري وعمري الآن واحد وستون سنة, وعندما استقلت الجزائر كان عمري أثني عشرة سنة، أنا في الحقيقة ابن التحرر الوطني ضد القوى الغربية، أنا رأيت بعيني المجازر الغربية والمجازر الفرنسية في الجزائر، ورأيت اغتصاب الفرنسيين للثروة وللعرب ورأيت التنكيل بكل أنواعه، وكنت ادفن جثث الشهداء، وعندما استقلت الجزائر قال لي أبي كلمة لن أنساها أبدا، قال لي : يا ابني اللغة الفرنسية قد تفتح لك صندوق الذهب ولكن إذا تعلمت اللغة العربية ستفتح لك ابواب الجنة، فمن تلك اللحظة توجهت إلى المدرسة العربية وبدأت تعلم اللغة العربية حرفاً حرفاً, وكنت أقرأ القرآن تحت أشجار الزيتون وكان معلمنا شيخاً مسناً أزرق العينين وهو جميل جداً، وكان يتلو علينا الآيات القرآنية تحت أشجار الزيتون، وهكذا اختلطت خضرة الجنة بخضرة أشجار الزيتون، واعتنقت اللغة العربية وسرت بعد أربع سنوات أتحدث اللغة العربية الفصحى، وأكتب بها الشعر والنثر، وقال لي أبي بعد سنين هذه الجنة التي قلت لك بأنك ستصلها، وفعلا فأنا أبن التراث العربي الثقافي الإسلامي وكذلك ابن للجذور الأفريقية والامازيغية، ولا أنفي بأنني لا أقول متأثراً بالمعنى الروحي بالثقافة الفرنسية أو الثقافة الانجليزية لكنني أيضا أملك مفاتيح هذه الثقافات وأعتقد أنها روافد مهمة للشاعر والأديب والمثقف والمفكر، فعندما كنت بالجزائر كنت أكتب الشعر وأكتب النقد ، وأعتبر إلى جانب أصدقائي من مؤسسي الشعر الحديث في الجزائر، ومن مؤسسي النقلة الحداثية في الحياة الشعرية الجزائرية، طبعاً هنالك من سبقنا إلى الشكل التفعيلي في الشعر الجزائري لكننا نحن الذين بلورنا البدايات الجدية المسماة بالشعر الحر،

وفي عام 1984 م نلت جائزة اللوتس العالمية للآداب وفي الشعر، وكان هذا بالنسبة لي تكريماً لوصاية أبي لتعليم اللغة العربية فأصبح الحرف العربي وأنا في الجزائر يرفرف في آسيا وفي أفريقيا وفي كثير من بلدان أوروبا، وأنا لا استطيع أن أقول أنني لم أكن معروفاً إذاك, لكنني معروف الآن كإعلامي أكثر مما أنا شاعر في العالم العربي، وخاصة في منطقة شمال أفريقيا، وأنا اعتقد بأن مسألة الشهرة هى مسألة لها عدة طرق، بالنسبة لي لم تسع الجزائر لكي تقدمني إلى المسرح الأدبي والشعري الدولي، أنا قضيت خمساً وعشرين سنة في بريطانيا ولم توجه لي الدعوة من أي كان لا من اتحاد الأدباء والكتاب الجزائريين ولا من وزارة الثقافة ولا من أية جمعية جزائرية لسبب بسيط لأنني وقفت في مرحلة من المراحل ضد النظام الجزائري, ولم أعجب إطلاقا بذلك النظام في تلك المرحلة وعندما اصطدمت من خلال كتاباتي بذلك النظام، الذي كان يطلب مني كل صباح أن أذهب إلى مركز الشرطة، وعندما دعيت إلى وزارة الدفاع للتحقيق معي بسبب كتاباتي الأدبية غادرت إلى بريطانيا، فالجزائر أغلقت أبوابها، وأنا لا أقول الجزائر كشعب وكمواطنين، فالنظام الجزائري قد أغلق الأبواب ولم يسمح بان أعود، وكان اسمي مسجلاً في القائمة السوداء وفي نفس الوقت كان هنالك ما يشبه بإسدال ستار روسيا على شخص اسمه ازراج عمر، ولكن الحق انتصر. فكنت أدعو الجزائر إلى التعددية الحزبية، وصارت الآن التعددية الحزبية، وكنت أدعو إلى احترام حرية التعبير، وحدث جزء من هذا الآن،

(اشعر بالفخر لانتمائي لصحيفة العرب فهى مدرسة في حرية التعبير)

ربما شهرتي ومعرفة الناس باسمي في المنطقة وتحديداً في تونس وليبيا يعود إلى صحيفة العرب وبهذه المناسبة فأنا أوجه شكراً عميقاً لرجل اعزه وهو أحمد الصالحين الهوني (رحمه الله) الذي احتضنني وفتح لي كل الأبواب، ولم يراقبني يوماً ولم يراقب ما أكتبه يوماً، كما أوجه شكري لأولاده وأسرته بالكامل، لأن هؤلاء احتضنوني في بريطانيا وفتحوا لي أبواب مؤسستهم وبدون شروط ، وفي نفس الوقت هذا أعطاني فرصة أن أقوم بعلاقة مع القراء في ليبيا الشقيقة، وأقيم العلاقة الوطيدة أيضا مع تونس الشقيقة، ومع القراء العرب في كل البلدان العربية، وأنا حقيقة اشعر بالفخر لانتمائي لصحيفة العرب فهى بحق مدرسة في حرية التعبير، ومدرسة في احترام عقلية الكاتب، أنا كنت أشرف على صفحة العروبة، وكنت أنشر المقالات التي تصلني ولم يسأل الحاج الهوني مرة عن مضمونها، ويقول لي دائماً

اختلاف الرؤى هو مودة وهو صداقة وبدون هذا الاختلاف لا يمكن أن نميز الأشياء، ولا يمكن أبدا أن نتقدم وأن نحقق الرقي الاجتماعي والاقتصادي والسياسي، والآن بدأت أنشر كتبي الشعرية ولقد نشر لي مجلد شعري في الجزائر, وسوف تنشر لي مجموعة جديدة في بيروت، وكذلك قمت بترجمة مجموعة شعرية باللغة الانجليزية لمجموعة من الشعراء وسأنشره قريباً، كما أنني بصدد جمع كل ما كتبته من مقالات إعلامية وكتابات نقدية وبعض الترجمات وهي وصلت إلى خمسة وثلاثين مجلداً وستخرج إلى النور عندما تكون جاهزة تماماً، وتصبح تماماً في مستوى القراء ، وعندها سيكون لي مرجعاً ليس فقط على مستوى المغاربي بل ربما أيضا على مستوى المشرق العربي، وحالياً ترجم لي مجلد شعري يضم مختارات من كتاباتي إلى اللغة الفرنسية وسيصدر في فرنسا, كما أن هنالك مختارات شعرية ستصدر باللغة الاسبانية في اسبانيا الذي قام بهذا المشروع شاعر اسباني وهو صديق عزيز.

(اعتبر كل ما كتبته مجرد تدريبات لكي أفهم الحياة ولكي أفهم نفسي، ولكي أفهم تعقيدات هذا العالم)

وأنا بعد أن وصلت إلى واحد ستين عاماً بدأت أنتبه إلى أن اجمع كل كتاباتي وانشرها وأنا في الحقيقة أصارحك بأنني اعتبر كل ما كتبته مجرد تدريبات لكي أفهم الحياة ولكي أفهم نفسي، ولكي أفهم تعقيدات هذا العالم، وأنا لا أزال أجرب واعتقد بأن الشاعر أو الكاتب يكتمل عندما يموت، مادام هو حياً فإنه يتدرب على الحياة، فالكتابة الشعرية هي تدرب على الحياة، وتدرب على إزاحة الظلمة، وعلى فتح نوافذ لتدخل الشمس، لتكشف الحقيقة واعتقد بأن الشاعر يولد بعد أن يموت وإذا مات بعد موته فمعناه انه ليس شاعراً موهوباً، فلذلك أنا أسلم مصيري للمستقبل وأنا أعتقد أن كل ما قمت به ما هو إلا محاولة لفهم الحياة، وأنا مرة كتبت فقلت عندما نبدأ في فهم الحياة يدركنا العمر فنموت ويبقى دائماً هناك شيئاً نأخذه معنا.

(المشكل في بلداننا ليس سياسياً، بقدر ما هو مشكل ثقافي يتعلق بالقيم المتخلفة المترسبة في أذهاننا وفي أجيالنا)

هل كان الاغتراب الذي عشته مؤثراً في حياتك الإبداعية؟

سؤالك من أجمل الأسئلة وأشكرك على طرحك هذا السؤال, أنا لا أسمي بريطانيا اغتراباً أو غربة، أنا اعتقد أن بريطانيا تمثل لي الولادة الثانية، أولا عندما كنت أعيش

في الجزائـر وأتنقـل أحيانـا في مسـاحات الوطن العربي, كان شعري يستند إلى الهم الاجتمـاعي وإلى الهـم السـياسي وإلى الإخفاقـات وإلى الخيبـات, وهنالـك في داخل شعري أيضا أصداء الذات وتوثباتها ومحاولة الذات لإقامة العلاقة مع الهموم الاجتماعيـة والسياسـية، ولكـن عنـدما ذهبـت إلى بريطانيـا تـلاشى الضـغط الاجتمـاعي، وتـلاشى الضـغط السـياسي، كنـت في داخـل بريطانيا مهتمـاً جـداً بـأن أتأمل ما كان يخطر في بلدي، أتأمل التاريخ في بلـدي، أردت أن أفهـم لمـاذا كانـت تلـك المجتمعـات، مـا هي الأسـباب الحقيقيـة لتلـك الأسـباب، فأدركـت بـأن المشـكل في الجزائـر وفي بلـدانا تقريبـاً لـيس بالمشـكل السـياسي، إنمـا المشـكل هـو مشـكل ثقـافي ومشــكل القــيم المتخلفــة المترســبة في أذهاننـا وفي أجيالنـا، والعنـاصر الثقافيـة المظلمـة الـتي تكـبح الحريـة وتكـبح منـابع إبداع الحياة المتجددة، والمنطلقة الخالية مـن القيـود، بـدأت أفهـم بـأن المطلوب في بلـدانا هـو التغيـير الثقـافي وتغيـير البنيـة الثقافيـة، ففهـمي لهـذا قـادني إلى أن أفهـم بأنـه مـن الضرـوري أيضـا أن أتغـير ثقافيـاً، فلـذلك فـأن بريطانيا ليسـت مجـرد قطعـة جغرافيـة أتنقـل بهـا، أنـا اعتـبرت بريطانيـا بمثابـة مرآة كبيرة محدبـة لهـا أضلاع كثيرة وكل ضلـع يريـك جـزء مـن ذاتـك، وكل بقعـة من هذه المرآة تريك جزءً من ذاتك وتريك كـل شيء مخـفي مـن طرفـك، إن بريطانيـا كانت بالنسبة لي هذه المرآة التي أنظر فيها لأرى النقائص والمشكلات والتعقيدات في داخـلي أنـا، لأنـني أنـا لسـت بمنـأى عـن تلـك العناصر الثقافية الرجعية والمتخلفة كانت أيضـا في داخـلي، إذا لجئـت هنـا إلى عـدة آليـات لـكي افهـم هـذا، أولاً انخرطـت في التحليـل النفسيـ لـكي أدرك الطبقـات ومـا يوجد داخل الطبقات الغامضة واللاواعية مــن أحاســيس وانتقــادات مــن عقــد فاستغرقت حوالي أربع سنوات وأنا أخضع لتحليل نفسيـ كلينيكي وللدراسة التحليلية النفسـية أيضـا، ولقـد قـادني هـذا الـدرس التحلـيلي النفسيـ إلى إدراك الكثـير مـن مشـكلات داخـلي، ولقـد أدركـت أن الـذي كان يسكن داخلي هو ليس ازراج عمر إنما عنـاصر تخلفيـة أنـا الآن بـدأت أدرك بـأن الكـون كلـه وطـن، الأرض كلهـا وطـن، وان الذين يعيشـون فيها كلهـم أبنـائي وأصدقائي وأخـوتي، وأعتقـد بـأن التصـوف الإسـلامي فـتح آفاقـاً لتجـاوز الـذات والحلـول في الطبيعة وفي الكون وإدراك الحقيقة.

متى يحرس الإنسان ظله؟

أنـا في إحـدى القصـائد الأخـيرة الـتي كتبتهـا قلت : لا يبقى إلا ظلي بعد الموت فلذلك ظلنـا هـو الـذي يحرسـنا بعـد موتنـا، وهـذا الظـل قـد يكـون مثـل ظـل شـجرة يسـتظل بـه النـاس بأفكارهم، وبمعانيه وبما تركه من

أشياء جميلة للناس، وهذا ظلنا في الكون في الحياة والذي يحرسنا وقد يكون هذا الظل مجموعة الأشرار ولا أعتقد انه يحرسنا في هذه الحالة لأنه يشهد علينا أننا لم نكن كما ينبغي في هذه الحياة.

ومتى يسقط الشاعر؟

الشاعر الحقيقي يقف دائماً إلى جانب الجمال والعدالة والحرية وعندما يخون شاعر هذه الأقانيم فإنه يسقط وتبقى هذه الأقانيم تبحث عن شاعر آخر لتكون معه.

لماذا يكتب أزراج عمر؟

أنا في الحقيقة أكتب لأنني أريد أن أتنفس وعندي هاجس بأن الكتابة تقهر الموت وتتجاوزه، كما أن الكتابة توسع الطبيعة ونحن نخلق الطبيعة ونضيف لها ونجعلها أجمل من ذي قبل وأنا أكتب لأفعل هذه الأشياء، ولكل دافع، فهنالك الذين يكتبون لأنهم يريدون أن يخلدوا، ولكن أنا اكتب وصدقني يا أستاذ سلامة لا أجد نفسي- إلا عندما اشرع في الكتابة لأنني في هذه الحالة وعندما اكتب أحس بأن قوى كبيرة تنبت في داخلي من أجل توسيع فضاء الحرية في داخلي.

(لقد أجلت طفولتي إلى شيخوختي لألتقي هنا لأبحث عن طفولتي في شيخوختي، وأعمل معها العلاقة التي لا تنتهي أبدا)

هل كتب أزراج عمر للطفل؟

أنا لم اعتبر يوماً نفسي- رجلاً كبيراً، أنا باستمرار أعتبر نفسي- طفلاً, فلذلك أنا لا استطيع أن اكتب للأطفال لأنني أنا أيضا طفل، فأنا أكتب لنفسي- الطفل, فالطفولة أنا حقيقة أنا ابن الاستعمار وابن المرحلة الاستعمارية الصعبة جداً, وأنتم جيلكم لم يعش هذه الظروف , أنا لم أتمتع بطفولتي، أنا طيلة سنين طفولتي أرى المذابح , وأرى القرى تحترق والعصافير تقتل والغابات تحرق والأنهار تسمم , وأرى الشهداء في كل مكان فأنا أجلت طفولتي إلى شيخوختي لألتقي هنا, فأنا ابحث عن طفولتي في شيخوختي، وهناك أعمل معها العلاقة التي لا تنتهي أبدا.

ماذا يعني اسم أزراج؟

أزراج بالامازيغية تعني فصيلة من فصائل أشجار الزيتون ويتميز بأنه شجر ضخم وفي نفس الوقت يثمر حباً ضخماً ونسميه بحب الزيتون، وكنت أظن بأن هذا اللقب هو لقب أمازيغي، ولكنني عندما رجعت إلى القاموس المحيط وقواميس قديمة أخرى عربية وجدت لقب ازراج مشتقاً من فعل عربي وهو زرج، زرج الحصان يزرج الحصان زرجاً معناه يسير عدواً ويثير

حوله الغبار وفي نفس اللحظة أزراج مشتق من كلمة عربية أخرى وهى الزرج والزرج هو نبات دائم الخضرة وهو الزيتون أيضا فإذا الاسم يجمع ما بين الحصان الجامح عندما يتمرد وبين الزيتون الذي يثمر والمذكور في القرآن الكريم بأنها لا شرقية ولا غربية لكنها تنفع الناس.

أنت ساهمت في تأسيس الشعر الحديث في الجزائر، فهل كتبت الشعر العمودي؟

أنا أتذكر أنني بدأت كتابة الشعر بالاعتماد على التفعيلة بشكل حر، وكنت أظن واعتقد الآن أن اعتماد التفعيلة الموسيقية هذا يعني بأننا لم ننفصل كلية عن الجذر الفني الموسيقي العربي الأصيل، فتوزيع التفعيلة شئ والارتباط بالصدر والعجز حسب الشعر التقليدي شئ آخر، فمن الناحية الموسيقية لا شئ تغير لكن الذي تغير هو إخضاع الموسيقى لتدفقات التجربة الحقيقية وللرؤى الحياتية وبسلوك توزيع التفعيلة حسب التجربة، وفي الفترات الأخيرة بدأت أقوم بتجربة مزج الشعر الحر بالقالب الموسيقي التقليدي المتوارث، ولست أدري إلى أين ستقودني هذه التجربة, وفي نفس الوقت بدأت الآن أيضا اشتغل على قصيدة النثر لا لأنني غير مصفح بالثقافة الموسيقية الشعرية وفقاً للتفعيلات أو وفقا للشعر الكلاسيكي، أنا بدأت أكتب القصيدة النثرية لأنني بدأت في شعري أنحو منحا اقتصادياً، ومنحا تأمليا، فربما ما يسمى بقصيدة النثر جنس أدبي جديد.

هل أنت راض عن كل ما قدمته أم تحتاج إلى وقفة مع نفسك بعد هذا العمر وهذه التجربة الطويلة؟

كل الذي فعلته هو أنني كما قلت لك أتدرب على الحياة، وتدربي على الحياة هو تدريب على الشعر أيضا وعلى المقالة الصحفية وعلى البحث الأدبي والفكري وعلى النقد، أنا أعتبر كل الذي قمت به هو تدريبات واعتقد بأنني لم احقق ولو جزءً صغيراً من الذي.

لو أتيح لك أن توجّه نقداً لمن توجهه؟

أنا أوجه النقد إلى نفسي. باستمرار وأصحح خيباتي وأتعامل معها واستفيد من خيبات الآخرين وأتعلم منها وآمل من هؤلاء أن يتعلموا منها، وأنا أفهم النقد ربما فهماً كانتياً لا أفهم النقد على أنه تحليل للواقع أو للمشكلات أو للمفاهيم أو تحليل للقيم أو تحليل لهذا الكون كله, ولا افهم نقد البحث عن الأخطاء أو عن النقاط التي تشوه الشخص ولذلك أنا لا اعتقد أن الإنسان يقاس بالنجاحات يقاس أيضا بالأشياء التي فشل فيها ثم تغلب على فشله أو يقاس بالإخفاقات التي اخفق فيها ثم استطاع أن ينهض حصانه ويركض

بعيداً عن هذه الإخفاقات ويجني شيئاً مختلفاً من النجاحات.

كلمة أخيرة: أنا أعتز بالقراء في ليبيا وأتمنى لهم كل خير وأتمنى لهم مزيدا من التقدم في بلدهم ومزيدا من الازدهار الثقافي والفكري وأتمنى لك أنت النجاح في مهنتك كأديب وكقاص وكإعلامي ومحبتي لكم جميعاً وتأكد بأنني أذكركم باستمرار حتى وإن فصلت بيننا البحار والمسافات.

كائنات علي الوكواك الحديديّة

محمد المسلاتي

يجيء المساء، تزحف العتمة على قصر المنار، تقاومه ثريات السقف بمصابيحها الخجولة، تغادر الزائرة العجوز الصالة حيث تنتشر صور الشهداء المعلقة على الجدران، تتباطأ بخطوها، شيء في أعماقها يشدّها إلى الخلف، تدور إلى الوراء.

تمرر أصابعها فوق صورة يظهر فيها وجه ابنها كاشفًا عن أسنان انفرجت لتبدو مثل ابتسامة وضّاءة حينًا، أو تكشيرة ألم خفي حينًا آخر، تنحني تقبّله، تنحدر من عينيها دمعتان حارقتان، يتراءى لها وجه الملك إدريس بالشرفة يلقي إعلان الاستقلال ثمّ يتلاشى.

تنصرف من دون أن تشعر بالضّجيج الصّادح بالقاعات الأخرى، يغادر الحاضرون، يسود الصّمت، كأن لم يكن بالقصر أحد، تغيب أصوات المثقفين، وأعضاء مؤسسات المجتمع المدني، والسياسيين، والشعراء بعد أن أفرغوا ما في جعبتهم من حوارات، وآراء، وقصائد.

آنذاك تتثاءب كائنات علي الوكواك الحديديّة، تتمطّى، تتبادل خوذاتها العسكرية المثقوبة، تُشهر أسلحتها، تصرخ ديناصوراته، وزواحفه، وسلاحفه، تصخب برقصها الجنوني، تدّب نحو جميع مداخل القصر، تهزّ الأبواب.

خوذات صدئة، بنادق معكوفة، قنابل يدوية، أحذية بالية، جنود من حديد يتمايلون لا أعين لهم، لاملامح.

يحتكّ بعضهم ببعض، يطرقع الحديد، يصطك وسط صمت ظلام دامس يتكوم جميع الشهداء محاصرين، تسجنهم براويز صورهم المسمّرة على الجدران.

تنزف جراحهم من جديد، يتحسسون مكامنها، يتألمون، يصرخون وسط الدماء، لا أحد يستمع إليهم، تتوالى انفجارات

عنيفة تشق شوارع المدينة النائمة في ليلها، الدماء تتدفق.

تغدو المدينة بحيرة من الدم تجوبها كائنات علي الوكواك الحديديّة متوغلة عبرالميادين والشَّوارع، والبيوت.

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــ

علي الوكواك: فنان تشكيلي ونحات ليبي قام بداية ثورة السابع عشر من فبراير بتجميع مخلفات الكتائب العسكرية من خوذات، وأحذية وقنابل وآليات، وأسلحة، ونحت منها كائنات حديديَّة ترمز إلى بشاعة آلة الموت، وأقام معرضه عند مدخل قصر المنار ببنغازي ..

قصر المنار: هو المبنى الذي شيّده الإيطاليون سنة 1913. خلال استعمارهم لليبيا، وجعلوه مقرًا للحكام العسكريين من ضمنهم إيتيليو تروتسي، و ايتالو بالبو، ورودولفو غراتسياني.الذي قابل فيه شيخ الشهداء عمر المختار قبل إعدامه، وبتاريخ 24 / 12 / 1951. أعلن من شرفته الملك إدريس رحمه الله إعلان استقلال ليبيا. ويعتبر من المعالم التاريخية والثقافية للمدينة.

قصتان

شكري الميدي أجي

لا يحدث إلا لسومرست موم

في نيس، بدا من الصعب العثور على حجز فندقي، بعد جولة بحث استطعتُ الحجز مبدئياً، في نزل صغير، وقبل أن أقدم جواز سفري، تحدث الموظف مع مسن يجر حقيبة. بدتْ علامات الخيبة على وجهه لرفضي مشاركة المسن لغرفتي. لا أعرف لأي سبب فعلتُ هذا، رأيتُ المسن يجر نفسه مغادراً، للحظات أحسستُ بتأنيب الضمير، فلا وجود لفنادق بغرف شاغرة والليلة باردة جداً ولا تزال في بدايتها. ركضتُ وراء المسن عارضاً عليه مشاركتي الغرفة ولم يتقبل اقتراحي بترحاب، بدا حزيناً إلا أنه عاد باستسلام، دفع نصف المبلغ، وفي الغرفة استطعتُ دفعه للحديث، لدي موهبة في هذا، أخبرني بأشياء عن نفسه، ثم هز رأسه بحزن وأكد أنه اقترب من اقتحام هوليوود وفشل لسبب لن أصدقه

"ما هو؟". سألته

"قبل سنوات كنتُ جائعاً، فوجدتُ فرصة للعمل".

قال متذكراً: "التقيتُ بمخرج أمريكي، قدم لي دوراً كوميدياً، من المفترض فيه أن أشرع في النباح أمام حسناء عارية". لاحظ دهشتي، فابتسم مضيفاً: "أعدتُ ذلك قرابة خمسين مرة، لم يُعجب المخرج بأي أداء قدمته، في النهاية قدم لي مبلغاً جيداً وصرفني، منذ تلك الليلة أخذتُ أحلم بالمخرج وهو ينهرني أمام الحسناء العارية لأقدم أفضل أداء، أظل أنبح حتى يتمزق حلقي بنباح يملئ الأجواء في الأستوديو ."

•••

حيال صمتي وحيرتي، فضل الضحك، فضحكتُ معه. موقف غريب. تعشينا معاً شطائر كان يحملها في حقيبته مع علبتين من المشروب، تحدثنا في أشياء مختلفة، اعترفتُ له بكل الأمور المخجلة التي اقترفتها، أنصت كالقسيس، مضى الوقت سريعاً، فأحسستُ براحة بالغة أسلمتني لنوم عميق. بين اليقظة والحلم، شعرتُ بشيء ما يطرق بعنف داخل رأسي، ثم سمعتُ بوضوح متزايد نباحاً عالياً يشق عتمة الغرفة، رفعتُ رأسي متطلعاً ناحية مصدر الصوت، رأيتُ المسن مواجهاً الجدار، متشبثاً بيمناه على حافة السرير، وينبح بقوة غريبة، بدا نباحاً حقيقياً، عالياً ومتواصلاً، أفلتُ ضحكة ودعوتُ في سري ألا يكون معدياً ومع مرور الوقت بدأتُ أعي جيداً مأسوية ما كان يحدث أمامي. لاحظتُ أن جسده ازداد إنهاكاً وإن كتلاً من العرق انبثقتْ فوق جبينه وهو يحاول التقاط أنفاسه بين اللهاث، شاداً على السرير مستمداً منه القوة، استغربتُ من عدم استيقاظه، شعرتُ بالشفقة العميقة تجاهه .

عندما استيقظتُ باكراً، لم أجده في الغرفة، فقط نباحه ظل يطرق بعنف داخل رأسي.

إخــتــلال

خلال جلستنا خرجتْ الأوضاع عن السيطرة، كنا نتحدث عن تبدل مجتمعاتنا مؤخراً، لم تعد الأخلاق مهمة، أصبح للجميع وجهة نظر وامتزج السيء بالجيد .

"مجتمعنا مختل تماماً، نحن منافقون". قال إيسا، استفز هذا الحديث ماهموداً، فأعلن: "كل شخص يتحدث عن نفسه". رد جعل إيسا يؤكد بعناد: "جميعنا نناقق ." مبعث هذا النقاش، حادثة وقعتْ قبل عشرين سنة، كالتالي :

كنا صغاراً، قسمنا الكون إلى جيدين وسيئين, في إحدى جلساتنا جاء "تشني-بو" وهو سكير وقاطع طريق، ممتلئ بالأمراض النفسية وأحد أسوأ أبناء البلدة بحسب تصنيفنا، لا يُمكن التفاهم معه أثناء سكره، كالحمل خلال صحوه الأسطوري، صحو يتحدث عنه الجميع،

ولم يشهده أحد، دائم الفقدان والجنون، بلا جدوى يلتهي بالمشروبات الروحية.

ادعى ماهمود -يومها- أنه أفضل سكان الحي في اللغة العربية، لم نكن نستخدم العربية إلا لدقائق معدودة ضمن الساعات الدراسية، لكن هذا الادعاء أهاننا في الصميم، أردنا الرد عليه. جلب إيسا مصحفاً –كان في الخامسة عشرة آنذاك- فتح على "سورة مريم" طلب منه قراءة "كهيعص"، بثقته المعهودة حاول ماهمود قراءتها باعتبارها كلمة واحدة، فبدأنا حفلة ضحك مع محاولاته البائسة، كلما ضحكنا ازداد عناداً على قراءتها، نجحنا في النيل منه وإهانته، أحس بوجود خلل ما، لكنه لم يعرف موضع الخلل وليؤكد تمكنه من العربية أفضل منا، بدأ يلقي على مسامعنا أشعاراً لـ: إيليا شوقي وأحمد أبو ماضي، لم ينج أحدٌ من السخرية .

كنا نضحك عندما ظهر "تشني-بو" غاضباً، وهو يفوح بالخمور المنقوعة من جواربه القذرة. "لماذا تضحكون؟". سألنا، عادة هو لا يفعل. أحس الجميع بخطورة الموقف، روينا له كل ما حدث بهدوء وبأمانة حتى لا يعتقد أننا نسخر منه. فهم سبب ضحكنا، فسألنا: "هل أنتم مؤمنون، جيدون، تحفظون القرآن؟". هززنا رؤوسنا "نعم ولا" تباعاً ولم نعرف بما نجيب عندما سألنا أن كنا نعتقد أننا أفضل منه. أصغر نملة أفضل منه، كذلك نحن. ربما فهم هذا من نظراتنا، طلب فتح المصحف على سورة مريم ثم اعتدل مثل صاري سفينة حربية، شرع يتلو الآيات غيباً، مثل عبد الرحمان السديس، تجويد رائع ومتزن، دون سقطات، لم نشعر بأنفسنا إلا وهو يتلو: "أو تسمع لهم ركزا ."

"لا". أجبنا على سؤاله: "هل أنتم مؤمنون، جيدون؟". عاد يترنح كالشراع المرخي، دون أن ينتظر أي إجابة منا، تركنا وابتعد مترنحاً.

تلك الليلة أدركنا أننا في مجتمع مختل، ولكننا نسينا بسرعة .

الكُمبارس

عبدالكريم الساعدي - العراق

هناك حيث مقاهي الظلّ، ضجيج أسى وأحلام يقظة تحلّق في مستنقعات يابسة، منفعلة بأوهام التخيلات، ثمة مقهى تقع في طرف زقاق منسيّ، تعجّ بالحالمين، ينتظرون إطلالة مندوب أستوديو الإنتاج كلّ يوم، علّه يشير بسبابته على أحدهم؛ ليؤدي دوراً صغيراً في فلم، أو دوراً هامشياً على خشبة المسرح، أي دور كان، خليفة، تاجراً، سكّيراً، مليونيراً، جندياً، أي دور حتى لو كان قوّاداً.

كانوا مهووسين بالسينما، يتقاضون أقلّ الأجور ليسدّوا رمق الإملاق، لا أحدّ منهم يستطيع الفكاك من أسر العيش في الظلّ، يتنفسون أحلامهم خلف الكواليس، إلّا هو، كان يحلم أن يكون نجماً، لكنّه لم يفلح، كان منسيّاً، منفياً، يفكّر في تزيين صومعته، قابعاً في صمته، محدّقاً في سقف الزمن، يرمي حجراً في الفراغ، يتوسّل أحلامه لمّا بدا يجوس قتامة الخريف.

يطلّ على عالمه المنتظر من ثقب إبرة، يرتدي ثوب الكُمبارس منذ عشرين عاماً، يمتطي الحلم حصاناً في ميدان المتاهة والضياع. كثيرون فتحت لهم أبواب السماء، اعتلوا صهوة المجد صدفة، وآخرون لفّهم نسيج العنكبوت ليخوضوا في وحل النسيان.

يفتضّ صوتُ أحدهم صمته:

- الريجسير قادم .

تشرئب الأعناق، الأبصار تمتدّ نحو باب المقهى، تنطلق الأحلام مرفرفة بأمل دور صغير، بيد أنّه تجاوز الجميع.

أسمع وقع خطواته، أتوكّأ على التفاتة أمل، تتهودج نظراته فوق ملامحي، رعشة تسري في جسدي، أتأرجح على خيط نور، فأنا ما زلت وسيماً، حاذقاً، أتقنت كلّ الأدوار المذلّة، تلقيت صفعات وسباب حتى لامسني الجنون، يأسرني الصوت:

- أنت.

أرتكن إلى نرجسة الروح؛ كي لا أنطفئ، مختلطاً بتلة من الهواجس، لأبقى صامتاً رغم دهشة الحضور، حدّق الرجل في وجهي مبتسماً على غير عادته، يتفرّس ملامحي، وكأنّه يمعن النظر في مرآة لم يرها من قبل، جلس لصقي، ناولني حزمة من الورق، أكبحُ استغرابي، لهفتي، لمعرفة الدور، أفكر بقلق شديد، عشرات الأدوار أسندت إليّ، لم تتجاوز جملة، جملتين، مشهداً صغيراً، مشهدين، فما بال هذه الأوراق؟.

يقدّ صمتي بصوت أقرب للهمس

- أنت محظوظ، ستؤدي دور البطولة هذه المرة أمام " كاميليا"، لا تبرح مكانك . "الكُمبارس" عنوان فلمٍ جميل، يسرق ابتسامة شفيفة من شفتيه الملتهبتين بالصمت.

يبدو أنّي ما زلت على قيد الحياة، تنفتح له كوة، يطلّ على مقهى النجوم، ينظر عبر الممر المؤدي إلى معبد الجمال، معبد منثور بأزهار النرجس، ينثّ سحراً، تظهر له كاميليا بكامل زينتها، كانت تنتظره، يحدّق فيها، يشمّ عطرها عن بعد، يتشربه بعمق، يغرق فيه ثملاً.

ابتسامتها، شفتاها المنقوعتان بماء الورد، بياضها، يجرح شغاف قلبه، يبهج حواسه، سأقيم عزاءً لكلّ ذكرياتي النابضة بالجفاف على شرفة رقّتها، شرفة مغطّاة بالنرجس وزنابق الدفء، وأمارس بعض جنوني في جلال يليق بروحي التائقة للتوهج، سأتهدّج في البروفة كما نسمة صيف على ضفة جدولها، ستعشق كمبارس أتقن دوره شغفاً ببريق عينيها، أكاد أقترب منها، أختلس همسة عطرها، أتعرى شوقاً لأنفاس رعشتي، سرور وحشي- ينتابني، تستعر فتنتها، تحتلّني ابتسامتها، أرتعد من ذات الصوت :

- الريجسير قادم .

أهرع إلى باب المقهى، الحالمون يحلّقون حول فجر أمنية، يطاردون حلماً ضبابي البهجة، يَتْلون رغبات بسيطة، لا خيار لهم سوى أن يكونوا جزءاً من المشهد. مندوب أستوديو الإنتاج يحرث ملامح الحضور بنظراته، يتجاهلني، يشير إلى أحدهم بطرف سبابته، تنطلق السيارة وسط ذهولي، العرق يتصبّب من جبهتي، أرتطم بوجه الحيرة، ألتفت إلى يمين الوجع، أحدّق في اللافتة المنتصبة وسط الجدار، أقرأ حروفها بالمقلوب "مقهى النكرات"، أغرق في صمت يبوح بالدموع، يسكرني كأس الخيبة، ينخر فاكهة الخيال،

"هل الحلم خرافة؟، أيمكن أن يكون حقيقة ذات يوم؟ ". قهقه بصوت عالٍ،

"أنّى للثمـل أن يحلـم ولمّـا يتبـيّن الخـيط الأبيض من خيط النسيان؟."

يمضي۔ وحيـداً في أسـاه، يحصي۔ تخـوم الذكريات، تتزاحم خلفه أزمنة شائهة، كان الطريـــق أضـــيق مـــن خطواتـــه.

مِنْ أسْرَار السُّلْطَان

عائشة الأصفر

هـو عنـوان كتـاب "حَمْـدَان" في سِلسـلة طَويلَـة ومُثـيرة تَصـدُر لـه عقـب مَـوت سُلطان أو حاكم زمان، يُدهشنا فيها بأسرار البَلاط، وخَبايا القُصور، ومَخَادع المُلوك. بهذا أخبرني صديقنا المشترك، بعد أن مالَ علَيّ مُستغربا: ومِن لا يعـرف "حَمْـدَان" وأسْرار السُّلطان!

ليفاجئني بعدها بدعوة عشاء في منزله على شرف "حمـدان" بمناسـبة زيارتـه البلـدة في ظـرفٍ غَـامض، لـم يفصـحْ لي صـديقنا المشترك عنه! ومع أنه كثيرٌ ما حدّثني عن "حمـدان"، لكنّهـا المـرة الأولى الـتي ألتَقيـه فيها، دَعـوة العشَـاء ضَيّقة ومحدودة فلم يكـنْ مَعنـا سِـوى رَجُـل أعمَـال مَعـروف بالبَلدة وزوجته الإعْلاميّة المَعروفة أيضاً .

"حَمْـدان"، غَليونـه الفضُـولي، مُشْرئبا مِـن بين أسنَانه المُتباعِدة وشَفتيهِ القَصيرتين، كل مـا فيـه مُكتَـنز وقَصـير، أنفـه، جَبينـه، عُنقه، مُختلِط التعَابير في مَرحٍ ووجَاهة،

ولا يمكـن التنبؤ بعمـره، قهقـه مطولاً وهـو يصرّـح لنـا (أنـا مثـل السـلطان، الفـرق أن السـلطان سـيّد الجميـع، ويـترك الجميـع في كل مـرة، أمـا أنـا فـلا أمـوت، وسـيّد نَفسي- ولـن أتـزوج وسـأظل في علاقـة معقـدة!)، هو تماما كما صوّره لي صَديقي، لكنّه رغم وجَاهتـه، وقيافتـه العَالية تلُوحُ منه رائِحة تَقشـف، وحِرمَـان، تغلّفهـا قُشُـور نعمـة وعَفَويّـة، وهـو يشـير لصـديقي أن يسـكبَ المزيدَ مِن عصير التفاح الغازي.

رجـلُ الأعمـال الخَمْسـيني اختلـفَ عنـه، يبـادل نظراتـه الهادئـة تبعـا للْمُتحـدِث، مرتَـاح الجَلسـة، يـتكلم بِلطـف وهـو يَصـفُ مشْرـوعَه لإقَامـة مَركَـز تَـدْريبي لتنميـة المواهـب الشَـبَابية، ليقنـع "حمـدان" أن الشـباب في أزمـة حقيقيـة، أعـاد "حمـدان" الكأسَ فارِغـة، ومـلأ كرسـيه جيـداً ليؤكـدَ العكـس، فكلّ شيءٍ بـاتَ مُتَاحـا لهـم، بـدءا مـن بيـع البنزين، وحـتّى التُراب، قـال ذلـك

وهـو يسـترق النظـر إلى الإعلاميـة، وفي ازدراء هـزّ رجـل الأعمـال كتفيـه، ودفـع شفتيه عاليا بِلا تَعْليق.

لَفتتْ انْتباهي زَوجته الإعلامية، بمظهرِهَا الرّسْـمي البَسـيط، متوسـطيّة المَلَامـح، تَغْشَـاها طُمأنينـة، ووشـاحٌ بـألوانٍ دَافِئـة ونَقْشٍ تُرَاثِي مُنْسدِلٌ عَلىَ كَتِفيها، ولا أظنّها تضَعُ مَسَاحيقَ، مَا أتاحَ رؤيـة دفقـة الـدّم علَى وجنتيها كلّما مـرّ صـديقي علينا بِما يُقدمه متجاهلاً إياها، فأبادرُ وأمدُّ لَها مِنه! لم أفهم سرّ تجَاهله.

كنتُ نشازاً بَينهم، سَامحَ الله صَدِيقي.

عَيـنِي عَـلى "حَمْـدَان"، وَعَينـهُ عـلىَ الإعلاميّة، وعَينُها عليّ !

قبـلَ أنْ يُعَـرّي المَـوزةَ بِفضَاضَـة كسرـتْ عُنُقَهـا، وهـو يرتـب عـلى الأرضـية بِقـدم حِذائهِ في حركة متتابعة وسريعة، بَاغتَها:

ـ أعتـبُ عَليـكِ، قَنَـاتكُم الوَحِيـدَة الّـتِي لـمْ تَحْتفِ "بأسرار السّلطان"؟

ـ سـنفعل، لكـن لـيسَ قبـلَ أنْ نقـرأه، مِـن عادتِنا قراءَة ما نُقدمه أولاً، هَذا تَاريـخ سيّد "حمدان"، سنقدمُ للناس مَا يُفيدُ التّاريـخ. (وغادرتْ إلى الشُرفة).

ـ ولحقتهـا صَـيحَتُه، نفعـلُ سـيدتي.. (لا أظنها سمعته).

لحقتُ بِها: . (مَسَحتِي كَبْدِي).

ـ ومُندَهِشَـة: نعـمْ ؟!، كَبْـدكْ ؟!! (وتَمَـاوجَ وجْهُهَا).

أخبرَنِي صَدِيقِي :

صَـغيراً.. يحْكُـمُ "حَمْـدان" قبْضَـته عـلى تَلَابيـب أمّـه، تجرّهـا تلبيـةً لزوجـةِ الـوَزير المحكــوم بقبضــة رئيســه، في تَهيّــب واحـتراس يَسـيرَان بمُحـاذاة درجـاتِ بَهـو الفـيلا الـداخلي، ليهبطـا دَرجـات الفنـاء الخلفي نحوَ مطبخ الخَدم، نحيل خلْفَ أمّـه المُسْـترخية يَحْـتَمي، يَرصُـد، ويحلُـم، تتزحلـق يـدها الرّطِبـة عـلى الرّخـام البـارد تصْمُد، يَرسُمها البَلَل تُغرِي، تَنْتبه الحـرَم المَصــون،، ارتَقـتْ أمّــه سريعـاً درجـات القصرـ عندما وهَبتْها زوجة الوزير النّبيهة والخـيّرة مكانـاً في غُرفـة غسـيلٍ بقصرـ المَلـك، درجـاتٍ مكّنـتْ "حَمـدان" مـن معرفـة مـا يتسرّـب مـن غسـيل الـرئيس وتحليله، وحقّقتْ رغبته في بذلة مدرسية جديـدة، ومـلء حقيبتـه بـالألوان، وضَـمان فُطـورٍ يـومي لا يحلُـم بـه أقرانـه في حي "الطّاحونة."

والده الرجل الطيب "حفّار القبور" يَعرفه الجَميع بِحكُم مِهنته، يتَسرّب التراب مِن جَبينهِ فِي جَمالٍ لا تَمنَحه إلا غَبرَةُ الْموت، خَشِـن الكَفين بنَداوةِ العطاء، ليّن القلب

بِجَلَدِ الصبر، زاهد النفس، رَفيق الصمت، فالموتى لا يتكلمون.

ذَاتَ جَنَازة أَخْبرَ وَلَده "حَمْدان.."

نحن نحفرُ هُنا نُواري الملوكَ وسوءَاتِهم، ليبدأَ غيرُنا الحَفرَ لنبْشِهَا !

هُنا في هذه المملكة المَهِيبَة، يَصْمت السّلاطين والكلِمة لِحفّاري القُبُور.

وأمامَ الموتِ يَتَساوَى السّلطانُ بحافرِ القبْر!

فردّ: لكنّ البشر يفرقونَهم حتّى هنا، حتّى طعاماً للدود !

خطَرَ عليّ بيتٌ "لمظفّر النوّاب.."

(الموتُ عدلٌ فلتكنْ الحياةُ عادلة.. وليُمنَح الشّحاذُ حقَّ الجّاه!)

تشظّى "حَمدان" بين حُلم قَصر الوَزير، ووَاقع مقْبَرة حَيّ الطّاحُونة .

تركَ لوالده حفر الدّفن، واختارَ حفراً مِن نوعٍ آخر.

اختّص "حمدان في أسرار السلاطين الموتى تحديداً، يَنزَع ثوبَ الملك، يُقشّر لنا جِلدَه، يُدهِشُنا بكل تفاصيل خُصُوصيّته، ماذا يأكل؟، وكيف؟، هل وفق أتيكيت الارستقراط، أم على نطُوع الخِرفان؟، أي ضروسه الأكثر استخداماً اليمين أم اليسار؟ طوله الحقيقي؟، مَن ينتقي ملابسه؟، متى يبتسم؟، كم مرة يَزور دَورَة الْمياه؟، عَدَد لُقيماته؟ عن شَعره المُستَعار، وذِقنه المصْبوغ !

يَفيضُ في الأسرار.. تنْسابُ "حَيَاء" في خِفْية، وتستلّ "عَزّة" خُطَاها في ارتباك، تنعم ابنته بسائق خاص، لكنّها لا تَخْتَلي إلا بِمَحرَم. لا يَجبُن "حَمْدان" وهو يُصدمنا أنّ السلطان يشرب الخمر !

وأنه يملك ملابس داخلية كالتي في سوق الرشيد!

رافقَ "حمدان" الملك في رحلاتِ الصّيد، شهدَ غنائِمَ الحَبَاري والظّباء والحِسان .

جريء هذا "الحمدان"! أشبعَ ولعنا في معرفة أسْرار الحُكّام، واقتفائها، فندفعَ باهظَ

الثمن لاقتناء كتابه المهم !

لم أزعج صديقي بأني أتوقُ لأمرٍ جلَلَ، فهذا يفعله مَنْ هُم دونَ الملوك!

ويتابع ..

ذاعَ صيتُ "حَمْدَان" في البِقَاع، وتنافستْ عليه القنواتُ الفضَائيّة، تَطيرُ به طائراتٌ خاصة مِن عَاصِمَة إلى أُخْرى، نَدَوات هُنا، وحفل تَوقيعٍ هُناك، وهو يَسْتحضرُ السّلطان المَيت، حتّى فَاضَ مردودُ كتابه

السّـحري وقـبضَ بـه فـيلا وزيـر أنسَـتْه قبضتّه في تلابيب أمّه .

صـارَ "حمـدان" وزيـراً بعـدَ أن اعتمـدناه مصـدراً نستشـفُّ منه تاريخَنا الـذي صار مُتَمثلاً في خُصوصيّات الحُكّام الحَمِيميّة .

سألتُه:

ـ لكـنّ "حَمْـدان" لـمْ ينقـل لنـا شـيئاً عَـن عَلَاقـات الُسـلْطَان بالسـلاطين، ولا عـن الحروب، والدستور، والانتخابات، ولا عن دوره في الاقتصـــاد؟ عـــن علاقتـــه بالثقافـة..و..و.. والأغـرب لـم يخبرنـا عـن علاقة السلطان به هو "حَمْدَان" نفسه !

ألـيس مصـدر تاريخنـا! ألا تـذكرُ مـا قالتْـه الإعلاميّة في حفلِ العشَاء؟

ـ أيّة إعلاميّة؟! كان معَنا فقطْ "حمدان"، ورجُل الأعْمَال.

ـ بلْ كانتْ مَعَنا، وخرجتْ للشُرفة ولحقتُ بها، ألمْ تَرَنا؟

ـ بلىَ، خرجـتَ للشُرفة وحْـدك، تـردّ عَـلَى مُكالَمة وأنت مُنْتَشٍ .

ـ كُفَّ عَن المُزَاح.

لم يرُد صديقي ..

ماتَ السّـلطان، دُفـن دونَ حـذاء، وتَخلّـت عنه "عـزّة"، و"حياء"، وتَـركَ كلّ ثَروَتـه في بيــتِ الْمـــال بالبنـــك المركـــزي، لكـــنّ "حَمْـدان" أصرّ عـلى أنْ يُخرجـه مِـن قـبره، وأن يُحْييــه قسرـاً، يمـلأ بِصـوره معـارضَ الكُتـــب، ويُجلســه أمَامــه في كـلّ مقابَلــة تلفزيونيّة.

لا زالَ صَديقي يَنظُر إليّ مبهوتاً !

ولـــن أســـأله عـــن سر الزيـــارة، أهي الانتخابات؟ أم...؟

وخمّنتُ أنّ "حَمدان" متأثرٌ بِمهنةِ والده، فهو لم يحدّثنا إلا عن السلاطين الموتى!

صارَ "حَمْدَان" مصدراً لتاريخِنا.. لكنّه أبداً لن يصيرَ ملكاً!

نَطقَ بها صديقُنا المُشتَرَك.

ديسمبر/ 2018

نص فوضويّ

خيرية فتحي عبد الجليل

سأحكي لكم عن ملامح المكان الذي عادة ما يحتويني.. غرفتي، أشيائي مبعثرة بفوضى محببة إلى النفس، وسادتي مرمية بجانب مقعدي، مكتبي يعج بالأوراق والكتب والأجهزة وأشياء أخرى صغيرة، قدح وقارورة مياه معدنية، أسلاك وكوابل، هاتفي مضبوط على وضع صامت، طابعة ليزرية جامدة حيث لا حبر ولا أوراق، رواية المجوس، الجزء الأول لإبراهيم الكوني تستلقي بتكاسل عجيب تشاركني دفء مخدعي، وتستنشق عبيري، لا شيء من ملامح الأنثى فوق مكتبي سوى عطري، لم تكن بي رغبة لترتيب المكان، الشيء الوحيد الذي أكرهه هو تنافر الألوان فغرفتي رغم الفوضى و الأشياء المتداخلة بهمجية صارخة إلا أن الألوان مرتبة ترتيباً مريحاً للنفس، لا أحد يشاركني غرفتي، مملكتي خاصة بي وحدي ولا أحد يساعدني في ترتيبها ولا يملك قرار ذلك، أنا وحدي من يقرر مصير أشيائي، وحتى ملابسي. عادة ما أتركها متناثرة هنا وهناك لكنها نظيفة ونظيفة جداً، تفوح منها رائحة عطري، أعود فأقول عطري هو سيد المكان وهو الذي يحدد ملامح الفوضى المحيطة بي، في جهة اليسار يتربع مكتبي، يحتل جزءاً كبير من المكان، أحبه متسعاً ليستوعب كتبي وأوراقي، أجهزتي، أجلس إلى حاسوبي المحمول، ثلاثة أرباع وقتي أجلس إليه، أمي تتذمر من هذا العذاب، تشكو من عشقي لجهازي وجلوسي وحدي تماما، وحدي مع شاشة وأزرار وأسلاك وكوابل وكتب وأوراق و حدي مع الصمت المطبق، هي تقول لا شيء حي في غرفتك يا أبنتي، لا شيء يبوح ويتحدث، يثرثر سوى عطرك.

أفرك عينيّ المجهدتين من أثر التحديق في الشاشة المضاءة، أتثاءب، لا أرد.

عوالمي لا تعجبها، ملامح مكاني غير المرتب تقض مضجعها، صمتي الطويل يقلقها فتخرج حزينة.

القلم في يدي، أنتبه، أضعه باحترام شديد على الورقة، منذ فترة طويلة لم أكتب

بـالقلم، هنـاك حاسـوبي وصـفحة "برنـامج الــوورد" البيضــاء والأزرار الباهتــة، قلــبي فـارغ، أشـعر بـه كبيـت غـادره سـكانه منـذ زمن بعيد، روحي مرهقة بعد وفاة أحبابي، أحلامي تقف عند كتابة سطر ثم تتوقف، الـوطن مثقـل بـالهموم، أسـتنجد بالـذاكرة، أفقـد شـهية اسـتدعاء الأشـياء الجميلـة، شريط الذكريات يبدو باهتاً، أغمض عينيّ، يؤلمني ذلـك الرجـل الـذي أغـراني بالكتابـة، وبترك عطري يثرثر طوال الوقت، وإهمال أشيائي دون ترتيب، تـرك " إبـراهيم الكـوني " يتســـلل إلى مخـــدعي، و"محمد حســـن" يشـاركني كل أوقـات القيلولـة، تـرك أثـاره، بقاياه، لطخاته فـوق أحـرفي، تـرك بنغـازي والزاويـة والشـاطئ وزلـة وطـرابلس والجبـل الأخضرـــكوشـــم كي في صـــدري، تـــرك قصائده، شكلني وفق مزاجه ثم اختفى.

بنغازي، الزاوية، الشاطئ، زلة، طرابلس: مدن ليبية.
محمد حسن: فنان من ليبيا.
إبراهيم الكوني: أديب وروائي ليبي.

قصص قصيرة

ناجي الحربي

مرآة!!..

قلت لصديقي عندما صعدنا الأسنسير:

- كأني أعرف هذه الشخصية التي تطالعني كلما نظرت في مرآة المصعد؟!!

قال لي: أين هو؟

قلت له: هذا.. وأشرت إلى صورتي في المرآة.. حشر رأسه ليرى الشخصية.. ابتسم وقال لي: هذا أنا يا رجل!!..

كذّاب..

بعد وجبة دسمة.. تمرفق.. وأخذ ينظم بطولاته فيما كان يعبث عود النعناع اليابس بأسنانه التي كأنها في حالة شجار مع بعضها البعض.. ثم قال:

- أنا قلت للسيد الوزير عندما كنا في جلسة شواء بالغابة لا تفعلوا كذا وكذا.. واتصلت بوكيل الوزارة وعطيته على رأسه.. وكلمني رئيس الوزراء يستشيرني في تعيين فلان الفلاني سفيرًا لبلدنا في دولة أوروبية.. وأنا من عيّن ولد فلان قنصلاً في دولة أفريقية.. سكت للحظة ثم تسربت من مؤخرته رائحة وقحة!!..

شوق!!..

في مقهى منزو.. جلست في ركن مظلم.. أمعائي تتناحر.. لا رغبة لي في تناول أي شيء.. جوع من نوع آخر.. لا أعرف كنهه.. مدّ النادل قائمة الأطعمة وبابتسامة قال لي: تفضل.. طعامنا لذيذ ماذا تطلب؟ قلت له: طبق حلم بوطن يقاتلني حبه..!!

صاحبة الفولكس

عزة كامل المقهور

كانت باريس تغتسل ذلك الصباح رغم قشعريرة برودة تسري في أوصال طرقاتها الفسيحة، أما أزقتها فقد احتمت بالشرفات ومظلات الدكاكين، وتدفأت برائحة الكرواسن المتسللة من ثقوب المخابز.

لم تكن حجرتي المطلة على الفناء الداخلي للعمارة تسمح بمعرفة أحوال الطقس. يحجز الفناء الذي يبدو كالصندوق حجرتي عن شارع "الزانفاليد" العريض بالحي السابع، المرصعة أرضيته بحجارة البازلت التي تنزلق عليها السيارات، وعن المارة على قلتهم. يبدأ الشارع بمقبرة نابليون وينتهي بالمدرسة العسكرية، لا يوجد به سوى محطتي مترو، أقربهما إلى سكني المحطة المقابلة للكاتدرائية. الصوت الوحيد الذي يصل إلى حجرتي هو أجراسها، عدا ذلك، يمكن أن تكون حجرتي في أي بقعة من العالم.

تطرق "أني" باب غرفتي كل صباح طرقتين سريعتين وهي مارة بسرعة في إتجاه المطبخ، وتطلق تحية الصباح " بونجور"، لولاهما لما كان بالإمكان تلمس النهار. كان الإفطار نصف خبز "باجيت" محمص ومملس بالزبدة ومربى الفراولة...

" -أني" هل لديك مربى البرتقال؟

-لا، لكن ما أن يفرغ هذا الإناء سأشتري البرتقال.. أتحبينه؟ به بعض المرارة.. لا أعلم فيما إذا كان الأولاد سيستسيغونه.

-لا بأس "أني".. أنا أحب الفراولة أيضا.

البرتقال يعني لي أن أشتم وأتذوق قطعة من الوطن... "الليم" المُطرح تحت الأشجار...المعبأ في الصناديق البلاستيكية الملونة. كان شوقي بشساعة حقول البرتقال التي تمتد على طول البلاد... لكن رغبة شديدة انغرست في داخلي أن أتعرف على هذه المدينة.

كانت باريس أنيقة.. سيدة أرسطقراطية، جميلة، بجسد نحيل، وشعر طويل مجعد، وعينين واسعتين، وابتسامة باهتة، تتكاسل كل فجر على مراكب السين، تجلس على الكرسي المعدني في حديقة اللكسمبورج، تدخن سيجارتها على درجات مبنى الأوبرا، تفلت ضحكاتها المغنجة في مقاهي سان ميشيل، تغضب في ساحة الكونكورد، تتسوق في ميدان فاندوم، وتسهر في "الطاحونة الحمراء"... تتوه في أروقة اللوفر، تتأمل لوحة "الجيوكندا" بلامبالاة، تلج محطات المترو تنتقل بين مقطوراته، تعتلي الدرجات لتخرج إلى النور وتستحم به .

دفعت بكتفي الباب الخشبي الكبير في قوة بعد الضغط على الزر الكهربائي الذي سرت رعشاته في الباب، ما أن استقبلني النور حتى تساقطت حبيبات باردة على رأسي...المطر..

"مطر.. مطر...مطر/ أتعلمين أي حزن يبعث المطر/ وكيف تنشج المزاريب إذا انهمر/ وكيف يشعر الوحيد فيه بالضياع/ بلا انتهاء كالدم المراق كالجياع/ كالحب كالأطفال كالموتى هو المطر "

صدح السياب في نفسي حتى غمرني كنهار ذلك اليوم الباريسي- الذي أطل عليّ خجولا يتدثر بالمطر... اصطحبني ديوان السياب الأحمر الأنيق من غرفتي الواسعة المطلة على البحر إلى غرفتي الصغيرة المطلة على الفناء.

لوهلة، فكرت في التراجع والصعود إلى غرفتي لاصطحاب مظلتي، لكن المطر كان خفيفا ومنعشا فقررت المضي قدما باتجاه الكاتدرائية المجاورة ثم قطع الطريق باتجاه محطة "المترو."

للمترو نكهة خاصة في باريس، كنكهة فنجان القهوة الصغير في صباحات باريس الذي يُتناول على عجل، كالتهام قطعة كرواسون بالزبدة تحت المطر، كصوت "إديث بياف" الشجي في ميدان مونمارتر أو رقصات "داليدا" السريعة. مترو باريس هو المزاج الباريسي- الذي لا يتغير، مقصوراته الرمادية ومقاعده البرتقالية وصراخ مكابحه وهوائه الساخن وموسيقى متسوليه، هو الاشتراكية الباريسية حيث يجلس الجميع على ذات المقاعد في رحلات مشتركة عامة.

كنت قد نلت الماجستير وفي طريقي لتسجيل الدكتوراه في جامعة السوربون. تقع مكاتب التسجيل في حي لا أعرفه يسمى " دو تولبياك" يقع على مشارف الحي الصيني. كان المطر ما يزال محتشما، بدا لي وكأن السماء ترعاني في خطواتي المترددة التي تعكس ما في رأسي، لم أعد

راغبة في مواصلة الدراسة الأكاديمية، في أن اقضي- أيامي بين الجدران الباردة في مكتبة "كيجاس".. أتخيل تمثاله وهو يرتدي الروب والقبعة، ينظر إليّ من علٍ يراقب دخولي وخروجي وينفخ في ضميري كلما هجرت المكتبة إلى الشوارع المكتظة والمقاهي الحية والمشاة المستعجلين، والحدائق ودور الكتب التي تعرض الكتب والاسطوانات في صناديق خشبية على عتباتها، أنزل الشارع حيث ميدان سان ميشيل تنهمر المياه من نافورة عالية في صحن خزفي كبير يقف أمامها العشاق في مواعيد الانتظار، ثم أنزل نحو ضفة نهر "السين" حيث سفن "البينيش" المسطحة الراسية المستسلمة لضربات أمواج النهر, تحركها أمواج سفن "الباتو موش" الممتلئة بالسياح وهم يحيّون المشاة على الضفتين. هل ستنغلق باريس عند مكتبة العجوز "كيجاس" وتتكدس الكتب في رأسي، أم ستغزل خيوط النور والصور والحركة أفكاري؟ كانت قدماي تقوداني لكن أفكاري تهرب مني.

ازداد وقع زخات المطر وكنت قد وصلت إلى مبنى التسجيل ، صعدت الدرج على أمل أن يخف أو أن يبقى مختبئاً بين رغوة السحاب.

بعد أن أتممت التسجيل، خرجت مسرعة لكنني فوجئت بسيل الأمطار كخيط بلا نهاية فتراجعت لخطوات, وقبل أن أعود للمبنى توقف المطر فجأة، رفعت رأسي نحو السماء فلم أرها، وجدت مظلة واسعة سوداء تحميني، ويد تمسك يدها بقوة، أدرت رأسي أبحث عن صاحب اليد الرحيمة، وقبل أن أتكلم، قالت لي:

-سأخذك حيث تريدين.. هيا معي .

-أه شكرا جزيلا...

لا أعرف وجهتها، ولم تعرف وجهتي، كانت خطواتها واسعة ونشطة وكان عليّ أن ألحق بها. قبل أن أبين لها وجهتي وهو محطة المترو، أشارت بيدها وقالت..

-هناك سيارتي.. أين وجهتك.

-مترو دو تولبياك.

-آه، سأخذك بالسيارة إلى هناك.

اقتربنا من سيارة فولكس واجن خضراء داكنة من الموديل القديم، بدت في شكل سلحفاة تنحشر بين سيارات أخرى.

-سيارتي قديمة وبها فوضى كبيرة ...

ضحكت وأردفت.. "لكنها فعالة والأهم إنني أحبها"..

توقفت أمام الباب، فتحته وهي ماتزال ممسكة بمقبض المظلة الأسود، كنا محشورتين تحتها.. وكنت أحاول جمع

الاوراق المبعثرة او على الأقل ازاحتها جانبا كي أجلس..

- ارمي بها الى الكرسي الخلفي.. لم أعد بحاجة إليها.

كان الكرسي الخلفي أشبه ما يكون بسطح مكتب في أيام الامتحانات.. تبعثرت عليه الأوراق التي غطت كتبا مغلقة وأخرى مفتوحة امتلأت اسطرها بخطوط ورسوم وكلمات على هامشها... جلست، وشعرت أن قطرات المطر ستثقب سطح السيارة، لكنها لم تفعل.. كانت تسيل من السطح المحدودب وتنزلق نحو النوافذ.. تحجب الرؤيا وكأنها لوحة سريالية لسلفادور دالي.

تذكرته، كنت قد اقتنيت كتابا للوحاته وانغمست فيها وحاولت فك شفراتها... دخلت المرأة بصعوبة إلى كرسي القيادة وهي تحاول إغلاق مظلتها، ها أنا أراها بوضوح.. معتدلة القامة في أوائل عقدها الثالث، شقراء بشعر قصير. وحين التفتت نحوي وهي تنفض شعيراتها من بقايا المطر، رأيت عينين معشوشبتين ضيقتين ودافئتين... وثغر صغير مضموم يكشف عن أسنان متساوية.

-يا لهذا المطر اليوم؟

ابتسمت وأنا أهز كتفيّ..

-لدي مشكلة في مساحات السيارة، لكن لايهم.. أنت تريدين محطة المترو أليس كذلك؟

-نعم

-لابد وأنها قريبة. ثم أردفت وكأنها تستفسر عن معلومة،

-هل أتممت تسجيلك في المبنى؟

-نعم

قالت منتشية وباسمة...

-آه أنا أوقفت قيدي .

-آه

-لم أعد أطيق الدراسة.. كانت تواصل حديثها وهي تدير مفتاح سيارتها وتثير المحرك...

-اوف.. أمضيت سنة وشهرين محشورة داخل المكتبات المظلمة.. كنت أدرس في المكتبة الوطنية يوميا وأحيانا في كيجاس...

ما أن سمعت اسمه حتى اعتدلت في جلستي... التفتت نحوى تعلمني

-كيجاس بالحي اللاتيني

-نعم نعم أعرفها..

-شعرت بثقل الساعات ثم الأيام ثم الأشهر حتى مضت السنة.. كان كاهلي يتقوس، أعبىء عينيّ بالكلمات ولم أعد أرى صورا ونضب خيالي...اكتشفت أنني لا أتّبع طريق حياتي التي أريد.

شرعت في القيادة والدوران في الأزقة.

- المسّاحات لا تعمل لكننا سنصل لا تنزعجي...حين رأيتك تقفين مترددة في الخروج نحو المطر، تذكرت حالي حين أتيت للتسجيل أول مرة.. مترددة.. لم أحسم قراري فيما إذا كنت سأتجه نحو الدراسة الاكاديمية أم سأنطلق نحو سوق العمل .

التفتت نحوي..بعينيها.

-واصلت الدراسة لأنني لم أعرف ماذا أريد.. كانت أقصر الطرق. أنا سعيدة اليوم! هل تعلمين لماذا؟

شعرت بشيء من القلق... وتوجست... بالكاد أعرف هذه المرأة التي لم تتوقف عن الحديث منذ انطلقت معها تحت سقف المظلة...

كانت طرقات المطر تتواصل على السقف، والنوافذ، والمسّاحات تتحرك ببطء وبشكل متقطع دون جدوى، تستنجد بصوت مخنوق بين الحين والآخر.. أشكال سلفادور دالي تظهر من وراء الزجاج الذي تنزلق عليه المياه.

حين تأخرت في الإجابة، التفتت نحوي وكررت السؤال.. هل تعلمين لماذا أنا فرِحة اليوم؟

نظرت إليها باهتمام وقد شعرت بأنها لا تنتظر مني إجابة، فاسترسلت..

-لأنني قررت أن أتوقف عن القيام بعمل لا أحبه! لن أواصل شهادتي العليا.

اشارت بأصبعها نحو مقعدي...

-في درج السيارة أمامك.. تذكرة سفر إلى الهند، سأزور نيبال أيضا..

ضحكت وقلت لها "الهمالايا؟"

-لا لا.. ليس بعد، هل أنت من تلك المنطقة؟

-لا أنا من شمال افريقيا..

-اه سأزورها حتما يوما ما... تابعت

-أحب المطر.. أحب قطراته، نقراته، طرطشة مياه بركته بقدميّ، لا أرغب في رؤيته باكيا من خلف الزجاج... أريد أن ألمسه وأتذوقه.

أخرجت طرف لسانها وهي تنطق بالكلمة الأخيرة...

-ثم ماذا؟ سألتها...

-سأعمل.. قد أدخل امتحان إجازة المحاماة.. أو أي عمل آخر.. المهم أن أعمل شيئا أحبه..

كبحت الفرامل فجأة حتى انتفضت وكدت أن أصطدم بالزجاج

-باردون.. عفوا

جاوبتها

-لا بأس...

فتحت الزجاج بسرعة دون أن تأبه بحبات المطر التي هوت نحو الداخل

-مسيو.. مسيو. أين محطة المترو؟

جاء صوت رجالي متهكم... أنت تقفين أمامها الآن...

تأهبت للخروج...

-وداعاً

-رافقتك السلامة في رحلتك إلى الهند.

نزلت مسرعة... كان وقع المطر على أشده، وكنت حريصة على أوراق تسجيلي التي خبأتها تحت معطفي..

انطلقت الفولكس بسرعة أمامي، تغطس عجلاتها وتدور بقوة في برك المياه وتحيلها إلى نافورات... بينما نزلت سريعا درجات مترو "تولبياك" أحتمي من المطر بالنفق...

حين عُدت إلى غرفتي لدى "أني" كنت مبللة، استغرقت طوال الطريق في ذاتي. فتحت "أني" الباب وهي تفتح عينيها الزرقاوين الضيقتين

" -هل أضعت المفتاح"

" -بلى... في مكان ما في حقيبتي"

" -لا بأس.. يبدو أن المطر أرهقك"...

لم يرهقني المطر.. أرهقتني دقائق في سيارة فولكس واجن... وحين دلفت إلى غرفتي لم أحتمل ذلك الصندوق الذي يجاورها ويجعلها غرفة في أي بقعة من العالم عدا باريس.

لم أعد إلى مبنى تولبياك، ولم أذهب إلى مكتبة كيجاس.. حملت كتاباً مصوراً للوحات سلفادور دالي، وأمضيت الساعات في بيت بيكاسو بحي "لوماريه"، وزرت موطن مونيه وجلست في حديقته الشهيرة أتأمل لوحاته فيها... توقفت طويلا أمام أيادي "رودان" المنحوتة في بيته بشارع "مسيو" وجلست في حديقته أمام تمثاله الشهير "المفكر" وهو يطرق برأسه ويتكئ على قبضته..تنزهت في حدائق "توليريه" ومماش "بارك مونصو"،

وجبت شارع "لا ريفولي"، واحتسيت الشوكولا الساخنة في "كافيه كلوني " بالحي اللاتيني وتربعت على بساط مكتبة "لو فناك" بين أرفف الكتب أقرأ ...

حين ودعت غرفتي المطلة على الفناء الداخلي بالحي السابع، إلى شقة بالحي الثامن عشر حيث ينشر النهار أشعته ويدغدغ جدرانها ويبلغ المطر عن هطوله، حيث هضبة منمارتر ورساميها وموسيقاها، كنت قد قررت ارتداء روب المحاماة الأسود تتدلى من خلفه قطعة من فراء الأرنب .

رافقتني هذه المرأة بقية سنوات حياتي...حرصت أن أزور الهند، أن اكتشف معابدها وأسواقها ومدنها وأن يعدو بي حامل "الريكشو" في أزقتها كما فعلت بي ذات يوم في سيارتها الفولكس الخضراء.

باريس 27 نوفمبر 2018

حذاء كازابلانكا

إبراهيم عثمونه

ما زلت أذكر ذلك اليوم وأنا أمشي في شوارع كازابلانكا بصحبة صديقي المرحوم "خالد بن سلمه" حين انسلخ كعب الحذاء الذي انتعله. خرجنا مساء من معرض الكتاب وانعطفنا على اليمين وأخذنا الشارع الفاصل بين المعرض والجامع الكبير (أظن اسمه جامع الحسن الثاني)، مشينا مسافة حين وقع كعب الحذاء وضحك خالد وقال لي هذا هو حال مَن يترك المقولات ويتبع الكتب والكتابة. رفعتُ قدمي اليمنى التي صارت بلا كعب وأوقفنا تاكسي ليضعني عند أول محل أحذية، وهناك تركتُ القديم واشتريتُ هذه الماركة الجيدة التي صمدت حتى اليوم.

أخبرتُ خالد وقتها بأن الأحذية هي أيضاً لا تعلم الغيب ولا تدري بأي أرض تمشي ولا تدري بأي أرض تموت. إذ ماذا يا خالد لو أن رجلاً أوربياً سبقني واشتراه وذهب به ثم جئتُ أنا واشتريتُ حذاء آخر! عندها – على الأقل– سوف يمشي هذا الحذاء بأرض أخرى فيها أرصفة وعشب، وعندها سوف تنتعله قدم أخرى لا تركل العلب الفارغة ساعة تغضب. ليس في هذا الحذاء الكثير اليوم، صرتُ مؤخراً أجد فردة منه وقعت خارج دولاب الأحذية ولا أعرف إن كان مَن في الداخل طردوه أو دحروه أم أنه ينتظرني، وكنتُ أمسحه بكفي وانتعله وأمضي به إلى الرملة .

ما عاد يصلح للخروج أمام الناس. تآكل وشحب لونه، وصرتُ أظهر به فقط في المساء للرملة. أخلعه على أطراف الغرد وأمضي حافي ثم أعود بعد المغيب أجده رابضاً ينتظرني في مكانه. أعرف أن منظره حتى داخل دولاب الأحذية بات غير مقبول، وأعرف أن طفلتي "نور" التي ما انفكت تسألني هل تضعه في البرميل؟ وكنتُ أجيبها أنه ما زال به عام آخر –

أعرف أنها قد ترميه يوماً دون إذن مني. لكن لا أعرف لماذا يراودني شعور أن الأحذية ليست كالبنطلونات والقمصان وحتى ليست كساعات اليد التي نقتنيها .

الأحذية شيء آخر يقودنا ونمشي به وينعطف بنا على اليمين أو يمضي ولا ينعطف، أما البنطلونات والقمصان والساعات أشياء نقتنيها ولا نمشي بها ولا حتى تدري هذه البنطلونات إن كنا انعطفنا بها على اليمين أو على اليسار. مثل هذا الشعور تضخم أكثر مع حذاء كازابلانكا يوم صرتُ أشعر أن على مقدمة هذا الحذاء معقود أمل كبير حتى وإن تآكل اليوم وما عاد فيه الكثير.

بعد غياب دام طيلة شهر رمضان عدتُ قبل يومين أو ثلاثة للخروج –كما هي العادة– إلى الرملة صحبة كتاب في المساء.

كنتُ أعلم أن هذا الانقطاع سيكون له أثره، وأعلم أن القراءة ليس فقط عادة بل هي ايضاً لياقة كما الرياضة، وأعرف، ولم أفاجأ حين بدا واضحاً على جسدي الكسل وانعدام الرغبة في القراءة والهروب بعيداً عن صفحات الكتاب فلم أقرأ يومها سوى صفحتين ثم وضعتُ الكتاب جانباً وصرتُ أتتبع خنفسة جاءت وأخذت دورة كاملة حولي وذهبت. جاءت بعدها خنفسة أخرى أصغر حجماً وجاء طير يطارد أنثاه ووقفا على جدع نخلة تقوست وماتت منذ أكثر من عشر سنوات .

أنا طبعاً لا أعلم لماذا لا يقع النخيل بطوله كعمود كهرباء على الأرض ويموت، لماذا أكثره يتقوس ويفرش ضفائره على التراب ويموت؟ ولماذا يأتي الطير ويقف على هذا القوس؟.

كنتُ أنوي أن أتعمق في تفكيري لماذا يفرش النخيل ضفائره على التراب قبيل الموت بأيام كما لو أنه نساء تندب؟ هههههه ضحكتُ بعدها بصمت أسخر من نفسي. ومن هذا الهراء الذي لا معنى له !

صرفتُ الهراء عن بالي ولم أتحرك حتى لا يجفل الطير، وتسمرتُ تماماً في مكاني أنظر له ولم أحرك حتى أصبع قدمي حتى لا يشك في أمري، في حين طفقت الانثى تنظر أكثر وتعود وتنظر إلى ذكرها، قلتُ في نفسي، لحظتها، لا بد أنها تتساءل إن كان هذا الرجل حياً أم ميتاً؟ وقلتُ أيضاً أنها ستقول أن هذا الرجل، هو الآخر، ربما يكون مات كما النخيل هنا.

أنا أعرف أنثى هذه الفصيلة من الطيور وحتى أحبها أكثر من كل طيور "سمنو" القرية الملقاة بالجنوب. هذا النوع من الطيور هنا يظهر أكثر في المساء ونسميه "التبير" وليس "التيبر" فالتيبر طير آخر

لكن هذا له ذيل طويل يترك أحياناً أثراً خفيفاً خلفه ساعة يجري، وله صوت أيضاً طويل يرسله برتم ثابت لأخواته، لكن هذه الأنثى وذكرها استخدما أمامي لغة الإشارة وهما ينظران لي ويعودان ينظران لبعضهما، وربما الآن سيبكيان حين يظنان أنني متُّ من العطش كما النخلة التي يقفان فوق قوسها، وأغلب الظن أنهما سيلعنان فكرة النهر الصناعي الذي أخذ الماء وذهب به بعيداً عنهما وعن النخيل إلى حدائق ومحطات غسيل السيارات في طرابلس.

فضة التين

عبدالسلام سنان

لأفيون الليل شيءٌ من السِحر، ممسُوسًا بصُراخ الخدر، على ناصية الروح، يُصفّدُني بأغلال التوحّد فيكِ، سأرسمكِ الليلة بريشةٍ من أصدافِ قمرٍ أحمر، ملامح ملاكٍ تعكسُ ما بخافقي من شجن، على ثقوب الناي البدوي، سأعزف لكِ مقامًا ساحرًا، يا أعذب الشوق، لقد بعثرتِ سكينتي وشاخ فيكِ اصطباري، أرهقني نرجس بُعادكِ، وحيدًا في غياهبِ الجُبِّ، مُبلّلٌ بالياسمين، أرنو إلى غيْمكِ، يقذف المساء أريجه في شُرفتي، يستوي على أريكة قصائدي، يشنّفُ أذنيه إلى معزوفات الريح، ينتشي رائحة قهوتي الخالدة، يمحو الوجع من هيكلِ دفاتري العتيقة، توثق تجاعيد السنين، تُذيبُ خرافة الزمن اللعوب، سأصومُ عن فتاتِ الأحلام المُلوّنة، الليل يستعيرُ زعفرانه من شفتي المساء القاني، شهوة التين تلسعُ رعدتي، كرعشةِ نهدٍ، تؤزهُ أصابع المطر، يركضُ نافرًا يقضمه العناق الأعمى، عُواء يصهلُ في خمرة الروح، على أريكة المساء، أدشّنُ حقل زنابقٍ تنضجُ على شفةِ الارتواء، ثوب المسافة الزاهي وصوتكِ الأرجواني الموغل في أرجائي، لا زلتُ أحلمُ بغدكِ الوفير، بُحّتُكِ مثخنة بقداسة الضوء، اللاهث للون العُري، أنّى لي أن أعيد رتْق مسافاتكِ بخيطِ شوقي؟ حتى وإن غرزْتُ خِنجري في خاصرة التنائي، فلن ألحق بسفينتكِ لأرحل معكِ بعيدًا عن كون الضجيج، مُهاجر أنا في عُمقِ ارتحالكِ الأبدي، أرمّمُ أجنحة الأحلام، أشاطركِ الحنين وكسْرة خبزٍ أسمر، أدنْدِنُ لموّال الريح، أقطفُ لكِ بتلة حبقٍ ونعناعٍ أشقر، من شفةِ مطرٍ طفولية، ألْضُمُ قلادة ليلكِ الأحمر، أغريه بفاكهةِ مواسم الضوء والخصوبة، ليرقص على قافية إلهامي ويروي عطش أنهاري، أنفخي في جذوة اشتعالي، لملمي فجركِ المتثاءب عياءً، آهٍ لو تدرين كيف توسّد قلمي النازف أعماقكِ، لقد شيّدتُ في قلبكِ ألف قصيدةٍ ومدينة للتفّاح وعرائش

عنبٍ أحمر، إجلسي- يا سيدتي على بابِ شرياني، فأرائكُ انتظاري الوثيرة معبأة بالساعات العتيقة، نسيت كل الأزمان والدهور الفلكية، أرهقتها عربات الريح العتيدة، على مشارفِ أحلامي العذراء، أبحثُ عن ملح الحنين، وخيال الأفق شاسع بلا فوّهة، سأهشّمُ هيكل المستحيل، لأرمم لغة النمش المشاغب، تفوحُ رائحة قصيدتي النزقة، يفجؤها الغثيان وزرقة الاشتهاء الفاقعة، همساتي ترتقي عبر معارج بوحي، إلى شرفة أنداءكِ الأريجية، هذا قلمي لم يجفّ حبره مُذْ صادفتكِ أول مرة، إنه لكِ في أول عيدٍ هدية، خبئيها عن عيون الترقب والتوجس، إنه قلمي يتوهّج بالمعنى، أستلقي بين أكناف ظلّكِ، أكتب من غيبِ سحرٍ ماطرٍ حرف ثمالة، من فضّةِ التين.

الشتاء

عبدالسلام العجيلي

الشتاءُ يبلغُ
سِنَّ الغي
يخلعُ آخرَ ثيابِهِ
وعارياً يُطوِّقُني
يملؤني
ظلاماً وعواءً
ولا يزيدني
إلا رهقاً
ألوذُ بِعصافيرِ الشعر

أُطاردُ
القصائدَ الجافلة
مِنْ بردِ الجدران
وكسل التلاميذ

وضيق الموسيقا

بِالأجسادِ التي

جعَّدَها

الرعب

وخضْخَضَها

الرصاص

أهربُ

في معراج عجول

إلى سماء

شاسعة

وناعمة

ومولعة

بِمرحِ الأصدقاء

حين يختلطُ

التبغ والضحك والبكاء

وطاسات

الشاي الأحمر

وهي تُصعِّدُ

بخار زعترِها الجبلي

إلى العيون التي

خذلتْها المواقيت

فأسدلتْ غاباتها

على ما تحجَّر فيها

وألقتْ

ما فيها وتخلَّتْ..

ملهمة الريح

عبدالله زاقوب

دونك الأرض ماحلة
السماء مقفرة..
بين مفاصلها تلهث الريح عطشى.
دونكِ المقامات عاجزة
عن البوح، قاحلة...كالسراب
تنهشها الغربة، الناي،..
تدثرها عباءة الصمت.
فيا ملهمة الريح
نزع الصدى.. عفو الكلام
بداهة البوح
رشي خلاصة عطركِ
على سمتنا،
نخب بهجتكِ..
على راحتينا.

هون: 15 .8 .2017

مرارة

المهدي الحمروني

ليس لي رأي آخر

حول عناقك المحال

هناك..

حيث قُطِعتْ سُرّتي

أنجذبُ إلى أعلى

أُهَوِّمُ بلا جناح

إذ ليس ثمة يقين أصدق

من ضفاف سرابك

وحقيقة أجلى من مرارة انحسارك

هكذا أناوش الخيال في قفار

الصور بعدك

فلقدومكِ.. !!

لي شعائر خاصة

من طقوس

كصلاة استسقاء سقطت سهواً

عن ذاكرة السنن

ليس لضعفها.. !!

ربما غيّبتها صراعات المذاهب

لكنني أُحييها بفرض كفايتي

في ليالي الأرق الطوال

التي تزهد في العناقيد

وتبيت على الطوى وملح الدمع

لأن كوكبك مقتّر السفور

بقسوةٍ وفظاظة

لكني لا أنفضُّ عن ترقبه

بقلبٍ شاخصٍ

وبانتظارٍ متصوفٍ وورع

أحتاجك لما يقدح الحياة في جمر الشعر

ولما ينفخ الروح في ناره

لأن اشتعال موقدك ضوءٌ لقصيدٍ يلتهم برد الأماسي

واختزالٌ لشرٍ حاشدٍ من

خواطر ومضِ الكلام

ليتك تقنعين بحقيقة انك

محور الزمن

وهوية الأمكنة

حين تتحقق الآونة من نفسها بك

والخطى من رسومها

والظلال من مواطئها

وأنك تحيلين الأشواق الى غيلان

تنهش العظم

والمفردات إلى حدائق تنبت الاشتقاق

ويزهر المجاز في وحشة المعنى

إلى مقام

ضوءك

31 تشرين الأول 2018م

غابات كثيرة تمشي في أحلامي

ميثم عبدالجبار - العراق

غابات كثيرة تمشي في أحلامي
وأطفال يحملون مشاعل
برؤوسٍ صغيرةٍ تهتزُّ كقطيعٍ من الخراف.
شُعراء بلا أعين يستدلون بالقصائد على الفراغ.
نساء أعرفهن، يبكين بحرارةٍ
بعدها ينشغلن بالحديث والوشاية.
لاأعرف الجبال، ولم تنشأ بيننا صداقة
فأنا في هذه المدينة منذ زمن
أحصيتُ خمسة محال لبيع الزهور الصناعية،
ومقبرة كبيرة.
ووحشا يطلُّ على الناس
داخلاً بيوتهم من المذياع أو التلفاز أو المنائر!

كلّ ما أردته كنتُ أرويه لطفلتي قبل النوم
بيتٌ من الخشب،
نهرٌ نصاحب فيه الأسماك ولا نصطادها

قطيع وعول يجيء مُسرعا بالغروب.

كل ما أردته امرأة تسير بجانب حصان

تحمل في يدها زنابق برية

وتطير، من ضحكتها؛ كلّ فراشات العالم.

بمَ تحلم الأبواب

أحمد ناصر قرين

أضرمتِ من عبق الدموعِ منامي
ورددتِ لي مافات من أحلامي
يا مدّ بافذةٍ يهاجر عبرها بابي ويحرسها رتاج كلامي
أعدو وراءكِ ألتقي ظلاً يطرز غيمه بين الحفر
أعدو تداعبني الإبر
مالي يعفرني الندى,
أصحو فيطمرني المدى,
أبكي ويرشفني الصدى
مالي؟
مالي تراوغني عظامي؟

سأراكِ يوماً تغمسين أصابعي في الحبر عطراً يُرعش الأوراق
وتظل أهداب الغيوم طليقةً تمضي مواسمها عناق
وفترت لي أفقاً وثيرا
ومنحتِني جرحاً وفيرا
أرتقيه بلا اختناق

ذكرت حميم أوجاعي , ذكرت غنائم العشاق

تفض فضاء صومعتي , تصوغ ملامح المحراب

ياألف كفٍ أزهرت في ألفِ باب

يرتجُ في أنفاسها نبضُ الغياب

يابوح نافذةٍ تسامر ألـف باب

سهرت ليلك

علي الجمل

أسْهَرْتَ لَيْلَكَ رَابِضاً وَجِسا
تُبْرِي الجُفُونَ وَتَقْدَحُ النَّفَسا

تَستَلُّ مِنْ مَاضِيْكَ ذَاكِرَةً
وَتُحِيكُ مِنْ جَفْنَيْكَ مَا اختَلَسا

هَذِي مُنَاكَ بِنَزْفِهَا سَكَنَتْ
شَطَحَ الخَيالُ بِقُرْبِهَا وَرَسا

مَازِلْتَ تَحْمِلُهَا عَلَىْ وَهَنٍ
سُقْيا لأيَّامٍ غَدَتْ دَرَسا

أوْمَا السُكُونُ إِلَى سَرَائِرِهَا
فإذَا النَسِيْمُ بِشَجْوِهَا هَمَسا

قَدْ عَافَ سُهْدَكَ طَيْفُ هَاجِرَةٍ
وَبَقِيْتَ تَرْقُبُ يَائِساً غَلَسا

وَزَفـَرْتَ مِـلءَ البـَوْحِ قـافِـيـةً
فِيْ كـُلِّ بـَيْـتٍ أوْقـَدَتْ جـَرَسـَا

أوْدَعـْتَ طـَيَّ سـُطـُورِهـا حُـرَقـاً
فـَجـَرَى رَوِيٌّ بـُحـُورِهـا قـبـَسـَا

كـَانـَتْ لأشـْوَاقٍ مـُنـَاوَرَةً
مـَا زَاحـَمـَتْ وَلِـعـَبْـرَةٍ حـَرَسـَا

وَلـَكـَمْ تـَنـَزَّلَ بـِالـهـَوَى وَلـَعـاً
نـَبْـضٌ لـَهـا كـَالمـَارِدِ انـبـَجـَسـَا

نـَظـَمْ حـَلا وَقـَصـَائِـدٌ عـَبـَقـَتْ
صـَفـَحـَاتـُهـا صـُبْـحـاً بـِهـا وَمـَسـَا

يـَمِّمْ فـُؤَادَكَ شـَطـْرَ أحـْرُفِـهـا
فـَعـَسـَاهُ يـَقـْنـَعُ بـِالـحـَنـِيْـنِ عـَسـَى

سبع حفريّات شعريّة

الاسعد الجميعي - تونس

أحفر هنا أعمق ممّن أبدعوا
آلهة على مقاس خوفهم من خوفهم ..
للحجريّ ما شكت ريح الصّبا
عواصف البدء مزامير الصّدى
أبكار دندنات أوتار الهوى ..
ما الشّعر إلاّ نبرات الذّبذبه

احفر هناك بعد نهري دمعها
بسبع أقراط الأميرات اللّواتي ختّها
لأنّ قلب شاعر أعمى رأى
سرّ الشّذا في عطرها شرق الملك ..
يا لوعتي زهرة روحي علّقت
ما بين ' بابل' وسماء متعبه

احفر بأعلى الحلم غرب الملحمة
إلياذة اللذّات والذّات استوت ..

لعلّ ' هوميروسها' لم يرتو

من خمرة 'الأولمب' ليبكي الآلهة

وهم 'أخيل' خارج النصّ بلا قيثارة ..

والأغنيات دون شعر مجدبه

احفر بعيدا عن مسلّة المديح المخملي ..

ها هم فحول الشّعر خلف الشّرفة

ها هم يضيئون كهوف الغربة

ها هم يعضّون على الجمر الشّهي ..

من أخطؤوا درب البلاط اللّولبي

من سلكوا طوعا صراط المسغبه

احفر وراء هوس تيه ' الجرهمي '..

منابع الشّعر صحاري المنهل

حيث القصيدة التي لا تنسب

إلاّ لجنّي أو لمجنون صحا ..

حيث يعيد الشّعر ما رمل محا

ليلثم النّحل رحيق التّجربه

احفر قريبا من نبيذ المشنقه

لم يترنّح ساحر المعنى سدى ..

لم يتبرّأ من قصيد التّهمة :

"إفراط عشق للإله أو لأنثى أو وطن"

ها هو شاعر الأعالي في الذّرى

ها هو يعلو فوق دود الأتربه ..

احفر جنوب الرّوح صوب القافية

احفر شمال القلب في ضلع الرّوي ..

احفر لتبني سلّم البوح القوي

واصعد سماوات المجاز العالية ..

لن يمنح الشّعر مفاتيح النّدى

إلاّ لمن صيغ بنار الموهبه ..

حي الرّسالة بمرناق، فيفري 2016.

في انتظار القافلة...

إبراهيم مسعود المسماري

قلبي على بابِ الرجا مفـتوحُ سِجني وقيدي والأذَى تسـبيحُ
ألفيتُ في ذاكَ البلاءِ سعادةً إنّ البـلاءَ . وإنْ قسا . لمريـحُ
ياويحَهُم قدُّوا قميصَ طهـارتي مَكْـراً ، ولكنْ مَكرُهُم مفضوحُ
قـدّوهُ مِن دُبُـرٍ ويا لَغبــائِهم لم يفطـنوا أنّ الدليـلَ صريـحُ
الجـبُ ضـاق عليَّ أظلمَ قاعُـهُ لكـنَّ ظني بالنجـومِ فسـيحُ
فعلى امتدادِ الضيقِ يبدو في المدَى بدرٌ بليـلِ اليائسـينَ يصيحُ
في داخلي يلدُ الضيـاءُ منارةً تومي فيفـرَحُ تائـهٌ وكسـيحُ
أرواحُ من تاهـوا تُحلّـقُ حولَها والنورُ فوقَ جباهِهِم مسفـوحُ
تلك الفراشـاتُ التي احترقتْ بها بُعِثتْ وعادتْ تغتدي وتروحُ
لمّا ادلهَمَّ السجـنُ أشرقَ في الدُجَى نـورٌ على تلكَ البطـاحِ يسيحُ
في وجـهِ ذاكَ الليلِ يُشهِـرُ شمعةً فالفجـرُ يضحَكُ والظلامُ ينوحُ
ومضى رفيقُ السجـنِ يسقي ربَّهُ خمـراً ، ويفضَحُ سرَّهم ويبوحُ
وإذا العِجـافُ السبعُ يأتي تلوَها خِصـبٌ فرائحةُ الحقولِ تفـوحُ
في لحظـةٍ ألقَى البشيرُ قميصَـهُ فارتدّ لي بصري بهِ ، والروحُ
أخرجتُ رأسي في انتظارِ بشارةٍ فإذا بقافلةِ العـزيزِ تلـوحُ

محنة موسى بن نصير

أمير الحلاج

خطايَ تمدّ لأندلس الرغباتِ التي لم يكن ومضُ حلمٍ،

يراودُ أخيلةَ المنتشين بحمّى الصليل،

لقصِّ الشريطِ ،

نمت رِعدةٌ في فؤاد الخليفةِ ،

وهو بقارورةٍ حجَّمَت بابَ طلَّته.

ليسَ من حالةٍ حقَّقت وقعها

حيث أني تفوَّقْتُ شمسًا،

سطوعًا طغت سيرتي،

فالرواةُ بألسنهم أوقدوا الكلماتِ،

فحُجِّمَ ومضُ السراجِ المهيمنِ في غرفةٍ

تتضوَّعُ منها الخرائطُ ،

بين الصوابِ ،

وبينَ التذبذبِ في قوَّةِ الأمرِ.

إذ كنتُ أدركُ ما يتساقط من كيلِ مدْحٍ،

هو البابُ يرشدُ نحوي السهامَ ،

ويرشدُ نحوي الحبالَ المُعَدَّةَ ،

أن ترتوي من طهارةِ عنقي،

ومن وارثٍ قامةً تسلِمُ الجوفَ،

لكنها تخلعُ العشْبَ ،

كي لا يطاوع ما تبتغيهِ الرياحُ،

فيقطف قبلتها المستبدَّة أن يُشِرقَ الإنحاءَ،

ترى ما نسطِّره من صباحاتِ أحلامنا،

محضُ وهمٍ سعت غايةٌ أن يكونَ،

أمِ الحكْمُ نزوةُ حالٍ ،

أتى كرةً

قدمٌ قدَّمت مستقَرَّ تموضعِها المستكينِ،

لنُمْطَرَ ما يحصد الليلُ أحلامهُ،

والمظلاتُ في الصبحِ تبدعُ تفسيرَ أبوابِها ؟

لم تكن غايتي تستفيقُ الإزاحةُ فيها،

ولا بيدقُ اللعبِ أُزرِقه لفظةَ (الكشِّ،

تهديدَ مسندهِ،

أو ظلامَ الختامِ

أعلِّقه غيمةً هي طغراء رقمِ البيانِ الجديدِ،

فيا عينَ ذاتٍ تقودُ الدروبَ،

أعدي لها مركزًا ربَّما لا نوافذَ توصلُ،

ما دامَ رحْمُ الأبوَّةِ أذرعُهُ تنعشُ القلبَ بالقبلات،

لأنِّيَ آليتُ أحيا برقَّةِ روحٍ،

وصخرةِ جسمٍ أبى أن يفتته السيفُ والمنجنيق،

فما بالُ كفِّ الخليفةِ

أرضًا على سطحها تُورَقُ القببُ الآوية؟

الفصـــل الخامـــس

سلمى جبران - فلسطين

وطني رجُلٌ حُرٌّ

وطني إمرأةٌ حُرّه

وطني أُنشودةُ عِشقٍ

وطني روحٌ

تتخطّى كلَّ الدُّنيا

وتُخفِّفُ أحزاني

وطني صيْفٌ وخريفٌ

وشتاءٌ وربيعٌ يرقى

وطني يتعالى فوقَ فُصولِهْ

وطني في الفصْلِ الخامِسِ موقِعُهُ

وطني يحضُنُني أحضُنُهُ

وطني لا يعرِفُ حَدًّا

لا يأْبَهُ بمكاني

لا يعبأُ بزماني!!

من: "أنّات وطن" - 2018

ضِفَّةُ الْفُصُولِ الآتِيَاتِ

غادة البشتي

نَامِي بِعُيُونِ الْبَرْقِ..

وَجِيئِينِي...

نَارًا.. تَعْبَثُ بِالَمُسْتَحِيلِ

أَلَمًا كَثِيرًا يَقْطَعُ حَبْلَنَا السرِّيَّ

عَمَلاً كَبِيرًا يُوَرِّطُ وَعْيَنَا

فِيكِ.. فِينَا، فِي غَبَاءِ غُرُورِنَا

امْنَحِينَا فُرْصَةَ صِنَاعَةِ صبحٍ لَنَا

أَقْنِعِينَا بِأَنَّكِ شَجَرَةُ الزَّيتُونِ

كُلَّمَا شَقَّ عَلَينَا قَضْمُ التُّفَّاحِ

نَامِي فِي عُيُونِ الْبَرْقِ..

قَصِيدَةً تُؤَكِدُ أَسْمَاءَ الْحَيَاةِ

شَمْسًا تَشْتَعِلُ بِكَفِّ الْمَاءِ

عَلَى ضِفَّةِ الفُصُولِ الآتِيَاتِ

تَكُونِينَنَا عُنْوَانًا لِلْكَلامِ

بَيْنَ ارْتِشَافَاتِ ضَجِيجِ الْخُطَا

فَنَدْعُونَا كُلَّنَا لِلرَّحِيلِ

خَلْفَ انْفِلاتَاتِ العُرِيِّ

لِنَهْبِطَ سَوِيًّا مِنْ جَدِيدٍ

مِنْ كُؤُوسِ فِكْرَةٍ وَاضَحَةِ البُطُولاتِ

وَنَضَعُ هَيَاكَلَ الْمَسَافَاتِ الْجَدِيدَةِ

لِيَتَّسِعَ الْحُبُّ لَنَا وَلَكِ..

مشاركة ليبيا في اليوبيل الذهبي لمعرض القاهرة للكتاب

تعقد خلال الفترة من 22 يناير إلى 5 فبراير 2019، فعاليات معرض القاهرة الدولي للكتاب، والذي يحتفل بيوبيله الذهبي، والذي تحل فيه جامعة الدول العربية كضيف شرف.

هذا أنهت الهيئة العامة للثقافة الترتيبات النهائية لمشاركة ليبيا في هذه الدورة، حيث التقى وفد الهيئة خلال زيارته للهيئة المصرية للكتاب، مع "إسلام بيومى" مديرعام المعارض بالهيئة المصرية العامة الكتاب، وجرى بحت تفاصيل المشاركة الليبية في هذا الحدث الثقافي الهام، وقد تم حجز 24 مترا للجناح الليبي في القاعة الرئيسة الرسمية للمعرض، و72مترا مساحة مفتوحة للبيع للهيئة والمؤسسات الحكومية ودور النشر الليبية، تحت اسم (دولة ليبيا)، بالإضافة إلى تضمين برنامج النشاط الثقافي في البرنامج العام للمعرض.

وحضر اللقاء عن الهيئة، كل من الأستاذ "علي عوين"، رئيس اتحاد الناشرين الليبيين، والدكتور "خليفة الحامدي" مستشار شئون الإعلام بالهيئة، فيما حضره عن الجانب المصري، كل من الدكتور "شوكت المصري" رئيس اللجان الثقافية بالهيئة، و"نانسي سمير" مدير عام إدارة العلاقات العامة والإعلام.

المشاركة الليبية في هذا المعرض ستكون مميزة، من خلال ما تم تجهيزة من عناوين، وما تم من تنسيق بين دور النشر الليبية المشاركة، حيث قامت الهيئة العامة للثقافة، بإصدار مجموعة من الكتب، والتي ستكون ضمن جناحها بالمعرض. كما قامت مجموعة من دور النشر بالتجهيز لمشاركتها في هذا المحفل المميز

بمجموعة من الكتب والإصدارات التي طبعت بهذه المناسبة.

كما ستكون مجلة الفصول الأربعة حاضرة من خلال العدد 119، والذي سيكون ضمن معروضات دار البيان للنشر والتوزيع والإعلان.

وتقدم الهيئة العامة للثقافة، 300 إصدار جديدًا، بالإضافة إلى مئات العناوين المختلفة من إصداراتها السابقة، وإصدارات دور النشر الليبية، وتستعد الهيئة لإقامة عدة نشاطات ثقافية هادفة وشاملة ومتنوعة تمثل كل الفعاليات الثقافية طيلة أيام المعرض وهي كالتالي:

الخميس 31 يناير، الساعة 2، قاعة البرنامج المهني: ندوة عن تطور حقوق الملكية الفكرية وإثرها في الإنتاج الثقافي والإبداعي الدكتور جمعة الزريقي، الدكتورعبد الجليل خالد البرعصي، الدكتور ضوء غميق.

الخميس 31 يناير ندوة كتابات الشباب في ليبيا؛ الدكتور فوزي حداد، عبد الله زاقوب، محمد عقيلة العمامي

يوم الجمعة 1 فبراير: الساعة 7 مساء، ندوة عن استلهامات الثقافة العربية في عصر ثقافة العولمة؛ الدكتور محمد سعيد محمد، الدكتور سليمان حسن زيدان، الدكتور عبدالعزيز الصويعي، ابراهيم عثمونة.

الجمعة 1 فبراير، الساعة 5 قاعة ضيف الشرف : عن أدب الطفل في ليبيا (الطفل العربي نحو الريادة) الدكتور عبدالحميد عامر.

المشاركة في الأمسيات الشعرية لشعراء ليبيين الأحد 25 يناير، الثلاثاء5 فبراير: الشاعر راشد الزبير السنوسي، الشاعر الدكتو رعبد المولى البغدادي، محمد الدنقلي، سالم الامام، صلاح أعبيد، عبد اللطيف محمد المهدي، عصام الصابري.

إقامة حفلات توقيع ومناقشة لعدد من الإصدارات الجديدة للهيئة العامة للثقافة وبعض دور النشر الليبية منها: نوارة كرواط (كتاب الحماية الجنائية لحقوق الطفل). الدكتور إبراهيم أبوخزام كتاب (المحافظون الجدد). الدكتور سليمان حسن زيدان كتاب (المؤتمرات التراثية في الإبداع الشعري في ليبيا). الدكتور فوزي حداد كتاب (لقصة القصيرة النسائية في ليبيا). الكاتبة والروائية عائشة إبراهيم رواية (حرب الغزالة .(

وعروض لفرقة الفنون الشعبية التراثية المشاركة في المعرض.

الجدير بالذكر أن معرض القاهرة الدولي للكتاب هذا العام يحتفي بمرور 50 عاما على إنشائه، ويعد من أكبر وأهم معارض الكتاب في العالم العربي ويقام لأول مرة في مركز مصر للمعارض الدولية بالتجمع الخامس بالقاهرة الجديدة، وتشارك فيه 35 دولة، و1237 ناشر عربي واجنبي.

وسيضم أربع صالات عرض كبيرة تصل مساحة كل صالة إلى 10000 متر، وينظم احتفالية خاصة تحت عنوان "ذاكرة المعرض" وتضم الدول التي حلت في دورات المعرض المختلفة "ضيف شرف"، كما يقدم الصالون الثقافي مجموعة من ندوات يشارك فيها أكثر من18 دولة و400 مدعو.

وسيشهد المعرض مشاركة نحو 200 شخصية أدبية وفكرية من مختلف دول العالم، منهم الحاصلين على جوائز البوكر ونوبل، وسيتضمن العديد من العروض الاستثنائية على مستوى المسرح، وفرق الموسيقى العربية، والكثير من الأمسيات الفكرية لأدباء عرب وأجانب.

مكتبة طرابلس تحتفي بالكتاب والكاتب

بقاعة فرحتي، بمدينة طرابلس، أقامت مكتبة طرابلس العلمية العالمية، صباح اليوم، احتفاليتها التي خصصتها لمنشوراتها للعام 2018م، والتي سعت من خلالها لترسيخ العلاقة بين الناشر والمبدع والقارئ.

بعد الاستقبال، بدأت فعاليات الاحتفالية بكلمة الأستاذة "فاطمة حقيق" صاحبة المكتبة، والتي أكدت فيها على أهمية دور الكتاب كمرتكز ثقافي للمجتمع، بالرغم من الصعوبات التي والأزمات الاقتصادية التي تعيشا ليبيا، كما وتقدمت بالتهاني بحلول العام الميلادي الجديد، الذي أعلنت فيه مجموعة من الأخبار المهمة، تهم الكتاب والمبدع، حيث سيشهد العام القادم وصول نسخة الترجمة الفرنسية من ديوان (الحلم)، للشاعر "عمر عبالدائم"، وإصدارالطبعة الثانية من رواية (النص الناقص) للروائية "عائشة الأصفر"، وأيضاً إصدار المجموعة الشعرية الأولى للشاعرة "هناء المريض".

من بعد انتقلت الكلمة إلى الكاتب الشاب"محمد التليسي"، كونه أصغر المواهب الشابة التي احتضنتها مكتبة طرابلس،وأصدرت له (فيرينا). لينتقل ناقل الصوت إلى الشاعرة "حنان محفوظ" لقراءة رسالة الدكتور "إبراهيم أبوخزام" الذي نقل تحياته عبرها إلى الحضور، وشكره لمكتبة طرابلس لجهدها من أجل نشر الكتاب والثقافة، والتي صدر عنها كتابه (المحافظون الجدد).

جاء الوقت الشعر، حيث كانت البداية مع الشاعر"محمد المزوغي" ونصه المميز "لا وقت للكره"، لتتلوه الشاعرة "هناء المريض" في قراءة لمجموعة من نصوصها الشعرية.

تحت عنوان (المحافظون الجدد..كتاب الهروب إلىالأمام) جاءت قراءة الكاتب الصحفي "جمال الزائدي" في كتاب الدكتور"إبراهيم أبوخزام"، والتي أشار إنها مقاربة أكثر منها قراءة، وقد صدرت

بصحيفة (ليبيا الإخبارية)، وعلى موقع الأيام.

وعلى أنغام الفنان "شوقي الغريب"، أعلن بدأ توقيع إصدارات المكتبة، التي أتيحت بتخفيض وصل إلى 25%، حيث جلس إلى طاولة التوقيع:

الشاعر "محمد المزوغي" لتوقيع إصداريه؛ لا وقت للكره، والعارفون.

الدكتور "محمد الخازمي" لتوقيع إصداره؛ قشر التفاح.

الكاتب "سراج هويدي" لإمضاء روايته (روبيك).

الكاتب والإعلامي "يونس الفنادي" لإمضاء كتابه النقدي (إبداعات أردنية في قراءات ليبية).

الكاتب "محمد التليسي" لتوقيع إصداره البكر (فيرينا).

الهوية الليبية بين السذاجة والوهم

متابعة: ناصر سالم المقرحي

في إطار الأنفتاح على كافة صنوف الإبداع الثقافي وبعد أن طرحت الجمعة الليبية للآداب والفنون ضمن أنشطتها المتتالية عديد الموضوعات المتعلقة بالمسرح والفكر والفن التشكيلي والتاريخ والشعر والنقد الأدبي واحتفت بمبدعين كبار أثروا حياتنا الثقافية، ها هي اليوم تنظم محاضرة بعنوان "الهوية بين السذاجة والوهم" للدكتور المُحاضر محمود ابو صوة، في سياق خطتها الموضوعة للنصف الأول من الموسم الثقافي لسنة 2019.

الهوية، هذه المفردة وهذا المكون المعنوي الذي تناوله الفلاسفة والمفكرين منذ فجر التاريخ، ولا زال حتى اللحظة محط اهتمام ونقاش وأخذ ورد، هو ذات الموضوع الذي اختار الدكتور ابو صوة أن يناقشه كفكرة لها انعكاسات جوهرية وجذرية على الواقع التاريخي والسياسي والمستقبلي فيما يخص ليبيا تحديدا في محاضرة احتضنها فضاء دار حسن الفقيه حسن بحضور جمهور غفير من المثقفين والمهتمين من اصدقاء الجمعية فاضَ عن مساحة القاعة المخصصة لإلقاء المحاضرة.

أفتتاح المنشط وإعلان البدء في مراسمه وفقراته كان بالكلمة التقديمية والترحيبية المقتضبة التي تلاها علينا الأستاذ رضا بن موسى الذي عرّف بالباحث من خلالها تعريفا مختصرا عدّدَ فيه بعض دراساته القيمة في المجالات السياسية والتاريخية والفكرية واستعرض بعضا من كتبه التي ألفها في هاته المجالات، كما استعان بفقرات من مقال للكاتب أبوالقاسم الككلي للتعريف أكثر بالباحث.

وبتوسع وباستفاضة وبعمق يستند إلى منهج علمي صارم ودقيق، أو هكذا تراءى

لنا، تناول المُحاضر هذه المسألة الشائكة، لناحية ارتباطها بالمكون الجغرافي الذي لا تتأسس أية هوية بدونه، ومن هذه الفكرة انطلق في تحليلاته المعمقة وطرح أسئلته التي تُسهم في مقاربة هذا المفهوم الذي يحتاج إلى بحث ودراسة من قبل المختصين ومراكز الدراسات الأستراتيجية باعتبار أن مسألة الهوية تتخطى كونها مجرد توصيف أو إطار للكيانات إلى مسألة وجود واستقرار، وبعد أن تطرق إلى مسألة الهوية في إطارها وبُعدها العام وعلاقتها بظاهرة العولمة والحداثة المرتبطة بالدول الغربية خلص إلى أن العولمة لا ترمي إلى إلغاء الدولة الوطنية وضرب مثلا بمشروع السور المزمع إنشاءه ما بين الولايات المتحدة الأمريكية والمكسيك، ليتجه إثر هذا المُحاضر إلى تضييق وتركيز نطاق بحثه ودراسته ليقتصر على الحالة الليبية في عالم متغير وفي سبيل تحقيق ذلك تناول الدكتور أبو صوة بعمق ازمة الهوية وانطلق من أسئلة مصيرية يتطلب الإجابة عنها المزيد من البحث والدراسة وخلص إلى طرح عدة مخاوف ومحاذير فيما يخص الكيان الليبي الذي يواجه اليوم وأكثر من أي وقت مضى تحديات خطيرة تتهدده في وحدته وجغرافيته خاصة في بعض المناطق الحدودية التي تضم تركيبات ديموغرافية تكتسب هويتها من أثنيتها وليس من الدول التي تتوزع فيها وضرب مثلا بقبيلة اولاد علي في الحدود الشرقية والتبو والطوارق في الحدود الجنوبية حيث الأنتماء الوجداني للكيان الأجتماعي أكثر منه لكيان الدولة.

ولا زال الدكتور ابو صوة يجوس بنا مسارب المسألة المطروحة على بساط البحث ويتعمق أكثر وأكثر في استجلاء تفاصيلها وحيثياتها حتى أوفاها حقها من التمحيص والدراسة مستعينا في ذلك بالإشارة إلى بعض المصنفات والمؤلفات التي تؤيد طرحه الفكري وتعزز ما ذهب إليه من تحليلات وأحكام واستنتاجات بشأن الهوية التي لم تكن وليدة الحاضر وإنما تشكلت عبر القرون والمراحل التاريخية المختلفة التي مرت بها ليبيا، وكل ما طرحه الباحث يصب في صالح تأسيس الدولة الحديثة التي نطمح إليها والتي يجب ان تُبنى على أُسس علمية سليمة وعلى قاعدة معرفية قوية ومتينة.

وتعود أهمية مثل هذه الدراسات المعمقة إلى انها تشخص الخلل ان وُجِد وتضع الأصبع على الداء في وقت مبكر وإلى أنها تنير الطريق للساسة والمؤرخين وصُناع القرار وتمدهم بأسباب المعرفة التي تعينهم على أداء مهامهم المنوطة بهم على أكمل وجه، كما انها تساعد عند التعاطي مع قضايا الأثنيات المختلفة في الدولة الواحدة للوصول إلى صيغة من التجانس

والتناغم المنشودين، وأعتقد ان الأطلاع على هذه الدراسة وغيرها يجب أن يكون واجبا وطنيا على الساسة أن ينجزوه كجزء من الامانة التي يحملونها، وكون المحاضرة تخصصية ودقيقة قد يتعذر على المتلقي العادي ذو المعرفة المحدودة استيعاب ما طُرِحَ فيها من أفكار ورؤى، لا يعني انها لا تخصه بل أنها قد تخصه وتتعلق به كشخص وككيان أكثر من أي مسئول من الذين المحنا إليهم قبل قليل. فلكي يفكر بطريقة سليمة في ذاته وفي مستقبله ينبغي أن يحدد هويته ويؤمن بها وينحاز لها في إطار الكيان الكلي للدولة، وكون المرء غير متخصص كما أسلفنا لا يعني أنه لم يستفيد مما طرح في المحاضرة التي أرجو أن تُعمم ليستفيد منها أكبر عدد من المثقفين ويطلع عليها المهتمين نظرا لأهمية ما انتهت إليه من استنتاجات وما نبهت إليه من متغيرات قد تمس الليبيين في حياتهم اليومية وواقعهم المُعاش وكون المرء غير متخصص لا يعفيه من واجب توعية ذاته وتوسيع مداركه.

وفي الوقت الذي نحيي فيه الدكتور ابو صوة على محاضرته القيمة نشيد كذلك بالحضور النخبوي الذي كان في مستوى الطرح، وبعكس ما هو متوقعا لناحية عدم حضور جمهور كبير نظرا لبرودة الطقس، بعكس ذلك حضر الكثيرين بعد أن استشعروا أهمية المحاضرة إلى حد أن قاعة عبد المنعم بن ناجي التي اكتظت حتى آخرها ضاقت عن استيعاب كل هذا العدد الكبير من المثقفين والمهتمين ولم يضاهي دسامة المحاضرة إلا الجمهور المنفتح على كل ما هو جديد مفيد.

ولمن فاته حضور المنشط يمكنه متابعة تسجيل المحاضرة كاملة بالصوت والصورة على صفحة الجمعية الليبية للآداب والفنون وعلى صفحة حسن الفقيه وتمنياتنا بالتوفيق للجميع.

وبالإعلان عن المنشط القادم مبتدأ شهر فبراير وهو محاضرة للباحثة أمنة هدريز تتناول شعر الشاعر محمد الشلطامي أُختتم النشاط.

بـــاقـــون

فقدت الساحة الأدبية والثقافية في ليبيا، في العام الماضي؛ 2018، مجموعة من الأسماء، الذين وإن غادرونا، فإن حضورهم باق في أرواحهم وإبداعهم. ولا نقول إلا (إنا لله وإنا إليه راجعون).

3 فبراير: الصحفي والمناضل "فاضل المسعودي".

9 أبريل: الكاتب والأديب "يوسف القويري".

20 مايو: المؤرخ والأديب "علي الصادق حسنين".

20 مايو: المؤرخ والكاتب "داوود حلاق".

23 يونيو: المدون والباحث "محمد بودجاجة".

31 يوليو: الصحفي "موسى عبدالكريم".

9 أغسطس: المربي والمسرحي والرياضي الحاج "عبدالله الدناع".

2 نوفمبر: الكاتب "حسن الصيد".

22 نوفمبر: الفنان التشكيلي "خالد بن سلمه".

15 ديسمبر: الكاتب الصحفي "أبوبكر الهوني"

26 ديسمبر: القاص والروائي "ناجي الشكري".

26 ديسمبر: القاص والصحافي "عبدالرزاق العاقل".

29 ديسمبر: الصحافية "نجاة الكميشي".

31 ديسمبر: الفنان التشكيلي "علي الوكواك".

شن بيلمهم..؟

خالد درويش

يتفق جميع المؤرخين والسماسرة وقطاع الطرق والرحالة الأوروبيين، وكذلك قراصنة الأبيض المتوسط، أن في هذه البقعة بشرًا مميزين بكمية من المميزات التي لم تتح أبداً لشعب من الشعوب، فمن العناد إلى تسكير الرأس إلى ملحقات كثيرة وهبها الله لشعبنا العظيم الشعب، الليبي العظيم، وقد أندهش السوسولوجيون من تلك الجينات الموروثة منذ الإله آمون وحراب الهكسوس المخبأة منذ زمن تحت الألحفة والبطاطين والربة تانيت ومحبرة ابن خلدون وقراطيس العبدري ولينج وغيرهم.

كانت لعبتنا ولاتزال تلك الحروف التي ولدت قبل أن نولد وترعرعت في بصمات قلوبنا ومآقينا، الحروف التي قاتلنا بها جهل الجاهلين وعلوم الزمزاكة وغيرها من الآفات التي اكتشفت قبل النفط وتدهورت بعده، حتى تمكنت منا فإنك ببساطة تستطيع تحريك جبلين من الجليد ولا تستطيع أن تكمل جملة واحدة دون أن تقاطعك علوم مزركشة وفتاوى تهل عليك وصفات من كل حدب وصوب فالكل يفهم في كل شيء ويعرف كل شيء وهو "خنايسي."بامتياز أما ما تعارف عليه الوسط الإنساني بأنه آفة ليبيا والليبيين فهو داء عضال شخصته منظمة أطباء بلا حدود وجميع صيادلة العالم بأنه مرض "السلبية."

ما هي السلبية يا حكيم زمانك.. السلبية هي أن تشاهد بلادك تحترق وتستمر في التدخين ببلاهة، وأن تغير المحطة إلى ما فوق الركبة، السلبية هي ما نمارسه بحق هذا الوطن من تجاهل وامتعاض، وقرف، طبعا لست أعني أولئك الذين يسرقون الملايين كلا فأولئك إيجابيون جدا فهم يغرفون المال والدولارات ويصنعون بها ملاجئ لخوفهم وسلاسل لشياطينهم خارج البلاد ومولات ضخمة ينتفع بها الجار والجار قبل الدار، السلبية هي مكنسة نكنس بها حاضرنا لنراكم التراب فوق ماضينا لكي لا تتضح صورة المستقبل.

يعترف أحدنا بأن هذه البلاد تكره أبناءها وتعترف البلاد بأن أبناءها تنابلة كما وصفهم "رائد الفضاء" وبين البلاد وأهلها وبين معارك طاحنة من الفوضى والضجيج وخروجها عارية الرأس حافية القدمين تولول في شوارع مهملة، تغرق في زخة مطر خفيفة، وبين سباب عجوز تساقطت أسنانها وانحنى ظهرها تمد يدها للمحسنين على ضفة المتوسط الذي كانت تملكه بأكمله وتقرع صلعة أكبر كبيرهم حين كانت صواريها تزأر في ربوعه.

تعترف البلاد أنها أنجبت الوحش وأنها قتلت الوحش وأنها خاطت رحمها من جديد ليتعملق الشر.وتكبر النار النار التي أحرقت كل شيء وأتت على كل شيء، ولازال الواحد منا يدير ينفث سيجارته باتجاهها وهو يدندن بأغنية سخيفة نسي مطلعها لكن بعض كلماتها تقول: ارحم بوي خلاني هواووي.

تلك هي الخيبة من كلا الطرفين من العجوز ومن أبناءها وقبل أن يجف ثدياها من الحليب وقبل أن تهرب وعولها وودانها وقبل أن يسود السود الذين سيسودون فيها عاجلا أم آجلا، وقبل أن يشتري كل واحد منا تلسكوبا لكي يرى به "ليبيا" على الخريطة، وقبل أن يغلق ابن خلدون حقيبته ويغادر مطار معيتيقة إلى وجهة غير معلومة، رجاء لمّوا بعضكم. قبل أن أنسى أصدقائي الكتاب. لموا بعضكم انتم أيضا وانتخبوا هيئة جديدة لرابطتكم لأن الأولى في حكم المنتهية وهي تنتظر منكم أن تستلموا مهامها وترتبوا بيتكم الداخلي، فقد أصبحنا أشتاتا لا يجمعنا سوى الحليب الذي تذوقناه معا من صدر تلك العجوز ...

وشن بيلمهم؟